



کدی العرش

اچھاب الطیب

العنوان

تحدي العرش

تأليف

إيهاب الطيب مصطفى احمد / لقب (أبوقناية)

الغلاف والرسومات التوضيحية

إيهاب الطيب مصطفى احمد

حقوق النشر © 2026 جميع الحقوق محفوظة.

لا يجوز نسخ أي جزء من هذا المنشور أو إعادة إنتاجه بأي صيغة كانت، وبأي وسيلة، إلكترونية أو غير ذلك، دون الحصول على موافقة مسبقة من مالك حقوق النشر وناسر هذا الكتاب.

فهرس المكتبة الوطنية أثناء النشر، السودان 813.962403

إيهاب الطيب مصطفى أحمد - 1991

تحدي العرش رواية، إيهاب الطيب مصطفى أحمد

الخرطوم. أ.ط مصطفى، 2022

رقم الإيداع القانوني 002490343/2022 : م

9781291759129:ISBN

إهداء

"إلى من غرسوا في قلبي حبّ العلم... إلى
روح والدتي الغالية"

شكر

الشكر أولاً لله وحده
وشكر خاص لأسرتي الكريمة والأصدقاء الأفاضل.

تنويه

"هذا العمل من نسج خيال المؤلف ولا يمت
للواقع بصلة وأي تشابه في الأحداث أو الأشخاص
بينه والواقع هو من قبيل الصدفة البحتة"

لقد أتيت هذه النسخة الرقمية من العمل مجاناً، إيماناً بان الكلمة الجميلة تستحق أن تجد طريقاً إلى القلوب بلا عائق، وان تصل إلى كل قارئ قد يعني له هذا النص شيئاً خاصاً.

فان وجدتم في هذه الصفحات ما لامست وجدانكم، أو امتعه أرواحكم، أو ترك في أنفسكم أثراً طيباً، فسيكون من أسمى أوجه الدعم أن تفضلوا بمشاركه رأيكم الكريم عبر Amazon Kindle أو Good-reads فالكلمة الصادقة لا تُبْهَج الكاتب فحسب بل تُعين هذا العمل على أن يبلغ قراء آخرين.

أو التعبير عن تقديركم بلطف من خلال شراء فنجان قهوة عبر مسح الرمز QR وان رغبتم في تقديم دعم إضافي فيإمكانكم اقتناء النسخة الرقمية التالية عبر منصة Amazon Kindle أو Google Books

لكم مني خالص الامتنان على وقتكم وقراءتكم واهتمامكم، وأرجو أن يجد هذا العمل المتواضع مكاناً دافئاً في قلوبكم، وان يرافقمك بشيء من المتعة، والجمال، والأثر الذي لا ينسى.

Email throne.challenge@gmail.com

:Goodreads

<https://www.goodreads.com/user/show/199629247-eihab-eltayeb>

:amazon (arabic version) link

<https://www.amazon.in/dp/B0GT9GH3WV>

:amazon Kindle Edition (English version) link

[7https://www.amazon.com/dp/B0GZCL44R](https://www.amazon.com/dp/B0GZCL44R)

:Google books (arabic version) link

<https://play.google.com/store/books/details?id=sR3KEQAAQBAJ>

:Google books (English version) link

<https://play.google.com/store/books/details?id=usDVEQAAQBAJ>

:paypal link

<https://www.paypal.com/ncp/payment/HLQ5TLNQN2FLJ>



Goodreads



PayPal



Amazon Kindle



Google Books

الفهرس

7	الفصل الأوّل: مقاتل الظلام
23	الفصل الثاني: حضور ملك اليكس
36	الفصل الثالث: لقاء ووداع
53	الفصل الرابع: استقبال مملكة اليكس
69	الفصل الخامس: أمير الخزي
84	الفصل السادس: أمير الظلام وفنون الملوك
96	الفصل السابع: حكمة سحر اليكس واعتذار
112	الفصل الثامن: التحام ومواجهة
128	الفصل التاسع: ضوءً ويأس، ظلامٌ وأمل
139	الفصل العاشر: تاج ملك اليكس
155	الفصل الحادي عشر: عزيمة وهدف
163	الفصل الثاني عشر: ملكة اليكس كونزيت
177	الفصل الثالث عشر: جوهرة اليكس
192	الفصل الرابع عشر: إعلان حالة الحرب
206	الفصل الخامس عشر: ربع داخل الزنزانة
222	الفصل السادس عشر: التخاذل والاستسلام أم العزيمة والتقدّم
234	الفصل السابع عشر: مستويات السحر وفنون إطلاقه
248	الفصل الثامن عشر: بحر الأثير والسحر الخارق
260	الفصل التاسع عشر: سيف وعهد
279	الفصل العشرون: أتياب وغبض
302	الفصل الواحد والعشرون: برق ولهب
316	الفصل الثاني والعشرون: تاج البشرية وتاج اليكس
333	الفصل الثالث والعشرون: شجاعة أم جنون
344	الفصل الرابع والعشرون: تاج المناهج
357	الفصل الخامس والعشرون: خطوات الفراق
374	معلومات توضيحية



عالم
دسکتیو یوس



الفصل الأوّل مقاتل الظلام

قيل وأنا أكتب الآن كمن يُعيد ترتيب الرماد ليعثر على شرارةٍ لم تنطفئ تمامًا إن هذا العالم لم يملك يومًا ما يكفي ليُنشئ نفسه وحده. لم يطلع من العدم كما تنبت الأعشاب على حافة ماء، بل جاء مأمورًا من أدق الأشياء إلى أعلاها. سمّوا ذلك «المنهج الخارق»: طريقة خلقٍ لا تُرى، لكن تُرى ندوبها في انتظام النَّفس، وفي انحناءه الضوء حين يمرّ على حجرٍ قديم، وفي جرحٍ يلتئم بسرعةٍ لا تفسير لها... ثم لا يلتئم أبدًا.

هو عالمٌ تزدهم فيه الحياة بأشكالٍ شتى: عجائب وسحر وأرواح، لكلّ منها منهجه. خيوط لا تنتهي، كنسيجٍ شديد الإحكام، يرفد بعضه بعضًا حتى يكاد يبلغ حدّ الكمال. وإذا اختلّ الترابط ولو بخيطٍ واحد فسد النسيج كلّ، وخرج الفساد من شقوقه كما يخرج الدخان من تصدّعٍ في جدارٍ محقّى.

ولكي يستقرّ هذا العالم ويستقيم ميزان القوى فيه، أقام «تيجانًا» لعرش المناهج: مفاتيح الحكم الكامل. سلّمها إلى مختارين يُسمّون «المُعَدّلين»، من الأجناس العاقلة المستقلّة. وكان لكلّ تاجٍ خادمٌ يعلو على جنسه بفضلٍ لا يُحاط به، يسمّونه «خادم التاج».

غير أنّ الأرض اختنقت يوم سقط مالك تاج البشرية في الظلام؛ ففسد التاج، وارتجّت المناهج كما ترتج الأوتار حين تُسحب بعنف. ومنذ عشرين سنة وفق ما استقرّ في ذاكرة الخوف صار المُعدّل مالك تاج البشرية، «فانمند»، عدوّ العالم الأوّل.

كنتُ يومها أعدو في «غابة اليأس» كأنّ الهواء نفسه يطاردني. الأشجار هناك ليست أشجارًا بقدر ما هي أعمدة، جذوعٌ عريضة تُدمي الكتف إن لامستها، وفروعٌ متشابكة تصنع سقفاً كثيفاً يصفيّ النهار إلى عتمةٍ ثقيلة. كانت خطواتي متلاحقة حتى كادت قدمي تسبقاني، ولثام الخمار الأسود يلتصق بوجهي كلما خرجت زفرةً حارةً من صدري.

فوقي على ارتفاعٍ يضغط القلب حلق مخلوقٍ شديد السواد، بأسطًا جناحين كأنهما قطعنا ليل. كان ظلّه يمرّ على الأرض بحدّ سكين، وحين ينعطف يئنّ الهواء، كأنّ الريح تُجرّ من عنقها.

ضمّ الطائر جناحيه وانقَص. ضرب بمخالبه، فتحظّمت أشجارٌ كاملة كأنها قشّ يابس. انفلقت الأرض تحته، وارتفع غبارٌ كثيف حتى صار للنهار طعم التراب على اللسان.

عرفته قبل أن يكتمل في بصري: غريفين. ولم يكن وجوده هنا طبيعيًا. شيءٌ في ريشه، في صوته المكتوم، في اضطراب الريح حوله... كان يفضح تشوّهًا في المنهج.

غريفين ... ما الذي يفعله هنا؟ يمتطيه فارس؟ وهذا الشعور... منهجيته مشوّهة كما وصفتها سيدتي. نعم، لا شك: فارس ظلام.

كانت عيناه حمراوين، جمرتين لا تبردان. وعلى ظهره جلس محاربٌ مُدرّعٌ بدرع أسود يبتلع الضوء. لم أر وجهه تحت الخوذة، لكن حضوره وحده ضيّق الغابة، كأنّ المسافة بين الشجر تقلّصت خوفًا.

انقضّ الغريفين ثانيةً على الأشجار، ودفع الحطام نحوي. تساقطت فروغٌ وجذوع من أعلى، تشقّ الأرض بثقلها. تفاديتها بقفزاتٍ محسوبة؛ كلّ خطوةٍ حساب، وكلّ هبوطٍ ثمنٌ على المفاصل.

ثم انكشف بين الجذوع ما لم أَرِدْ رؤيته: بشرٌ وأطفالهم، ببشرةٍ سمر، يركضون حفاة في العتمة. كانوا من «فئة فريد» بقايا تلاحق لأنّ بقاءها وحده إدامة. أقدامهم مُقرّحة، والدم يرسم وراءهم خيطًا أحمر على التراب الرطب، كعلامةٍ تقود إلى مصيرٍ واحد. كانوا يلهثون لهات من يجرّ رثيته جرًّا.

والغريفين بلا رحمة يطاردهم بشغفٍ يليق بوحشٍ أفسدت روحه يدٌ بشرية. كان ينقضّ ويقضي بمخالبه على رجالٍ ونساء. رأيتُ امرأةً تنحني فوق طفلها فتتلقى الضربة في ظهرها بدلًا منه، ورأيتُ رجلًا يفتح ذراعيه كجدارٍ أخير، ثم يسقط بلا صوتٍ تقريبيًا، كأن الغابة اعتادت الموت حتى كفت عن التعليق.

لم أسمح لنفسي بالتأخّر.

تقدّمتُ وسط الغبار الهائج، واشتعل في داخلي غيظٌ حارق: أليس في قلب هذا الوغد ذرة رحمة؟ بينهم أطفال. والغريب... المناهج حولهم غير مستقرة؛ كأنّ شيئًا فيهم يستفزّ الغريفين ويجذبه. إن كان الأمر كذلك... سأجرّه إليّ.

همستُ بما يشبه القسم، وبما يشبه استدعاءً يعصّ الأعصاب:

الفنون المنسية.

لم يكن نداءً يُقال بصوتٍ عالٍ؛ الفنون المنسية تُطالب بالجسد قبل أن تمنحه. وخزٌ حادٌ امتدَّ في عروقي، كأن نارًا دقيقةً أُشعلت تحت الجلد.

على مسافةٍ تقارب المئة والخمسين قدمًا، التفت المحارب فوق الغريفين فجأة، كمن لامسته صاعقة. التقط الاهتزاز المنهجي الذي أحدثته ذلك الاضطراب الذي لا يسمعه إلا من اعتاد السحر الفاسد فيدل هدفه في لحظة. البشر، في نظره، صاروا هامشًا. أمّا أنا... فصرتُ مركز السهم.

لقد أصبت. مقاتل الظلام التقط الاختلاف. الآن عليّ أن أبعدهما من هنا.

دفعْتُ جسدي إلى ما بعد حدود الاحتمال، إلى حيث يبدأ الألم بمساومة الإرادة:

الفنون المنسية... التسارع العصبي.

اندفعتُ بين الأشجار، أتلّوى مع تضاريس الغابة كجدولٍ هارب. الغريفين خلفي، يلاحقني بعنف، مضطربًا في تحليقه كأنه لا يفهم لماذا تتعثر مناهجه. وفي لحظةٍ قصيرة تكفي لتبديل قدر، حُوصرت: جرفٌ صخري شاهق أمامي، والغابة خلفي تضيق، والظلُّ يهبط فوق رأسي.

لم يطل الأمر حتى انقضى عليّ.

لم ألتفت. لم أمنحه لذةً أن يراني أرتجف.

تفاديتُ مخالبه في آخر نبضة، وكنْتُ قد قرأتُ ما ينوبه الراكب: سحب لجام الغريفيين ليثبَّتني تحت المخلب، ثم إنزال الضربة القاضية.

سحبْتُ نفسي إلى مساحةٍ لا يتوقَّعها، وفتحتُ في داخلي أبوابًا دفعةً واحدة:

قراءة الوقت والفضاء... التقوية الجسدية القصوى.

اندفعتُ من الأرض كصاعقة. قبضتي أصابت صدر الغريفيين، فتناثر ريشه تحت الصدمة، واهتزَّ الهواء كأنه انكسر. تفاديتُ منقاره ومخالبه الحادَّة كالسكاكين، لكن كتفه ارتطم بي فأطاحني نحو شجرةٍ عملاقة. انشطر الجذع حين اصطدمتُ به، وارتجَّت عظامي... غير أنني لم أهبط كما أرادوا.

صرخ الغريفيين أَلْمًا، صرخةً حيوانيةً مسمومة، وتراجع يضرب بجناحيه حول المكان بحذرٍ غريزي. كأنَّ الوحش أدرك فجأةً أنَّ أمامه ليس فريسةً سائغة.

وسمعتُ دهشة المحارب، وإن بقيت محبوسة تحت معدن خوذته.

قال بصوتٍ مكتوم كأنه يطحن الكلمات: «من أين لك كل هذه القوة؟»

لم أجب. هبطتُ إلى الأرض، وكان الغضب أثقل من الخوف.

بيديّ أمسكتُ شجرةً اقتلعت حديثاً من جذورها. لحاؤها الخشن خدش راحتي، ورائحة
العصارة الخضراء اختلطت برائحة الدم. الغبار يدور ضوءاً مسحوقاً حولي، كأنه أثرٌ حيّ لاستدعاء
الفنون.

التسارع العصبي... التقوية الجسدية... قراءة الوقت والفضاء.

انقضّ المحارب مع الغريفيين، وقد قرر إنهاء الأمر. علا صوته: «أيها الحقير! كأنني سأتركك
تفعل ما تشاء!»

غرسْتُ أصابعي في اللحاء، ولوحتُ بالجذع بقوة جعلت الهواء يفور على جانبيه، وفي اللحظة
نفسها انقضّ الغريفيين عليّ.

ضربة واحدة. واحدة فقط.

اصطدم الجذع بعنق الغريفيين. دوت طقطقة كأنها انكسار عالم. تهاوى الطائر جثةً ضخمة،
ومعه المحارب، وانقذفت الأجساد عشرة أقدام على الأقل. انفجر الغبار، وتدحرج المحارب
على الأرض بعنف، معلّقاً بين الألم والحيرة.

فوق الجرف الصخري كانت السماء صافية حدّ الوقاحة. زرقه لا يجرؤ عليها الغيم، وريحٌ جافة
تمرّ فوق نباتاتٍ رطبة كيّد باردة تواسي جرحاً بلا شفقة. كأنّ القدر يتفرّج من عليّ، غير معنيّ
بمن يسقط.

نهض المحارب من بين الغبار والريش المتساقط يترنح. ركل جثة الغريفيين كمن يوبّخ أداةً خذلتها، وصرخ بصوتٍ معدني تحت خوذته: «عديم الفائدة!»

ثم رتبّ درعه بتدّمّر، وتقدّم خطوةً كأنها وعد، وقال بصوتٍ غليظٍ متقطع: «أيها اللعين... سوف أقتلك. تُسقطني أنا؟ أنا عزيف، قائد الشرفي من قادة العظيم فانمند. تُسقطني أنا من جوادي؟ أتدري كم وقتًا وجهدًا صرفتُ لأحصل على هذا الطير الوحشي؟ لقد حانت ساعتك، أيها الغلام الحقيّر. سأعلمك الألم... ثم أمزّك على مهل»

كنتُ أراه، وأرى ما وراء كلماته: غرورًا يرتجف خوفًا من خديش واحد أمام نفسه.

تقدّمتُ خطوة، وتركتُ صوتي يصل إليه لا عبر الهواء، بل داخل رأسه، تخاطرًا بقطع المسافة بلا إذن:

«تهاجم دون سابق إنذار، ولا تترك خيارًا سوى الدفاع. ثم كان عليّ أن أُخلص الغريفيين من معاناته؛ لقد أفسدت روحه. وستدفع ثمن الأرواح التي قبضتها بيدك»

اشتعل غضبه. استلّ سيفًا من معدنٍ أسود لا يعكس شيئًا، كأنه قطعة ليلٍ مصقولة. قال: «ماذا؟ إنسانٌ يتواصل بالتخاطر؟ أيها اللعين... تقصد أولئك العبيد، تعيسي الحظ؟ أخذتك الشفقة عليهم؟ قل لي: لِمَ لم تستعن بالسحر؟ فمن أين لك كل هذه القوة؟»

صمتُ. تركتُ أسئلته تتعقّن لحظة.

ثم قال، وفي نبرته ابتساماً لم أرها لكني شعرت بحافتها: «كلُّ شيءٍ في وقته، أليس كذلك؟ لن أتهاون معك بعد الآن. من الظلال... انهضوا. بأمرٍ من سيدي فانمند، أمركم بصيد هذا الفتى المتعجرف»

ضرب بسيفه الأرض.

خرج من الضربة دخانٌ أسود كثيف، ثم تكاثف كأنه يُنحت. تشكّل منه كيانان مسلحان بسيوف، على هيئة بشرية شديدة السواد. لا آذان لهما ولا أفواه. عيونٌ حادّة حمراء تحيطها خطوط بيضاء، والهواء حولهما بدا مفرغاً من الحياة، كأنهما خلّقا للربح والتدمير وحدهما.

كيانات الظلام... هذا ليس جيداً إطلاقاً. عليّ أن أزيد قراءتي للمناهج، وإلا سأصير فريسة. نمط الدفاع غير الحركي سيرفع احتمال النجاة، لكنه سيمنحهم الوقت. لا سأقاتل بالبيئة، وأسرع الاشتباك. الحذر... ثم الحذر.

في قلب الغابة الكثيفة، بين الأعشاب الندية، وقف عريض خلف كيانَيْه كمن يختبر شفرةً قبل الذبح. انطلق الكيانان يميناً ويساراً ليُحكما الحصار.

هاجمني الأول من اليمين بسيفه. ضربةٌ قوسيّة سوداء. قفزت متراجعاً، وشعرتُ بحدّ السيف يمرّ قرب صدري كنسمةٍ قاتلة.

وأنا في الهواء، جاء الثاني من اليسار بضربةٍ خاطفة. لم تكن ضربةً... كانت قراراً. أصابت ذراعي. اشتعل الألم كبرقٍ داخل العظم، وارتطمتُ بالأرض، ثم اندفع جسدي مخترباً جذع شجرة حتى انتهيتُ إلى صخورٍ عند الجرف.

ضحك عزيّف بصوتٍ معدني جهوري: «هاهاها! كان ذلك سريعًا. من يجرؤ على تحدّي ظلال سيدي العظيم فأنمند؟ حقيّرُ تحدّاني؟ لا تظنّ أن هذا يرضيني. سأجعلك عبرة لتعيسي الحظ أولئك العبيد. سأستمع بصرخات ترجيّك... وسأنهي حياتك حين أفرغ من تعذيبك أمامهم»

الغبار ملأ الأرجاء. الأرض محطّمة، والأشجار ممزّقة. الدم في ذراعي كان دافئًا، يذكّرني بثمرن كلّ تقنيّةٍ أستخدمها: الجسد ليس حجرًا، والأعصاب ليست حبالًا بلا نهاية.

دفعْتُ قدمي إلى صخرةٍ عالية، وارتدّدتُ منها كسهم.

سقطتُ على الكيان الثاني بقوةٍ خارقة، حطّمتُ به الأرض، وانزلقتُ على جسده كأنني أستعمله أرضًا بدل الأرض. في الحركة نفسها ارتدّدتُ نحو الكيان الأول. بادرني بسيفه، لكني ركلتُه يسارًا. ارتطم بالجرف فتفتّنت الصخور تحت جسده، ثم تلاشى... كأنه لم يكن. وتلاشى الآخر معه، كما لو أنّ الظلّ حين يُهزم يتذكّر فجأة أنه عدم.

في تلك اللحظة انزاح لثامي قليلاً. لامس الهواء البارد وجهي، واتضح الغبار المضيء حولي الأثر الذي يرافق الفنون المنسية حين تُستدعى.

حدّق عزيّف بي، وانتقلت دهشته إلى جدّية قاسية.

قال: «... لست قويًا فحسب، بل هادئٌ في موقف كهذا. أتدري أن كيانات الظلال لم ينحُ قط من واجههم ليروي القصة؟ وأنت تطيحهم كما لو كانا لا شيء. من أنت أيها الفتى؟»

قلتُ، وهذه المرّة بصوتٍ مسموعٍ تلتقطه الغابة: «أنا يزن. مُكَلَّف بحراسة هذه المناطق»

سحب عزيّف شيئاً من على ظهره درعاً أثقل، كأنه قطعة ليلٍ أخرى وتأهّب. قال: «حارس؟ لا، كفاك مزاحاً. الغبار المضيء حولك وتواصلك بالتخاطر بيّتان لي أنك مستخدم لفنون قتال الملوك المنسية. والتفسير الوحيد لكثافة حركة المناهج حولك... أنك حارس حجر الحقيقة الذي نبّحث عنه منذ زمن»

ثم مال للأمام كمن يتذوّق النصر قبل وقوعه: «الملك فأنمند سيكون سعيداً بهذا»

شعرتُ بشيءٍ يبرد في صدري، لا خوفاً، بل يقيناً: هذا الرجل إن خرج حيّاً فلن يترك خلفه إلا خراباً جديداً.

تفعيل الفنون المنسية القصوى.

ثم قلتُ له، مسدّداً نظرتي كرمح: «يبدو أن عليّ قتلك حقاً. كنتُ آمل ألاّ تؤول الأمور إلى هذا. ليس هناك أدل من سلب روح إنسانٍ آخر»

كوّن عزيّف لهب الظلام على درعه؛ ناؤ سوداء لا تُضيء، بل تبتلع ما حولها. ضحك: «ههه... تشفق عليّ؟ تظنّ لك فرصة معي؟ تهاون... ولك الموت بهذه البساطة»

ثم تغيّرت نبرته قليلاً؛ دخلها شيءٌ من المساومة، كصيّادٍ يمنح فريسته وهمّ بابٍ مفتوح: «عليّ أن أقول: لقد أثرت إعجابي يا يزن. سأكون كريماً وأعرض عليك ما لم أعرضه لأحدٍ قبلك.

دع هذا خلفنا، وكن تابعًا لي... نقاتل ونحكم تحت راية مملكة دجنه، وسيادة الملك فأنمند.
سلطة... مال... حتى النساء. سمّ ما شئت. كلّه لك»

لم أجب. أجابه جسدي: وقفةً ثابتة، ورفض لا يحتاج لغة.

تنهّد أو هكذا خُيل إليّ تحت خوذته ثم قال ببرودٍ حاد: «حقًا، لا أطيق الأغبياء. سأقتلك وأخذ
حجر الحقيقة مهما كلف الأمر... تحقيقًا لأمنية سيدي فأنمند»

انطلق نحوِي. ضمّ الدرع إلى معصمه، واندفع بالدرع أولًا ليخلخل توقّعاتي، ثم أتبعها بسيفه
البتّار.

رأيتُ عاقبة السيف قبل أن يصل. تفاديتُ الحدّ الأسود... لكن الدرع كان في نقطتي العمياء.
ارتطم بي بقوةٍ رفعتني ستة أقدام في الهواء، وانتزعت الهواء من رئتي كما تُنتزع ورقةً من
كتاب.

رفع عذيف سيفه إلى السماء، وقال بابتسامٍ خبيثة: «سيوف الظلام»

انشقّت السماء عن سيوفٍ سوداء تهوي كالمطر القاتل.

في الهواء لويّت جسدي بعاصفةٍ داخلية. اصطدمتُ ببعض السيوف بقدمي، وأفلتتُ من
أخرى بفارق شعرة. كانت تُخطئني لتغرس نفسها في الأرض خلفي، تثقب التراب كأنها
تبحث عن قلب الغابة.

هبطتُ وتحركتُ حول عذيف، عينٌ على السيوف الهابطة وعينٌ عليه. كان كل شيءٍ سريعًا حتى بدا الوقت شرائح تنكسر.

ابتسم عذيف: «هل تعجبك السيوف الممطرة؟ إحدى مهاراتي كفارس ظلام. احترس ألا تتعرض لها كثيرًا... فهي مُضرةٌ حتى الموت!»

لم أترك له وقت النشوة.

انقضتُ بمحاذاة الأرض، فاختصرتُ المسافة بيننا فجأة. رفع درعه ليتحصن وأطلق لهبًا أسود يحرق ما أمامه. لم تكن حرارته حرارة نار، بل حرارة فراغٍ يلتهم. انخفضتُ أكثر، وانزلقتُ على التراب الرطب، ثم دُرْتُ حوله نصف دورة كأنني ظلُّ يفرّ من صاحبه.

في لحظةٍ خاطفةٍ أمسكتُ معصمه الأيسر، وحوّلتُ اندفاعه نحوي إلى اندفاعٍ عليه.

ألقيته أفقيًا نحو أشجار الغابة.

صرخ، ولم تخرج صرخته كاملة: «!!! ماذا؟ لا»

التسارع العصبي الأقصى.

طار عذيف محطّمًا جذوعًا في طريقه. تبعته. كنتُ ألاحقه في الهواء، وأقرأ بسرعةٍ جارحة محاولته ليثبت نفسه كي يعيد الضربة.

وبالفعل، استجمع قواه وعرز السيف والدرع في الأرض، متشبثاً بها كمن يُسَمِّر نفسه في الحياة.

صاح والعزم يملأُ نبرته رغم التصدّع: «لن... أدعك... تهزمني هكذا! بعدما وصلتُ لهذه النقطة... هاااا!»

هبطتُ أمامه. الدم في ذراعي ما زال ساخنًا، لكنني لم أسمح للألم أن يتكلم بدلِّي.

جمعتُ قبضتي، وشعرتُ بالتقوية الجسدية تملأُ عضلاتي كفيضانٍ محكوم:

التقوية الجسدية القصوى.

رفع رأسه في اللحظة التي وصلت فيها قبضتي إلى وجهه. لمحتُ ومضة بأيس صغيرة خلف شراسة القناع. حاول التفادي، لكن الأرض لم تسعفه.

اصطدمت قبضتي برأسه. تحظمت التربة تحته، وارتدَّ جسده محلّقًا، ثم سقط بصمتٍ ثقيل قرب بركة ماءٍ عذب.

ساد المكان هدوءً غريب، كأن الغابة تحبس أنفاسها لتسمع خاتمة مشهدٍ تعرفه منذ زمن. تحت أغصانٍ تحجب السماء، كان النسيم يمرُّ بمهل، حاملًا رائحة دمٍ لا يشبه دم البشر: دمٌ أسود خرج من أذني عذيف، وتفرق عند عينيّه.

تمتم وهو بلهث، كأن الكلمات تسقط من فمه سقوطًا: «لم... أدرك... كم أنا ضعيف. فتى
مثلك يطيحني هكذا؟ هل هذه قوتك؟ كأنها قوة تاج الملوك...»

وقفْتُ قربَه. لم أرفع سيفًا. لم أحتج. جسده سُلب، وروحه كانت تتراجع خطوةً خطوة.

نظر إليّ وسأل، بصوتٍ مكسورٍ رغم ما فيه من كبرياءٍ قديم: «... لماذا لم تتجاهل البشر الذين
كنتُ أطاردهم؟»



لم أجب. تركتُ الصمت يهبط على
السؤال حتى صار جوابًا لا يُحتمل.

قال بأسى لم أتوقعه: «حارس؟ يا
للهاء... لقد أدركتُ أنهم بقايا مملكة
تروثغوي، أليس كذلك...»

لم أتحرك.

ابتسم ابتسامَةً باهتةً وأكمل: «إذا لم
تكن لك بهم علاقة... ههه، يا
للسخرية. اسمع جيدًا: سيدي فانمند
يعلم مكاني أينما ذهبت. بلا شك
سيحصل على الحجر وكنز الحقيقة
بأي ثمن...»

رفعتُ عيني إليه وقلتُ ببرودٍ هو
أقرب إلى عهدٍ داخلي: «لن يحصل
عليه وأنا حي. سأكون مستعدًا له»

ارتجف فمه، وصار صوته خيِّطًا

رفيعًا: «لا تكن غبيًا... لو كنتَ مكاني لهربتَ إلى أطراف الأرض. سيدي فانمند ليس مثلي...»

وليس مثلك. حتى إن اجتمع عليه خدم التيجان ودائرة الملوك معًا... لما استطاعوا هزيمته.
فلا تخاطر... و... عيش... حارس الح...»

وانقطع الخيط.

على أرض تحيط بها أشجار غابة اليأس، مات «عزيف» أحد قادة قائمندا. كان موته هادئاً على
غير ما عاش؛ كأن ناراً سوداء انطفأت داخله فجأة، ولم يبق سوى رمادٍ ثقيل.

دفنته قرب البحيرة... ودفنت الغريفيين معه. لم أفعل ذلك رحمةً به وحده، بل لأنّ الروح حتى
حين تُفسد تستحق حدًا أدنى من الستر، ولأنّ الغابة لا تُحبّ الجثث المكشوفة؛ فهي تُغري
مزيدًا من الظلام.

كانت نسيمات الريح تمرّ عليّ وأنا أهيل التراب. لم تكن دموعي صاحبة. كانت خفيفةً لا يراها
أحد... لكنها ثقلت في داخلي، كاعترافٍ متأخر بما فعلته يداي كي أحمي ما هو عزيز عليّ.



الفصل الثاني

حضور ملك البكس

حين أستعيد تلك الليلة، أرى مملكة «تروثغاي» كأنها شقُّ طريٍّ في صخر العالم؛ جرحٌ لم يلتئم لأن أحدًا لم يمنحه وقتًا للبكاء. أرضٌ محروقة لا ماء فيها ولا خُصرة، والدفء الذي يمرُّ عليها من الشمس لا يطيل؛ يلمس الأطلال ثم ينطفئ فوق حجارة القصور المهذّمة. أحد عشر عامًا مرّت منذ سؤاها قادة «فانمند» بالأرض، ومع ذلك ظلّت السماء تتردّد فوقها، كأنها تخجل من النظر طويلًا.

أحاطت الشواهد بالمكان كحرايسٍ تبيّست أعناقهم، والهواء نفسه كان يحمل ظلّ «التاج»: ضبابًا خفيًّا يسير على الأرض. لا تراه العين بوضوح... لكن الجلد يعرفه، والرئتان تتذكّراه في كل شهيق.

تحت الأنقاض، في مغارةٍ خلقت عتمتها من رطوبةٍ وقدم، أقام آخر ما تبقى من «ملكة الحقيقة غفلن»: حجرٌ واحد من حجارتها؛ وعاءٌ لروحها وذكرتها وعلمها. قوةٌ لا تقاس بما تُظهره، بل بما تفرضه على المكان؛ كأنها قانونٌ صامت يضغط على الأشياء لتظلّ في حدّها.

في عمق المغارة كان الهواء يهتّزّ حولي، لا كريحٍ تمرّ، بل كفراغٍ يعيد اختبار نفسه. جسيمات دقيقة معلّقة كانت تتسارع بلا سبب منظور، ثم تومض بضياءٍ خافت، ضبابًا مضيقًا يلتفّ حول جسدي كلّما بدلتُ إيقاع «المناهج» في عروقي. وفي قلب هذا كله، اتّكأ «حجر الحقيقة»

في وسط الدائرة: شفافاً بلون أصفر زيتي، يضيء من داخله دون أن يسطع. كانت المناهج تحرك فيه كسبيح من شراراتٍ ذهبية، وكأن الحجر يتنفس ببطء. قالوا إن «ملك المناهج

ديفود ميراى» أودع فيه حقيقة العالم... ولم تكن لدي رفاهية تصديق الأساطير أو إنكارها! كنتُ ألمس أثرها على جلدي كلما اقتربت. كانت «غفلن» الآن طيفاً عصياً! وعياً مربوطاً بالحجر بحيث لا ينقطع. أعرف ما كانت عليه: إلهاً متعالياً، قائداً لا يلتفت إلا ليأمر. وأعرف ما صارت إليه: سيّدةً محبوسةً في كنزٍ يشتهبه العالم، تحبُّ كبرياءها في صمتٍ محسوب.

قالت بصوتٍ يصل رأسي أكثر مما يصل الهواء: «أظنّ أنّ هذا يكفي تدريباً لليوم... لكن عليّ أن أعترف: أنت تُخيفني، يا بزن»

كنتُ ألهث. العرق ينحدر من صدغي ثم يبرد بسرعة تحت رطوبة المغارة. لم أرفع عيني فوراً؛ خفتُ أن ترى في نظرتي ما أعجز عن وضعه في كلمات.



تابعت، ونبرتها كحدّ سكين يمرّ فوق زجاج: «قدرتك العصبية على نقل حركة المناهج... تلك السرعة التي تجعل الوقت والفضاء قابليين للقراءة... ثم إدراكك لتدفّق الزمن البطيء كأنك تتحرّك تحت الماء... وفوق هذا، تُفَعِّل التقوية الجسدية في اللحظة نفسها. أحياناً أشكّ أنك بشر»

جررتُ صوتي من قاع ضيق، وأنفاسي تتصاعد كالدخان: «سيدتي... عليّ أن أتقن فنون القراءة المنسيّة. أن أحرّك دون أن أفقد نفسي بين الزمان والمكان. عليّ أن أضبط قراءة الزمن أكثر... سأبدأ من جديد»

في داخلي خيبة لا تصرخ؛ تكتفي بأن تثقل. كل مرة أصل فيها إلى عتبة، أجد ما وراءها أوسع من احتمالي.

تأمّلتني «غفلن»، وكنت أعرف نظرة التعجّب حتى وهي بلا عينين. قالت: «قراءة الزمن في أصلها قراءة الحركة الفيزيائية للمناهج. للبشر أمرٌ غير موصوف... لأنّ سرعتكم العصبية متأخّرة، فيتجاهله عقل الإنسان. نحن الكيانات العصبية نقرأ الزمن بما نطيق. وأنت... توافقت مع تزامنك العصبي. وهذا مدهش بحق»

أطرقتُ. لم يكن المديح يملأ الفراغ الذي يفتح فمه في صدري ثم لا يبتلع شيئاً.

مدّت طيف كّف من نورٍ خفيف فوق رأسي. شعرتُ بدفٍّ لا يحرق؛ دفٍّ أعرفه من زمين كان لي فيه بيتٌ واسمٌ بلا خوف. قالت: «لا تتعجل. تعلّم وحاول. لقد فعلت ما لم يستطع فعله «ميراي» في عمرك»

رفعتُ بصري، وتعثّر الكلام في حلقي قبل أن يخرج: «معلمتي... عليّ أن أزداد قوة. أخاف ألا أستطيع ردع من يريدون أذيتك»

عندها رأيت حزنها؛ لا دمعة، بل خفوتًا صغيرًا في نبرة كانت يومًا لا تخفت. قالت: «يزن...
ألهذا قاتلت مقاتل الظلام ذاك؟»

بحثتُ بعيني في الأرض عن جوابٍ أقلّ وجعًا، ولم أجده. قلتُ: «نعم. كان يائسًا ليحصل على حجر الحقيقة. مقاتلٌ قويٌّ مثله... يملك ذلك الولاء لـ«فانمند»، ولم يتردد لحظة ليفعل أيّ شيء. عزمته لم تكن شيئًا يُستهان به»

سكتت قليلًا، ثم قالت بجدّ يقطع: «أنا لم أعلمك فنون الملوك لتحميني. ربّيتك لتحمي نفسك... وما هو عزيز عليك. آن لك أن تدرك هذا، وأن تترك هذا المكان البائس. مستقبلك ليس هنا، معي، في هذه المغارة. ليس واجبك أن تحمل عتيّ لعنتي. أعرف معنى أن أكون حبيسة كنزٍ يشتهيهِ العالم... ولا أريدك أن تقع في المصير نفسه. أنا عدوّة هذا العالم، يا يزن. لم أنقذك لتردّ الدين بشفقة»

ضربت كلماتها موضعًا مكشوفًا في داخلي، لكنها لم تُزحزح الحقيقة التي عشتها معها. رفعتُ رأسي، وخرج صوتي كأنه تعلّم الفراغ: «حين أفكّر أنني قد لا أصل إليك... يصير قلبي كبيتٍ أفرغ من أهله دفعة واحدة. يؤلمني كأن جزءًا مني اقتلعت وتركت حفرة لا تُملأ. لستُ أشفق عليك. أنا أحمي نفسي... كما علمتني. اسمحي لي أن أحمي نفسي»

التفتت وغطت وجهها كمن يصدّ شيئًا لا يُرى. سمعتُ انفجارًا صغيرًا من غيظها؛ وكان الغيظ عندها وجهًا آخر للحنان حين يعجز. قالت: «طفلٌ بشري غبي... متعجرف. تُضَيّع عمرك

ومستقبلك على كيانٍ محبوبٍ في مغارة؟ وتتخذ العالم عدوًّا لك؟ تتكلم بما هو أكبر منك...
يا لعجرتك. افعل ما تشاء»

أغمضتُ عيني لحظة. ثم خرجتُ بهدوء. لم أرد أن أترك وراء ظهري كلمةً واحدة قد تخلخل ما
تبقي من توازننا.

في تلك الليلة كانت المغارة غارقةً في سوادٍ كثيف تحت سماءٍ مكتظةً بالنجوم. الضباب
المضيء يزحف على الأرض وبين الجدران البالية، ورائحة القدم حجراً عاش طويلاً بلا يدٍ بشرية
تملاً النفس وتذكّرها بأن الزمن هنا لا يمرّ؛ يتراكم.

لبستُ عباءتي السوداء، وتحققتُ من عُدتِي بصمت. ثم قلتُ عبر التخاطر: «معلمتي،
أستأذنك. سأبأشر المراقبة الليلية»

قالت: «حسنًا... لا حركة عصبية في الأرجاء، لكن توحَّ الحذر. الذين يخدمون الظلام وجنودهم
من الظلال لا حركة عصبية لهم. وأنت... تقنيًا ما زلت في طور الطفولة. نم مبكرًا»

ترددتُ، كأن الكلمات وزنٌ قد يسقطني: «...حسنًا»

اشتعلت نبرتها بغيظٍ مصطنع تخفي به خوفها: «أتعلم؟ أنت مملّ. لا حسّ لديك للفكاهة. لا
بدّ أن آثارًا جانبية لكل تلك المناهج داخل جمجمتك»

قلتُ وأنا أنصرف: «حسنًا. لا تقلقي. سأعود بسرعة. إلى اللقاء»

ضحكت ضحكةً خفيفة، كأنها تقطع لنفسها فسحة صغيرة من الزمن: «ههه»

أطلقتُ نفسي إلى الحركة، وقلتُ في سري كمن يضغط مفاتيح جسده: تنشيط «التقوية الجسدية»... وقدرة «القراءة العصبية»

انطلقتُ بسرعةٍ خارقة؛ المسافات تنكمش ثم تتمدد في اللحظة نفسها. تحركتُ بين تجاوير المغارة ككفكرةٍ لا يلحقها الضوء. قلتُ لنفسي وسط الضباب المضيء: لا شيء يقلق هنا... يبقى الخارج، المناطق المحيطة بالمغارة.

خرجتُ من بوابة المغارة الملتصقة بجدار المملكة الغربي، المطلة على «غابة اليأس» هناك وقفت تماثيل حجرية لـ«ملكة الحقيقة» و«خادم تاج الحقيقة»، وتماثيل أخرى لخدام التاج وجوهٌ جامدة، كأنها شهدت النهاية وقررت ألا تنساها.

ثبتُ أمام الغابة، وأطلقتُ قدرةً أشدَّ حدّة: تنشيط «سرعة قراءة الوقت والفضاء»

هذه القراءة ليست معلومةً تُمنح. إنها ثمن. حين أفعلها يتوقف عقلي عن دفن التفاصيل التي تعوّد البشر دفنها كي يعيشوا. يصير كل شيء حاضراً أكثر مما ينبغي: حركة المناهج في جسدي، وفي الهواء، وفي التراب، وفي الأوراق. يتسارع فكري حتى يقترب من تزامنٍ مستقلٍّ عن العالم... ويصير الخطأ فيه كخطوةٍ ناقصة على حافة هاوية.

قلتُ وأنا أمسح المحيط: «لا حركة غير اعتيادية في المناهج حول المنطقة. لكني ما زلت لا أستطيع التنسيق التام بين قراءة الوقت والفضاء وإشارات جسدي العصبية في آنٍ واحد... يحدث اختلال في القراءة. عليّ أن أجد طريقة. حسناً... لا شيء مألوف. بقيت مراقبة الغابة»

دخلتُ «غابة اليأس» ضبابٌ من قطرات الماء يملأ المكان، ورائحة الأرض والنباتات المبتلّة تلتصق بالحلوق. الليل عاتم، والأغصان الشاهقة تتشابك فوق رأسي كسقفٍ من عظام حيّة. السماء صافية، والنجوم معلّقة كمسامير فضة. وبين الأشجار شعرتُ بأن القدر يتسم... لا لي، بل لما ينوي أن يرميه في طريقي.

ظهر أمامي كيانٌ أزرق من الطاقة.

توقّفتُ في مكاني. قلبي لم يعلن الخوف؛ أعلن الحذر. قلتُ في نفسي: هناك من في الجوار... قرب الجرف الصخري. أتباع «ثانمند»؟

هبطتُ عن الجرف بتسارعٍ عسبي، وانكمشت خلف جذعٍ عريضٍ أترقّب. كان الكيان الأزرق قريباً؛ شقافاً في هيئة جسدٍ بشري، وفي داخله شرايين من طاقة عصبية مضيئة. عند منطقة الصدر رأيت «يكسيًا» كبيراً في السن صغيراً قياساً بالبشر، لكن حضوره أكبر من الغابة ويكسيّة على كتفه الأيسر وأخرى على كتفه الأيمن. أجنحتهم ترتجف بنبضٍ سحريّ لا يخطئه من عاش قرب الأشجار.

كنت أعرف «اليكس»: مخلوقات تشبه البشر هيئةً، لكنها صغيرة جدًّا، ولها أجنحة تمنحها طيراناً حرّاً. مسالمون في أصل طبيعهم، أقرب المخلوقات إلى الغابة وإلى الفنون المنسيّة: التسارع العصبي وقراءة الزمن والفضاء. كان لهم تاريخٌ مع البشر... ثم سَمّوا خونة في سجلات البشر، فصاروا عدائين؛ لا لأنهم أضعف، بل لأنهم تعلّموا ألا يهبوا ثقتهم مرّةً أخرى.

سمعتُ صوتًا واضحًا داخل رأسي كأنه يخرج من عظامي: «هناك من يراقبنا يا أبي... إحساسٌ غريب. إنه جسد طفلٍ بشري»

وردَّ صوتٌ آخر أنقل وأهدأ: «معك حق يا أميرتي... يبدو أنّ أحدهم يراقبنا. وربما كان قصير القامة»

ثم جاء صوت ثالث حادّ كحدّ ورقة: «طفلٌ في هذا المكان... غريب. الحركة المنهجية للبيئة حوله تتغير بشكلٍ طفيف. هذا مثير للاهتمام... لنختبره»

في اللحظة التالية انضغط الوجود حولي. لم يكن ضغطًا على الجلد وحده، بل على الهواء، على الفراغ بين نبضتين. سمعتُ فزع الحيوانات والوحوش والطيور: بعضها اندفع هاربًا كأن الغابة لفظته، وبعضها تجمّد حيث هو، وقد تعلّم بالصمت كيف ينجو.

تردّدتُ طرفة عين. ثم أدركتُ بوضوحٍ جرح أن الاختباء من وجودٍ كهذا عبث. أنا في حالتي الطبيعية، وهم... شيءٌ آخر.

خرجتُ من خلف الشجرة، وفتحتُ قناة التخاطر، وثبّتُ صوتي قدر ما استطعت: «أنا يزن، مكلف بحراسة هذه الأجزاء. هلا تفصّلتُم بإخباري من أنتم، وما شأنكم هنا؟»

لم يأت الردّ من فمّ، بل من هيبّة تتقدّم.

قال اليكسي الكبير، ودهشته صادقة على نحو يربك: «أنا ملك اليكس «زوراي» لا يمكنني أن أخبرك بمقصدا... لكن هذا حقًا مثير للاهتمام. ماذا يحرس فتى بشري بهذه القدرات هنا،

في غابة اليأس؟ ثم إن شجاعتك جعلتني أشك في مقدار الضغط الذي أستطيع أن أفرضه حولي»

قالت اليكسية القريبة منه وعرفتُ لاحقًا أنها «ميكا»، أميرته وابنته بنبرة تخبئ غيبتها تحت أدبٍ رسمي: «أعلم أن التخاطر نادر عند البشر، يا أبي... لكنه ليس سببًا كافيًا لكل هذه الدهشة»

وقالت اليكسية الأخرى، ولامحها مشدودة كوتر قوس: «لقد فرّرت الحيوانات كلها بسبب ضغط سموه. هل هذا الطفل بخير؟ وفوق ذلك... يمدحه سموه»

كنت أفهمهم جيدًا، أما لساني حين يتعلّق بالأصوات فكان أقلّ طواعية.

بين الأشجار والضباب فهمتُ شيئًا واحدًا لا يحتاج لغة: القوة الرهيبة لصاحب الكيان الأزرق، رغم صغر حجمه.



لمعت عينا «زوراي» ببريقٍ شغفٍ قديم؛ شغف من لا يرى في القتال إلا طريقًا لمعرفة الحقيقة. قال: «أئنني على شجاعتك يا يزن. لقد أثرت إعجابي. ما رأبك بنزالٍ وديّ بينك وبين رفيقتي؟ أودّ رؤية أسلوبك. عليك فقط أن تحاول إصابة رفيقتي التي على يساري «رومي» قبل أن تطرحك أرضًا»

تقدّمتُ خطوة إلى فسحةٍ مفتوحة بين الأشجار. برودة نظرتي لم تكن قسوة؛ كانت تركيزًا. قلتُ: «نزال ودي؟ حسنًا. أوافق على النزال الودي بيني وبين الآنسة «رومي»»

حلّقت «رومي» أمامي، جناحها يضربان الهواء كأنهما يشقانها. ضحكت ضحكة قصيرة لا تحمل فرحًا: «حقًا، سموك؟ إدمانك للمعارك اشتعل الآن؟» ثم حدّثني بنظرة نافذة وأضافت: «تعلم أنني لا أتساهل مع البشر... حتى وإن كان طفلًا. لكن... اهتمامك به أثار فضولي»

رفع «زوراي» يده، وقال بصوت ملكٍ يعرف كيف يحوّل اللعب إلى قانون: «بشهادتي أنا ملك البكس «زوراي»، أقرّ نزالًا وديًّا شريفًا بين الفتى المقاتل «يزن» والفائدة «رومي»»

هبطت يده: «ابدأ الآن»

انطلقت «رومي» كشرارةٍ زرقاء تستهدف رأسي ضربة واحدة لإنهاء الاختبار. قصّرت كل شيء في داخلي: الفكرة، النفس، الزمن. تفاديتها بسرعةٍ تتجاوز الطبيعي. مرّت بجانب كريحٍ حادة، وشعرتُ بدبذبة جناحها تقطع طرف عباةتي دون أن تمسّ جلدي.

شهقت، وامتلاً وجهها بالاندهاش: «كيف...؟ يبدو أنني استهنت بقدراتك القتالية أيها الفتى!»

لم أجب. الحركة كانت جوابي.

اندفعتُ بين الأشجار، أستعمل تضاريس الغابة كأنها امتداد لعضلاتي. جعلتُ المسافة فخاً؛
كلما لحقتُ بي كانت تجدني قد صرْتُ ظلًّا في مكانٍ آخر.

سمعتُ «زوراي» يقول، وصوته يحمل متعة المراقب الخبير: «إن هذا الفتى موهوب. يتقن
التسارع العصبي بثبات، ولا يستهلك حدّه الفكري... مستخدم لفنون الملوك»

قالت «ميكا» بحدّةٍ خفيفة، كمن يصوغ شكّه في سؤال: «هل يبدو لي أنه أسرع منا... أم أن
«رومي» تتساهل معه؟»

لم تتساهل «رومي» طويلاً. رأيتها بعيني وبقراءتي تكوّن كياناً عصبياً بمستوى البشر لتدرك
سرعتي. تغيّر الهواء حولها، وصار وجودها أثقل؛ كأنها أضافت إلى نفسها طبقةً أخرى من
الزمن.

ثم هاجمت.

جئتُ من جانب مجال رؤيتها، قبضةً خاطفة نحو نقطة تُربك التوازن. استعدت، صدت
الهجوم بمعصمها، والتحمنا. تبادلنا اللكمات والضربات بوميضٍ متتابع، وصوت الاصطدام
مكتوم يرتدّ بين الجذوع. تفاديتُ ثلاثيةً من ضرباتها، ثم دفعتُ كتفي الأيمن كحدّ صخرة
صدمةً عنيفةً دقيقة التوقيت.

سقطت «رومي» بعنف، وزحف كيائها العصبي على الأرض لحظة قبل أن يتلاشى. وفي اللحظة التي استعاد فيها جسدها توازنه، كنتُ قد مددتُ يدي ولمستُ رأسها لمسة لا تحمل الأذى، بل تحمل معنى واحداً: انتهى.

قلتُ بهدوء: «هكذا ينتهي الاختبار»

دوّى صوت «زوراي»: «توقّفوا! انتهى النزال الودي بفوز الفتى المقاتل «يزن»!»

نهضت «رومي» من الأرض، ودهشتها تبحث عن موطئ فلا تجده: «هذا... غير ممكن. خسرتُ... أمام فتى بشري»

اقترب «زوراي» مني. كيانه المضيء فرض هيبتته دون أن يرفع صوته. ثم ربّت على كتفي بلمسةٍ عصبية خفيفة، كأنها ختمٌ ملكيّ على كتف جندي. ضحك: «هاهاهه... أحسنت! أحسنت يا يزن! هذه فنون قتال الملوك... تعاليم «ملكة الحقيقة غفلن»، أليس كذلك؟»

ارتبكتُ. لم أتوقع أن يُنطق اسمها هنا، في غابة اليأس، بهذه السهولة. قلتُ: «المعذرة... هل تعرف معلمتي؟»

حلّقت «ميكا» أمامنا، وفي صوتها غيرٌ صريحة هذه المرّة: «أبي، لم أعلم أن لدى البشر من يملك هذه السرعة والقوة. أنت تُثني عليه كثيراً... ثم إن «رومي» لم تستخدم كل قوتها»

أجاب «زوراي» بنبرة لا تهين ابنته ولا تُجاملها: «ابنتي، لم تدركي الأمر بعد. هذا الفتى يستطيع ما لا يعلمه سواي و«غفلن»: قراءة المناهج والتحكم فيها... معرفة الخصائص الحركية والسحرية قبل أن تُولد في الحركة»

ثم ابتسم ابتسامة من يعرف أن الكلمات القادمة ستفتح بابًا قديمًا وقال لي: «كما ترى يا يزن، أنا و«غفلن» بيننا معرفة وصداقة قديمة. وهذا سبب قدومنا. لقد تواصلت مع مملكتنا عبر بحر الأثير قبل أيام... فهلا تفضّلت ورافقتنا إليها؟»

شعرتُ براحةٍ مبالغتة، كأن حجرًا انزاح عن صدري دون صوت. قلتُ وأنا أنحني بقدر ما تسمح به كرامتي وتعب الغابة: «حسنًا، سموّ الملك «زوراي» أرحب بكم. سأفودكم إلى معلمتي»



الفصل الثالث

لقاء و وداع

خرجنا من غابة اليأس كمن ينسلّ من فم رطب. كان الليل يلتصق بالجلد، والنسيم يجرّ معه رائحة حجارة قديمة؛ رائحة جدران تروثغاي حين كانت مملكة لا أطلاقاً. إلى جانبي كان ملك اليكس زوراي يخطو ببطء أثقل من عمره، ومع كل خطوة كانت ملامحه تنكسر قليلاً، كأن المكان يطالبه بما تركه هنا ذات يوم.

قال زوراي، وصوته كالعشب اليابس تحت القدم: «حقاً... كلما عدتُ إلى هذه الجدران، لم أجد إلا أن ألوم ضعفي على ما لم أستطع إنقاذه»

لم تقل ميكا شيئاً. اكتفت أن تطير على مستوى كتفي، صامتة على غير عاداتها، بينما كانت رومي تراقب الطريق كقائدة اعتادت أن تتوقّع الكمين حتى في الهدوء.

عند مدخل مغارة سوداء الفم، رأيتُ تماثيل حُدّام التاج محطّمة، أطرافها مبعثرة كعظام نُبشت من قبر. وبينها... تماثيل لملك اليكس زوراي نفسه، قائمٌ رغم التشققات، ملامحه منحوتة بشباب لا يشبه وجه الرجل الذي يسير معي الآن.

همست رومي، وقد لانت حدّتها للحظة: «أميرتي... أهدأ تماثيل سموّه؟ كم يبدو شاباً»

تلعثمت ميكا وهمست وهي تتجنب النظر إلى أبيها: «يبدو كذلك... أبي ذكر أن له صلةً بهذه المملكة في الماضي، ولا أفضل أن نتكلم عن هذا الآن»

لم يلتفت زوراي، لكنني رأيتُ الانزعاج يصعد إلى وجهه كطلٌّ فجائي. قال ببرودٍ متعمد:
«أستطيع سماعكما. كفى الآن»

تقدّمتُ خطوةً إلى فم المغارة، وأرسلتُ صوتي إليه بالتخاطر كما تعلّمت: «تفضّلوا... يا معلمتي غفلن، لديك زوّار يطلبون رؤيتك»

ما إن دخلنا حتى انفتح لنا قلب المكان: حجرٌ من كريستالٍ شفافٍ يميل إلى زيتيّ عميق، قائمٌ في الوسط، تحيط به حلقاتٌ من زهورٍ نابتةٍ على غير منطلق في جوف الغار. وبالقرب منه كانت تقف غفلن كيانٌ ذهبيّ اللون، لا يضيء بقدر ما يفرض حضوره على الضوء.

شهقت ميكا بإعجابٍ صادق: «ما أكبر هذا الحجر... إنه جميل حقاً»

وقالت رومي وهي تتفحّص غفلن بعينٍ خبيرة: «والأغرب... أن كيانها لا يبعث على الريبة»

رفعت غفلن ذقنها، وفي نبرتها ما يشبه ابتساماً لا تُرى: «يبدو أنك أحضرت زوّاراً غير مرغوبٍ بهم...»

ردّ زوراي كمن يردّ ديناً قديماً: «وأنتِ ما زلتِ عاجزةً عن تهذيب طباعك حتى بعد عشرين سنة. مضى وقتٌ طويل... كيف حالك؟»

قالت بفتورٍ جارح: «كنتُ أظنُّك متَّ أيها العجوز. ها أنت واقف أمامي بصحةٍ جيِّدة... للأسف»

ضحك زوراي، ثم ألقى نظرةً عليّ كأنه يستعين بوجودي ليتحمَّل: «طباعك الحادَّة تجعلني أتساءل كيف استطعتِ تربية تلميذٍ جيِّدٍ كهذا. بدأتُ أغار منك»

قهقهت غفلن، وانتصارها يلمع في الذهب: «كيف لا؟ هذا ابني المفضَّل. احترق بغيرتك»

وقفتُ بينهما كمن عُلق في منتصف شجارٍ لا يليق بمكانٍ مقدَّس. ميكا ورومي تبادلنا نظراتٍ ضيقة؛ ضيقٌ من طفولية ملكهما، ومن لسان ملكة الحقيقة الذي لا يعرف المهادنة.

أرسلتُ بالتخاطر، محاولاً إنقاذ المشهد: «معلمتي... سأذهب لأجَّهز العشاء للضيوف ومكاناً لإقامتهم. عن إذنكم»

قالت غفلن وهي تنظر إلى زوراي بطرفٍ عيني متعالٍ: «أشكُّ أنني سأراهم ضيوفاً»

تمتم زوراي بمرارةٍ ضاحكة: «لم يدلِّني أحدٌ منذ عشرين عاماً... وها أنتِ تفعليها ببضع كلمات»

ابتسمتُ، وقلتُ بالتخاطر وأنا أحاول ترميم ما تكسَّر: «أيها الملك زوراي... قد تكون كلمات سيدتي حادَّة، لكنها على طريقتها سعيدةٌ بحضوركم. لا تنزعج، فهي ليست صادقةً دائماً فيما تقول»

التفتت إليّ غفلن كمن يلسعه الهواء: «أيها الفتى السخيف... تقول ما لا يعينك. سأريك ما يمكن أن تسمّيه سعادة»

تراجعتُ خطوة، وأرسلتُ بسرعة: «للأسف... يجب أن أذهب لتجهيز المائدة ومكان الإقامة.
عن إذن»

قالت ميكا بان دفاع: «سأرافقك»

وتبعتها رومي متدمّرة: «أميرتي... انتظريني»

لم أكن حاضرًا حين خفّت ضجة الخطوات في عمق المغارة وبقي زوراي وحده أمام غفلن، لكنني عرفتُ لاحقًا من صمت زوراي الثقيل، ومن كلمات غفلن التي تركت أثرها في روحي كأظافر على زجاج ما دار بينهما.

تقدّم زوراي بوجهٍ جاد، وقال: «يسعدني أن أراك مجددًا بعد كل هذه المدة يا غفلن. وما زلتُ مندهشًا... ملكة الحقيقة، كيانٌ عصبيّ داخل حجر، وتعتني بطفلٍ بشري... بل وتعلّمينه الفنون المنسية. هذا مستحيلٌ على البشر. من هذا الطفل؟»

هدأت غفلن، كأنها تُسكت ضوءها: «أتذكر يوم استُدعيتُ من سباتي قبل أحد عشر عامًا؟ جاءتني امرأةٌ مصابة... مألوفةٌ على نحوٍ موجه. كانت تحمل طفلًا وهي على شفير الموت، وتردد: «أنقذيه... أرجوك أنقذي طفلي يا غفلن...» استخدمت ما بقي لديها من طاقة وهي تنزف لتوقظني. فأشفقتُ عليها... ووعدتها أن أعتني به»

سأل زوراي، مترددًا: «أكان من سلالة ميراي؟»

غامت ملامح غفلن بحزنٍ ساكن: «يبدو ذلك. في عينيه شيءٌ من ملامحهم... وفي حركته العصبية أترُّ أعرفه. زوراي... كم تحتاج من قادتك لتهمز أحد قادة ملك تاج البشرية «فانمند» دون إصابةٍ شديدة؟»

قال زوراي: «سؤالٌ غريب... لكن القوة تختلف. أفواهم يحتاج إلى أربعةٍ من القادة الرئيسيين»

قالت غفلن بصرامةٍ بلا زينة: «بزن وحده أسقط واحدًا من قادة «فانمند» دون أن يلجأ إلى السحر»

صُعبق زوراي: «ماذا؟ هذا مستحيل! هل يمتلك تاجًا؟»

قالت بهدوءٍ قاسٍ: «لا تكن ساذجًا. لو كان له تاجٌ لرأيتَه. ما زال فتى... ثم إن خادم تاج البشرية هو «فانمند»، ولم يمت بعد»

وتابع زوراي، وقد بدأ عقله يحسب ويخاف في آن: «إن صحَّ هذا... فالنون المنسية، مع سرعة القراءة العصبية للمناهج... قد تجعل المستحيل ممكنًا. إرث ميراي في القتال مخيف. فنون قتال الملوك التحكم بالمناهج لم يصل إليها إلا قلة: «ديفود ميراي»، و«فانمند»، وأنا... بسماحية التاج كصلاحيةٍ لخادمٍ من خدامه. أن يتمكن فتىٌ بشري من فنون الملوك... القدر سيكون قاسيًا عليه»

قالت غفلن: «العالم يراني كنزاً من كنوز ميراي بحالتي هذه، ولا سيما «قائمند» وقادته بعد أن تمكّن منهم الظلام. والآن... بعد أن هزم يزن أحد قادته، سيعلم «قائمند» بوجودي هنا. إنها مسألة وقتٍ حتى يأتي من أجل حجر الحقيقة... ومن أجلي. ولا أريد لابني يزن أن يضلّ الطريق وينغمس في الظلام بسببي»

قال زوراي بحدّةٍ مفاجئة: «أطلبين مني أن أتخلّى عنك وأعتني بيزن؟ لا تكوني ساذجة»

أجابته غفلن بوجهٍ أشدّ قسوةً من الحجر: «ذلك الطفل يافع... وهو كل ما أملك في هذا العالم. إن فقدني، سيفقد طريقه وسط هذا الظلام. أنا لا أنوي أن أفقّ ضحيةً لـ«قائمند» سأعطي قواي ليزن... قبل أن يدركنا هو، أو كل من يسعى وراء قوتي»

قال زوراي: «إن فعلت... ترمينه للوحوش. سيغدو هدفاً لمن يطارد القوة والسحر، خصوصاً فنون قتال الملوك. هذا مصيرٌ قاسٍ لطفلٍ بشري. لا أوافق»

قالت غفلن، وعيناها لو كان لها عينا لربما بدتا خاليتين: «أرى أن يزن سيكون مالك تاج المناهج القادم»

ساد صمتٌ ثقيل. ثم قال زوراي: «على ملكة الحقيقة أن تقول هذا... لكنه طريقٌ قاسٍ. هل تحدثت معه؟»

قالت غفلن: «ليس بعد»

تنفّس زوراي كما لو ابتلع شوّكاً: «سيكون ذلك قاسياً عليه»

في الخارج، تحت سماءٍ حالكةٍ تنثر النجوم كالمسامير، كنتُ أتحرك بين الأشجار بحثًا عن صيدٍ للعشاء. لحقت بي ميكا ورومي، تحومان خلفي بشغفٍ لا يخلو من منافسة.

أرسلتُ بالتخاطر، وفي قلبي قلقٌ لا أعرف له سببًا: «آنستي... أليس الأفضل أن تنتظرا عودتي؟ رياح الليل باردة»

هبطت ميكا فوق رأسي، وقفت على شعري كأنها تملك المكان، ونظرت إليّ من على: «لا تتعال علينا أيها البشري. ذلك الاختبار لم يعن لي شيئًا. ثم إن رومي لم تستخدم كل قوتها»

قالت رومي بسرعةٍ كمن يطفئ شرارة: «أميرتي... هو لم يذكر الاختبار أصلًا. ونحن شاكرون لخروجه معنا»

تأملتني ميكا لحظة، ثم قالت بنبرةٍ تُخفي ارتباكًا: «أعلم... لكني لا أحب أن أحمل شيئًا في نفسي. من يراك تقاتل لا يظنك طفلًا. ثم... شعرك غير مرتب» ومدّت يدها الصغيرة تحاول ترتيبه، خفيفةً كنسمةٍ تُخفي فضولًا. «سؤال: حين تتواصل بالتخاطر... ألا يُتعبك؟»

قلتُ بالتخاطر، وقد تسللت إلى وجهي سخونةٌ خجلٍ قديم: «تعلمتُ ذلك من معلمتي غفلن. ولستُ جيدًا في التواصل الشفهي... لا أعرف كيف أُخرج الحروف الصوتية على نحوٍ صحيح»

قالت رومي، وهي تفكر بصوتٍ واضح: «غريب... نحن نفهم التخاطر والشفهي، ونُرسل أفكارنا شفهيًا. أما أنت أنت وغفلن فتفهمان الاثنين ونُرسلان بالتخاطر»

هزّت ميكا رأسها كمن يراجع درسًا: «التخاطر يختصر زمن الوصول... ومسافته تتبع مهارة المستخدم في التحكم ببحر الأثير. أُمي تتواصل معنا بهذه الطريقة. ما رأيك أن أعلمك إخراج الحروف؟ أعدك... سيكون ممتعًا»

قطعت رومي الجملة، وحدهُ القائدة عادت إلى صوتها: «أميرتي... ليس من اللباقة أن أقولها هكذا، لكن... لا ينبغي لنا نحن اليكس أن نتورط مع البشر»

تجمّدت لحظةً، لا لأن الكلام جديدٌ عليّ، بل لأنني لسببٍ لم أفهمه كنت أريده ألا يُقال أمامي.

قالت ميكا بحدةٍ مضبوطة: «رومي... لا تكوني قاسية. أبي أعجب به. ثم إنه يختلف عن البشر في تعامله معنا... فتت مهذب. والآن...» خفّضت صوتها حتى صار همسًا يلتقطه القلب لا الأذن: «لدينا صيد... أرنبٌ ذو قرنين»

بين نباتاتٍ رطبة تننفس طلغًا وندى، ظهر الأرنب الأبيض، بعينين زرقاوين تلمعان كحجرين في ماء. اختبأت خلف شجرة، ووقفت ميكا ورومي على كتفيّ كأنهما ظلان خفيان.

أخرجتُ نصلين من عتادي، وقلتُ بصوتٍ يكاد لا يُسمع: «الآن...»

أطلقتُ النصل كأنه فكرةٌ حادة. لم يدرك الأرنب وجودنا إلا حين سقط.

بعد أن أعددنا الأرنب للعشاء، عدنا إلى المغارة. ربطتُ شعري وغسلتُ يديّ، ثم بدأتُ عملي كما تعلمته: تقطيعٌ دقيق، وخضرواتٌ مرتبة كقطع شطرنج، وأعشابٌ ذكية الرائحة تُسقط

على الماء الساخن بميزانٍ لا يخطئ كثيرًا. أضفتُ ملحًا صخريًا، ولمسةً صغيرةً من عسل نحل الجبال، ثم شويْتُ اللحم على حجرٍ ساخن حتى بدأ يطلق رائحةً تملأ الغار وتقتحم الصمت.

كانت ميكا تراقبني بعينين تلمعان: «يبدو لذيذًا... لم أعلم أنك تجيد الطبخ. كيف تتقنه وأنت تأكل وحدك؟»

قلتُ بالتخاطر: «اشكري معلمتي غفلن. جعلتني أتعلم الطبخ منذ الصغر... كانت تترقب دائمًا طعامًا جديدًا، حتى وهي لا تأكل»

ارتبكت ميكا قليلاً: «هذا... غريب، أليس كذلك يا رومي؟»

لم تجب رومي. كانت تحدِّق في اللحم، والبريق يملأ عينيها، واللعبا يخين هيبتهما على أمل أن ينتهي الطهي.

قلتُ في نفسي، وأنا أراقبها بدهشةٍ حذرة: (إذن... اليكس لا يمانعون اللحم).

همست ميكا، وهي تلمح جوع رومي المكشوف: «رومي... هذا مخيف»

أمام حجر الحقيقة، رتبت ميكا ورومي المكان. جلسنا على الأرض حول المائدة، وبدت المغارة للحظةٍ قصيرةٍ كبيتٍ حقيقي.

قال زوراي وهو يتشمم: «يبدو أننا على موعدٍ مع وليمة. لحم أرنب... ويبدو شهياً»

اقتربت غفلن مني، وتحدثت بتعالٍ مصطنع يخفي رصًا واضحًا: «هذا طعامٌ اعتيادي لنا. وبضآلةٍ حجمك أيها العجوز يبدو وليمةً لك. مم... حقًا رائحته طيبة. أحسنت يا يزن... لقد استحققتَ مديحي»

اندفعت رومي إلى الطعام، خصوصًا اللحم، وقالت وهي تمضغ كمن يخشى أن يُنتزع منه الطبق: «شهي... شهي جدًا يا يزن! ربّ منزلٍ مثالي!»

ابتسمتُ ابتسامَةً نظيفة، وقلتُ لا أدري أكانت فكرةً أم صوتًا مكتومًا: «شكرًا...»

ابتسمت ميكا ابتسامَةً بائسة وهي تجرّ كلمتها جرًّا: «قائدة الشرف، رومي...»

رفع زوراي حاجبه: «طعامٌ اعتيادي لكم؟ غفلن... أنتِ لا تأكلين. كيف يكون اعتياديًا لك؟»

مدّت غفلن يدها ولمست عنقي بلطفٍ مربك، وقالت: «لا تقارن نفسك بي أيها العجوز. أقرأ إشارات التذوق والرائحة من الإشارات العصبية ليزن... فأدرك الطعم والقوام. يزن... كلُّ من اللحم، ودع هذا»

تصلّب زوراي دهشةً: «تستخلصين الأحاسيس من الإشارات العصبية؟ هذا صعب... أقرب إلى المستحيل حتى لي. لقب «ملكة الحقيقة» ليس للزينة كما يبدو. لكن... ألا تُثقلين على يزن بهذا؟»

قالت ميكا بضيق: «أبي... ألا تعرف اللباقة؟»

لم تجب غفلن. اكتفت أن تربت على شعري، كأنها تسكت شغبًا في داخلي.

قلتُ، مترددًا: «ليس أمرًا جليلاً يا سمو الملك. في البدء كان وخرًا... الآن لا أدير له بالاً»

ابتسمت غفلن، وبدت راضيةً عني كما لو كنتُ أتممتُ طقسًا صغيرًا: «نعم... أثقل عليه باستعارة القليل من الإشارات العصبية من ابني يزن» ثم انخفض صوتها فجأة، وصار فيه فراغٌ يبرد: «هو... أعاد لي الإحساس بالحياة. أنقذني من وحدتي الموحشة في مغارةٍ مظلمة... محبوسة مع هذا الحجر الملعون، لا أستطيع حتى إنهاء حياتي. لا أدري ما مصيري من دون يزن... وأنا شاكرةٌ للقائه. أنقذني من الضياع»

أرسلتُ إليها بالتخاطر، وصوتي يختنق بما لا أعرف تسميته: «... معلمتي»

قال زوراي، كأنه يريد أن يقطع الحبل قبل أن يشتدَّ: «على أي حال... يجب أن ننام بعد الطعام. أمامنا يومٌ طويلٌ غدًا»

في صباح اليوم التالي، تشابكت أشعة الشمس على أرض تروثغاي، تلمس الجدران البالية كأنها تحاول ستر ما سيفضحه القدر. استيقظنا على نورٍ بارد، ووجدتُ غفلن واقفةً أمام حجر الحقيقة، تتحسّس بطريقتها تغيراتٍ منهجيةً طفيفة في الأرجاء.

جلسنا جميعًا قبالتها: زوراي، ميكا، رومي... وأنا.

في تلك اللحظات التي بدت آمنة، تغيّرت ملامح غفلن. ثقلٌ غير مرئي انصبّ في الهواء، حتى إنني شعرتُ به على لساني كقطعٍ معدني. رأيتُ زوراي ينتبه؛ ذلك النوع من الانتباه الذي لا يأتي إلا لمن عاش الحروب.

سأل زوراي: «غفلن... أهنالك خطبٌ ما؟»

نظرت إليه بجديّة لا تحتمل المزاح: «زوراي... لقد حان الوقت»

انقبض وجه زوراي: «... هل هو قائمندا؟»

لم تجب إلا بكلمةٍ كانت كافيةً لتطفئ الدفء: «نعم» ثم التفتت إليّ: «يزن... تعال هنا يا بني»

عندها فهمت ميكا ورومي أن الاسم ليس عابراً. وقفتُ أمام غفلن، وخلفها حجر الحقيقة وسط الزهور. بدأ ضبابٌ ذهبي غير ساطع يتجمع حول الحجر، يزداد كثافةً كأنه نفس يتعاضم قبل الصراخ.

رفعت غفلن يديها وبسطتهما، ثم جمعتهما حولي. ارتفع صوتها وملاً الأرجاء كنداءٍ قديم:

«أنا غفلن إيفنايت... ملكة الحقيقة، حارسة كنز ميراي وخادمة عرشه. أُسلم أقدم كنوز ميراي... إلى آخر سلالته: يزن. آسفةٌ لأنه سيحمل عبء الكنز ولعنته، ليخدم الحياة ويقود من ضلّوا الطريق... ليربط من عاش فيها بمستقبلٍ حقيقي»

ازداد الضباب الذهبي، وبدأ ضوء حجر الحقيقة يصعد شيئاً فشيئاً.

حدّقتُ فيها، والدهشة تُصدّع رأسي: «ما الذي تفعلينه يا معلمتي؟ ماذا تقولين؟»

رأيتُ الحزن يعلو وجه زوراي. تقدمت ميكا نحو أبيها بحيرةٍ تبحث عن إجابة، لكن رومي أمسكتها بسرعة: «أميرتي... توقفي»

وحين التفتت ميكا إلى زوراي رأَت الدموع على وجهه دموعًا على وجهٍ ظلّ طويلًا صامدًا.

همست ميكا: «أبي... ما الذي يحدث؟»

اندفع وهج الحجر فجأة. تحرّكت المناهج حوله بعنفٍ أشبه بعاصفةٍ بلا ريح، بينما كان الضباب يزحف على الأرض والجدران بلامسةٍ باردة. وضعت غفلى يديها على كتفي.

قالت بصوتٍ حاول أن يكون ثابتًا وفشل: «بني يزن... سأسلّمك ما يدعونه كنزًا وما أسميه لعنة. هذا قدرك يا بني. وأنا آسفةٌ لما سأحمّلك... لكنه خيارى الأمثل كي لا ينهار عالمنا في الظلام. ليس لدينا وقت. اسمعني جيدًا»

ارتجف شيءٌ في صدري؛ هذه أول مرة أرى معلمتي القوية التي لا ينال منها شيء بهذا الضعف المكشوف. أرسلتُ بالتخاطر، وخوفي يسبقني: «لماذا تتحدثين هكذا؟»

قالت: «فإنمند علم بمكاني. لا بد أنه قادم بنفسه للحصول على حجر الحقيقة... وعلى قواي. لذلك... سأعطيك الكنز، وقواي أيضًا»

قلتُ، وأنا أقاوم ارتجاف جسدي: «لا يهم ما سيحدث، سأتصدى له ولأتباعه. سأرفع عنك اللعنة... سأحررك منها. أرجوك... لا تيأسي»

فقد صوتها رباطه. صار جهوريًا، لا لأن فيه قوةً بل لأن فيه فزعًا: «يزن، توقّف الآن! مهما قاومتني سنفقد كل ما لدينا. وأنت أعلى ما أملك، ولن أسمح بذلك أبدًا. عليك أن تصبح حامل الكنز... وتراجع بعيدًا من هنا مع زوراي ورفاقه. سيعلمك كيف تتعامل مع الكنز وفنون قتال الملوك. اسمع آخر كلماتي... أرجوك»

كلمة «آخر» ضربتني كحجرٍ في الماء. رأيتها تتردد داخلي، تتشاجر مع كل شيء أحببته في هذه الحياة الضيقة داخل مغارة.

قال زوراي، وصوته مكسورٌ بقدر ما هو حازم: «يزن... غفلن حسمت أمرها. افعل ما تطلبه... لقد ضاق وقتها»

لم أستطع الرد. خرجت دموعي بلا إذن، كأن جسدي يسبق عقلي إلى الفقد.

ازداد الحجر وهجًا، ثم انبثق منه ضوءٌ ذهبي اخترقني. شعرتُ أنه يكتب في جسدي يعدّل المناهج بسرعةٍ موجعة، كمن يبذل خرائط الروح بالقوة. اتسع وجهي للحرارة، ثم بردت أطرافي، وحين رفعتُ بصري رأيتُ انعكاسًا خاطفًا... عيناها صارتا ذهبيتين.

وفي المقابل كان حجر الحقيقة يفقد ذهبه.

انهرتُ. جلست غفلن على الأرض وهي تمسك بي، وأنا منهكٌ كمن حمل جبلًا في صدره.

ابتسمت ابتسامَةً حزينة: «لقد تحوّل الكنز من الحجر... إلى عزيزي يزن. الآن سأحوّل قواي إليه. وبذلك... سيكون وداعي»

التصقّتُ بها، وبكيّتُ بنفّيسٍ متصاعد: «سيدتي... أرجوك... لا تتركيّني... وحيدًا... أرجوك...»
ضمّنتني، وبدأت طاققتها تنتقل من الجوهرة إلى أعصاب جسدي. كانت تتلاشى شيئًا فشيئًا،
كما يتلاشى الدفء من يدٍ تُسحب ببطء.

رَبّبت على شعري، وابتسمت بفخرٍ خفيفٍ لا يليق بالرحيل: «أنا شاكِرةٌ للقاءك... عشتُ معك
أراقبك وأشاركك حياتك. لطالما أحسست أنك ابني... هذا ما أعاد إليّ دفء الحياة بعد أن
فقدته. غريب... أليس كذلك؟»

قلتُ، وأنا أقاوم الغيبوبة التي تسحبني: «أنا... أراك... أمي... لا... تتركيّني...»

قالت، ووصاياها تتساقط كحباتٍ دافئةٍ على قلبٍ يرتجف: «يزن يا بني... أحسن ولفظ. راع
مشاعر الآخرين. أنقذ ما استطعت أن تنقذ. ساو بين أجناسهم. ولا تتكبر على من هم أضعف
منك... لأننا جميعًا نخدم الحياة. وكُلُّ طعامك بانتظام... ونَمُّ مبكرًا... وأحسن صنع نفسك...
وكن شاكِرًا لما أعطتك الحياة»

لم أستطع سوى أن أتنفس بصعوبة، وأن أومئ كَأَن رأسي أثقل من جسدي.

التفتت إلى زوراي: «زوراي... وليئكَ أمر ابني يزن. وأنا شاكرةٌ لحضورك. وأتمنى لك أن تُنقذ
كونزيت وفانمند»

قال زوراي بوجهٍ صريحٍ كالسيف: «لكِ وعدي أن أعتني به... كما اتفقنا»

ثم نظرت إلى ميكا ورومي: «ميكا... رومي... سأكون شاكرةٌ إن ساندتما ابني يزن. أعتمد
عليكما في تعليمه... فهو جاهلٌ بأمورٍ كثيرة»

قالتا معًا، وفي الصوت احترامًا لا جدال فيه: «نعم، سيدتي»

كان وعيي يتسرب حين شعرتُ بغفلن تضمّني للمرة الأخيرة.

قالت، وابتسامتها ممتلئة بالرضا: «وداعًا... ابني يزن»

ثم جاء صوتٌ لم يشبه شيئًا في حياتي: تشقُّقٌ يتبعه تحطم. انكسر حجر الحقيقة، وحمل معه
الضباب المضيء كأنه ينطفئ إلى الأبد.

غبتُ.

حين فتحتُ عينيّ نصف فتحةٍ داخل ظلامٍ ثقيل، كان جسدي يشعُّ بضوءٍ خافت أدرًا لما نُقل
إليّ. ورأيت زوراي يفعل ما لم أتوقعه: فعّل كيانه العصبي على هيئة إنسانٍ بمستوى البشر؛
تمددت قامته وتبدّلت تفاصيله كما لو أن جسده يتذكر شكلاً قديمًا. لقني بعباءة، وحملني
على كتفه.

كان وجهه مغموسًا في ظلمةٍ لا علاقة لها بالليل. قال بصوتٍ جهوريٍّ لا يقبل نقاشًا: «ميكا، رومي... احمل كل ما يلزم يزن. سُنْخُلي المنطقة. استعدّا. سأحمل يزن معي... ولننطلق»



الفصل الرابع

استقبال مملكة البكس

وقت الظهيرة، عند فم المغارة المطلّ على غابة اليأس الجنوبية، كنتُ غائبًا عن الوعي، ومع ذلك أعرف كما لو أنّ الكلمات علّمتني طريقها إلى ما لم أراه كيف اصططقت ميكاً ورومي قرب جسدي، وكيف رفعني ملك البكس زوراي بحذرٍ لا يليق بكتفي عملاق.

فعلّ زوراي «كيانه العصبي» ذلك الجسد الهائج الذي يكبر دفعة واحدة حتى يصير بمستوى عملاق ورأيتُه في ما دوّنته لاحقًا يلتقط الأنقاض ويسدّ مدخل المغارة الوحيد. كانت حركة الصخور تطرق الهواء طرّفًا، وكلّ صخرة تُغلق فتحة النور كأنها تُغلق صفحة من تاريخٍ أراد أن يبقى مفتوحًا. وفي وجه زوراي، وهو يغرس آخر حجر في الفتحة، مرّت ظلال ذكرياتٍ ثقيلة؛ أرضٌ كانت حيّةً مشعّةً ثم صارت كفاً باردةً للعدم.

قال، وصوته يشبه حجرًا يتدحرج في بئر عميقة: «بعدما دفنتُ كلَّ من أحببتُ في هذه الأرض... حقًا إنّ الزمن يسخر منّي»

ثم أعاد «الكيان العصبي» إلى هيئة الإنسان، وحملني على كتفه مغطّيّ بعباءة سوداء. كان ينظر إليّ من داخل صمته، كأنني لستُ جسدًا فحسب، بل وصيةً أثقل من جسدي.

قال بحزنٍ لا يحاول إخفاءه: «آمل أن تسامحني يا يزن. رومي، ميكاً... أخفيا كل أثرٍ لوجودنا حتى لا يلاحقنا أحد. سننطلق بسرعة نحو مملكة البكس»

أجابت ميكا، وسمعتُ رنين طاعتها قبل الكلمات: «حسنًا يا أبي...»

وقالت رومي، بنبرةٍ عسكرية محكمة: «أمرك سموك»

خارج حدود مملكة تروثغاي، على أرضٍ رطبة تحت أشجار غابيةٍ ندية، كانت الريح تدفع الأغصان كأنها تُزِيح ستائر مسرحٍ شاسع. براعم صغيرة تشق طريقها إلى الضوء، وتبدو حتى في هذا العالم كأنها تُجرب الإيمان مرّةٍ أخرى.

انطلق زوراي بـ«كيانه العصبي» حاملاً إِيَّاي، وجلست ميكا على كتفه الأيمن ورومي على الأيسر. كُتًا نعب الغابة بسرعةٍ تُمَرِّق المسافات؛ نتفادى الجذوع كظلالٍ تسبق نفسها، وكأن الأرض تكاد تلحق بخطانا ولا تُدرك.

وبعد يومين من الترحال، تحت سماءٍ ليلية صافية، خَفَّف زوراي سرعته في بقعةٍ تتكاثف فيها الأشجار قرب ينبوع ماء. هنا هدأ هدبر المطاردة، وصار للصمت نَفَس.

توقّف زوراي، ونظر إلى ميكا ورومي: «حسنًا، سنقيم اليوم هنا»

وضعني برفقٍ على الأرض، وأوقف «كيانه العصبي» انطفاً ذلك التوتر الخفيّ الذي يتركه السحر في الهواء حين يهدأ فجأة.

وضعت ميكا محرمّةً مبتلةً على جيبني. كانت يدها خفيفة، لكن في خفتها ارتجافٌ لم تشأ الاعتراف به: «أبي... لم يفق يزن منذ يومين. هل سيكون بخير؟»

قال زوراي، وهو يراقب وجهي كما لو كان يقرأ خطوط قدرٍ لا يحبّه: «سيصعب على جسد فتى أن يتقبّل كل هذه القوى وتغيّر المناهج في وقتٍ واحد. آمل أن يتمكّن جسده من الثبات... فنحن على مقربةٍ من حدود مملكة اليكس»

أوقدت نار المخيم، وجّهزت رومي العشاء، ثم انطفأت الأصوات واحدًا واحدًا، كأن الغابة تبتلعنا لتُخفي أثرنا.

في اليوم التالي، ونحن نتوغّل عميقًا في الغابة بخطى سريعة، بدأتُ أستجمع إدراكي. لم أفق تمامًا بعد، لكنني شعرتُ بالعالم يعود إليّ على هيئة ومضات: رائحة الخشب الرطب، خشخشة أوراقٍ بعيدة، وخيط حرارةٍ ينسحب من عروقي.

وقفنا عند هضبةٍ وسط الأشجار تطلّ على حدود مملكة اليكس.

قالت ميكا، وفرحها يسبق جناحيها: «أبي، انظر... لقد وصلنا»

ومن هناك رأيتُ المملكة كما تُرى الأسطورة حين تنزل من فم الرواية إلى العين: شجرتان عملاقتان متعانقتا الجذوع والأعصاب، تتسع قمتهما كقبة فطرٍ هائلة تمدّ ظلّها على الأفق، كأنهما تريدان ابتلاع السماء واستقبال دفء الشمس معًا. تحت ذلك السقف الأخضر، كان الضوء يتكسّر على أوراقٍ لا تنتهي، فتتماوج الظلال على الأرض وعلى أسقف البيوت الصغيرة كأموّاجٍ من نور فوق بحرٍ ساكن.

وفي قلب المملكة انتصبت «الشجرة الأم»، تحيط بها ستة أعمدة سحرية بارزة من جذورها على شكل سداسي؛ حدودٌ دفاعية لا تُرى قوتها إلا حين تتخيل ثمن الاقتراب منها. جذورها العنقودية تلتف حول المحيط كأذرعٍ قديمةٍ تحرس أبناءها.

رأيتُ اليكس يخلِّقون في الأرجاء: من يعمل، من يعتني بالنباتات، من يتاجر، وأطفالٌ بين لعبٍ وتعلُّمٍ للطيران. كان المجتمع متناسقًا كخليقة لا تنام، والطبيعة هنا ليست خلفية... بل بيتٌ يتنفس.

اقترب زوراي بكيانه العصبي من الحدود، فصادفنا ثلاثة من حراس الاستطلاع يتجولون في المنطقة.

لمح أحدهم زوراي من بعيد، وقال بدهشةٍ تلمع في صوته: «همم؟... سمو الملك قد عاد. كأنه يحمل أحدهم؟»

وما إن فهم رفيقاه حتى انطلقوا لاستقباله. انحنى قائد المستطلعين: «مرحبًا بعودتك، سمو الملك، وسمو الأميرة، والقائدة رومي»

قال زوراي: «شكرًا على خدمتكم»

وقالت رومي، وهي تتقدّم خطوة: «سموِّك، دعني أحمل وزن عنك من هنا»

أوماً زوراي، ثم قال بجدِّ يعرف كيف يخبئ القلق في صيغة أمر: «حسنًا. يجب أن أبرد وجود يزن هنا للكبار. ميكا، رومي... احرصا على الاعتناء به. ولا تفعلًا سحرًا بالقرب منه؛ المناهج ليست مستقرة في جسده وحوله»

قالت ميكا: «حسنًا أبتاه»

وقالت رومي: «حسنًا... سموك»

فعلت رومي «كيانها العصبي»؛ سماويّ اللون، ذو عينين بيضاوين، بمستوى البشر. حملت جسدي، ومع أول خطوة داخل المملكة بدأت أسمع من بين الغياب همسًا متقطّعًا كوقع قطراتٍ على حجر:

«الملك قد عاد...»

«ماذا يحملون؟»

«يبدو أنه بشري...»

«لا يمكن... بشري هنا؟!»

«هل هو طفل؟...»

افترق زوراي عنّا متجهًا إلى مجلس القادة، بينما أخذتني رومي مع ميكا إلى «الشجرة الأم»، إلى جوفٍ واسعٍ في قلبها يُستعمل كقاعة.

أمرت ميكا بتجهيز المكان لمكثي. وضعوني على فراشٍ من صفائح الشجر الأخضر مغطى بقماش. كنت في تلك الحالة أُسْرَب حركةً منهجيةً من جسدي؛ كأن السحر يتنقّس من

مسامّي. الغبار حولي اكتسب طاقةً تسارعية، فصار يلمع بضوءٍ ذهبيّ خافت يعلو ثم يهبط تدريجيّاً... حتى انطفأ واستقرّت القوى في داخلي، أو هكذا ظنّوا.

وفي مساء ذلك اليوم، في جوف الشجرة الأم... أفقتُ.

فتحتُ عينيّ على ظلمةٍ دافئةٍ تتخلّلها رائحة خشبٍ عتيق. خرج صوتي مكسوراً: «آه... ما هذا... أين أنا؟ معلمتي غفلن...!»

ثمّ جلستُ فجأةً كمن تذكّر أنه كان يفرق. حدّقتُ حولي: جوف شجرة، سقفٌ ينبض بالحياة، وجدرانٌ تلمع فيها عروقٌ كأنها شرايين.

همستُ، والتردد يمسك لساني: «ما هذا المكان؟... جوف شجرة... كنتُ في المغارة عندما...»
اتّسعت عيناوي.

وفي تلك اللحظة لم أحتج إلى تفسير: أدركتُ ما حلّ بغفلن. نظرتُ إلى يديّ، وسقطت دموعٌ دافئة ثقيلة كأنها تُجرّ نفسها جرّاً إلى جلدي. جاءت الذكريات ناقصةً، هائجة، تتعثر في الحقيقة ثم تنهض لتكذبها... لكنها لم تستطع. القلب يعرف ما لا تريد الذاكرة الاعتراف به.

مسحتُ دموعي بصمت. مرّةً بعد مرّة. حتى صار المسح عادةً بلا جدوى، و صار البكاء زمناً. مرّت ساعاتٌ وأنا منغمسٌ في حزني، إلى أن جفّت عيناوي، وبقي الجفاف كلسعة لا تُرى.

هناك، في تلك الفجوة التي تركتها غفلن، وُلدت الوحدة في قلبي.

ومن خلف النسيم الهادئ القادم من خارج الجوف، شعرتُ بعيونٍ تراقب. التفتُّ، فرأيتُ ظلالاً صغيرة عند المدخل: يكسُّ متوجِّسون، يختبرون وجودي كما يُختبر دخانٌ غريب داخل بيتٍ مألوف.

قلتُ في نفسي، وأنا أرتب الدهشة على هيئة سؤال: «يكس؟... إذن أنا في أرض الملك زوراي»

دخلت تحلّق نحو يِكسية كبيرة السن، يسبقها احترام من حولها، يرافقها عددٌ من اليكسيات يحملن طعامًا وشرابًا. كان التوتر في المكان كخيوطٍ مشدود.

قالت بلامح جادّة: «مرحبًا بك أيها البشري في أرض مملكة اليكس. كيف حال جسدك الآن؟ كانت حرارة جسمك مرتفعة جدًّا»

كانت جفون عينيّ محمّرة. ابتسمتُ ابتسامَةً صغيرة لا تليق بحزني، وأرسلتُ كلامي بالتخاطر: «أنا بخير الآن، شكرًا على سؤالك. أنا يزن... وأعتذر عن إزعاجكم وتحملكم عناء الاعتناء بي»

اتّسعت دهشتها، وقالت: «تواصل بالتخاطر! لقد أخبرتنا سموّ الأميرة ميكا عن هذا... أعتذر عن تأخير تعريف نفسي. أدعى ديميتا، وأنا وهؤلاء خادمت سموّ الملكة كوزنيت. سنكون مسؤولات عن خدمتك أثناء بقائك هنا، سيّد يزن»

أجبتها بتقديرٍ ممزوجٍ بحرج: «سُعدتُ بلقائك مدام ديميتا، وآنساتي... شكرًا لكم على رعايتكم»

رأيتُ وأنا أكتب هذا الآن كيف تبدّلت ملامح ديميتا والخادِمات من توتّرٍ حذرٍ إلى طمأنينةٍ تدريجية. أدبي لم يكن قناعاً؛ كان آخر ما تبقي لي من تربيةٍ تتداعى تحت ثقل الفقد.

قالت ديميتا، وقد لان صوتها: «لباقتك تكشف حسن أدبك وسلوكك. مرّ وقتٌ منذ رأيت ضيفاً بهذه الرهافة... فاجأتني، أيها البشري الصغير»

أرسلتُ بتواضعٍ لا يداوي شيئاً لكنه يمنع الجرح من التوحّش: «لستُ أهلاً لمديحك، مدام ديميتا. أنا شاكرٌ لكم»

قالت بخجلٍ خفيف: «أخجلتني بتواضعك. وقد أمرتنا الأميرة ميكا أن نحسن ضيافتك. ويبدو أنك لم تتناول الطعام منذ أيام... لذا تفضّل. أرجو أن ينال إعجابك»

أكلتُ بمهل، لقمةً لقمة. وما إن لامس الطعام فمي حتى خانتني العين؛ كأن الجسد، حين يجد دفئاً، يتدكّر فجأةً من كان يطعمه في لحظات ضعفه. تساقطت الدموع على يدي بصمت، ومع كل لقمة كانت صورة غفلن تعبر بيني وبين الواقع، تمرّقني دون أن ترفع صوتها.

انتبهتُ لنفسي، ومسحتُ دموعي على عجل. قلتُ، ووجهي محمّر: «اعذريني... عمّا يبديه وجهي وأنا أتناول طعاماً طيباً كهذا»

قالت ديميتا بجدٍّ لا يخلو من حنانٍ خفي: «ليس هناك عذرٌ أقوى من قلب طفلٍ صادقٍ في حزنه. كلُّ على مهل، ولا تضع لنا بالألّا. إنه لفخرٌ لنا أن نخدمك، سيّدي الصغير»

خَفَّ ضغط التوجُّس في الجو. بعض اليكس ظلَّ يراقبني بحذر، لكن الحذر تبدَّل عند آخرين إلى شيءٍ أقرب إلى احتراجه صامت لأن الحزن الصادق لا يطلب إذناً ليكون.

ما إن انتهيتُ حتى دخلت الأميرة ميكا مسرعةً، تحلَّق كأنها تخشى أن تتأخر ثانية، وخلفها القائدة رومي.

قالت ميكا بلهفة: «يزن، هل أنت بخير؟ هل تشعر بشيءٍ غير طبيعي؟»

أجبتها: «الأميرة ميكا... أنا بخير الآن، شكراً على قلقك. أشعر ببعض الاختلاف... لكن يبدو أنني على ما يرام»

نظرت رومي إلى ميكا، وابتساماً ماكرة تلتمع في طرف عينيها: «آه... يزن. لو علمت كيف كانت الأميرة قلقة عليك... لم تفارقك حتى انخفضت حرارة جسدك. كانت حزينةً لأجلك»

احمرَّ وجه ميكا حتى كاد يفضح قلبها، وحدقت برومي بغضبٍ لا يعرف كيف يكون مقنعاً: «روووومي! أنا لم أفلق عليه أبداً... ولا حتى لدقيقة!»

تقدّمت ديميتا خطوة، وقالت بنبرة هادئة تقطع الحيلة كما يقطع السكين خيطاً: «أحقاً؟ هذا غريب... فلم لم تفارقي السيّد يزن حتى أصررتُ عليك أن تأخذي قسطاً من الراحة، أميرتي؟»

صرخت ميكا، والغيظ يسبق الكلمات: «أنتِ أيضاً يا ديميتا؟ أيتها الخائنة!»

ضحكت رومي، وضحكت الخادمت بصمتٍ متواطئ. امتلأ المكان بهجّةٍ قصيرة، لكنها كانت كافية لتذكّرني أن العالم رغم كل شيء ما زال قادرًا على منح ضوءٍ صغير لمن ينزف.

قلتُ ممتنًا: «شكرًا على قلقك، الأميرة ميكا... وشكرًا لكم جميعًا»

حلّقت ميكا فوق رأسي، متدمّرة وهي تحاول أن تستعيد هيبتها: «من الآن وصاعدًا سأعلّمك التواصل الشفهي يا بزن، حتى يفهمك الجميع دون تردّد. كن مستعدًا... لكن قبل ذلك، يجب أن تلتقي بكبار البكس. إنهم يودّون التعرّف عليك»

في تلك اللحظة دخل يكسيّ شاب لا يملك جناحين، يمشي على قدميه. كان يشبه ميكا في الملامح، غير أن الغموض على وجهه أشدّ، ونظرته جادّة كحجرٍ مصقول. تغيّر الهواء حوله؛ حتى الخدامات أخلين الطريق تلقائيًا بينه وبينه. ووقفت رومي بهدوءٍ يترقّب.



قال الشاب، بصوتٍ موزون لا يبذد المسافة: «ليس من المعتاد أن يهتّم أبي وميكا بمن ليسوا من بني جنسنا. لذلك جئتُ لأقدّم نفسي. أنا الأمير كلاود، ابن زوراي. أيها البشري... أرحّب بك في مملكة اليكس»

أرسلتُ له بتخاطيرٍ جادّ: «أنا يزن، تلميذ ملكة الحقيقة غفلن. أشكركم على حسن استضافتكم»

رفع حاجبه قليلاً: «تخاطرٌ ذهني... كما هو متوقّع من تلميذ ملكة الحقيقة. أقدمّ خالص تعازينا الحارة. من المؤسف أن يفقد العالم ملكة الحقيقة غفلن»

ابتلعتُ الكلام الذي لا ينفع، وأجبتُ بصمتٍ يثقل الحروف قبل أن يخرجها: «شكراً لك، سموّ الأمير»

التفتت ميكا إليه بسعادة: «أخي كلاود! لقد أتيت. كيف كان تدريبك؟»

تردد لحظةً، كأن التدريب ليس ما يشغل قلبه فعلاً: «كان... جيداً. أرسلني أبي لأحضر يزن إلى اجتماع الكبار. علينا أن نذهب، إن كان يزن قد تعافى»

وقفتُ، وشعرتُ بجسدي كأنه يختبر وزنه من جديد: «أنا بخير الآن. يمكنني الذهاب»

قال كلاود: «جيد. ميكا، رومي... هيا بنا»

قالت رومي، بصوتٍ منخفض: «حسناً... سموك»

شكرنا ديميتا والخادمت، ثم توجهنا إلى الشجرة الأم التوأم، حيث مجلس الكبار ولقاء الملك زوراي. في الطريق كانت نظرات اليكس تتبعني: فضولٌ، إنكارٌ، وقلقٌ مكتوم. كنتُ بشراً يمشي في قلب حكايةٍ ليست له، وهذا وحده يكفي ليصير وجودي سؤالاً.

عند بوابة مجلس الكبار وقف حارسان من اليكس يرتديان دروعاً من الفضة، يحمل كلُّ منهما صولجاناً. ارتفع صوتهما معاً يملأ الأرجاء: «الأمير كلاود زوراي، والأميرة ميكا زوراي، والقائدة رومي، والبشري يزن... يدخلون بأمرٍ من سعادة الملك!»

دخلنا قاعة مجلس الكبار: واسعة، دائرية، بنوافذ شمسية مضيئة من جهتين. أرضيتها زرقاء، وتحت أقدامنا بساطٌ أحمر يقود إلى مركز القاعة. رأيتُ أربعة من كبار اليكس على مجالس

خشبية، وخامسهم الملك زوراي في المنتصف. وقفت رومي في صفّ القادة بوضعية عسكرية.

قام زوراي من مجلسه مستقيلاً: «أرحّب بك في مملكتي يا يزن. أرفع إليك تعازي الحارة، وآمل أن تسامحني لما حصل لحكيمة الحقيقة غفلن»

ولمّا وقف زوراي، وقف الجميع احتراماً له. الهيبة هنا لا تُفرض بالصوت، بل بطاعة تتسلّل إلى الجسد قبل العقل.

انحنيتُ بتواضع، وأرسلتُ بتخاطرٍ ثابت قدر استطاعتي: «أقبل تعازي سموّ الملك زوراي. ليس هناك ما أسامحك عليه؛ كانت مشيئة سيدي أن ينتهي الأمر هكذا. وأنا ممتنّ لحسن اعتنائكم بي وأنا في تلك الحالة. شكراً لكم»

لمحتُ في عيونهم إعجاباً بطريقة تواصلتي؛ ربما لأنّ التخاطر في هذا العالم علامة معرفة أكثر منه حيلة.

قال زوراي، وقد ارتاح صوته قليلاً: «شكراً لك يا يزن. وبما أنك ضيفي، فلا تعاملني كملك. لقد تمّ توكيلي من غفلن لتكون تحت إشرافي، حتى تتمكن من التعامل مع الكنز وقوة غفلن السحرية»

أجبتُ: «آمل ألاّ أكون حملاً عليك. أشكرك على حسن رعايتك، ولي الشرف أن أكون تحت إشرافك»

جلس زوراي مبتسمًا: «عليّ أن أعرفك إلى كبار اليكس. من اليمين: هؤلاء السادة أدهم، صفير، آيار، وكادي... هم الكبار الذين يساندونني في خدمة المملكة. أما الذين يتولون حفظ النظام وحماية المملكة فهم: أوبال، توباز، بريل، رومي، نردين، وتارا... قادة مملكة اليكس. ورومي تعرفها سلفًا»

قلتُ: «أنتشرف بلقائكم...»

ثم استوى وجه زوراي على جدّ مفاجئ، وقال: «حسنًا يا يزن. لدينا قوانين بعدم قبول البشر داخل حدودنا... لكنني لا أهتم لذلك. ما رأيك أن تثبت أنك أهل للبقاء عبر اختبار اختيار قادة اليكس؟ هو في الحقيقة أقرب إلى مهرجان. ثم إن كلاود وميكا يخضعان للاختبار نفسه بعد يومين. ما رأيك؟ ألا ترى أنه سيكون ممتعًا بما أن ابني وابنتي سيشاركان أيضًا؟»

دبّت الهمهمة بين الكبار والقادة، وارتسم التعجب على وجه ميكا، بينما ظل وجه كلاود مظلّمًا بصمتٍ لا يشرح نفسه.

نظرتُ إلى زوراي بتعابير باردة لا لأنني لا أشعر، بل لأنني كنت أخشى إن ارتعشتُ أن ينهار ما تبقى من تماسك: «إن لم يكن هناك مانع... يسعدني المشاركة في الاختبار»

قالت ميكا، مستعجلة الاعتراض: «أبي! أليس هذا قسوةً عليه؟ يجب التدريب خمس سنواتٍ على الأقل لتتأهل للاختبار!»

أما كلاود فلم يقل شيئًا. صمته وحده كان رأيًا.

ابتسم زوراي ابتسامَةً تخبّي أكثر مما تكشف: «لا تقللي من شأن تلميذ غفلن. يزن قوي. ثم إنني أريد أن أعرف إلى أي مدى سيتعامل مع قواه. كما ترين... لا يبدو أن الاختبار مشكلةً له. حسنًا إذن، بعد يومين سيكون الاختبار. أتمنى لكم النجاح أنتم الثلاثة»

قلنا معًا: «نعم»

تحت سماء ليلٍ صافية، كانت الكواكب تزيّن الأفق بضوءٍ هادئ، كأنها مسامير فضة في قمايشٍ أسود. من فوق الشجرة الأم بدت المملكة مضاءة بألوانها الزاهية، لا كمدينةٍ فحسب، بل ككائنٍ حيّ يحرس حلمه.

انصرفنا من قاعة الكبار؛ أنا وميكا وكلاود، وكلُّ متّا يجرّ وراءه استعدادًا مختلفًا للاختبار: ميكا بحماسها، كلاود بثقله، وأنا بجرحٍ لم يجد بعد مكانًا يختبئ فيه.

رافقني الاثنان مع رومي إلى قاعة الشجرة الأم حيث أقيم. استأذنا عند المدخل، ثم دخلتُ. كانت ديميتا في انتظاري. انحنت: «أهلًا بعودتك، السيّد الصغير بزن. كيف كان الاجتماع؟»

أجبتها بتخاطر: «كان مثيرًا للاهتمام. تعرّفْتُ إلى الكبار والقادة... وعليّ الاستعداد لاختبار القادة»

بدت عليها الدهشة: «أحقًا؟ قرارٌ كهذا غريب حتى على الملك زوراي. بعمرٍ كهذا ووقتٍ ضيق... هذا ثقيل عليك، سيّدِي الصغير بزن»

قلتُ: «شكرًا لك، مدام ديمييتا. لا تقلقي، سأكون بخير. لكن ينقصني مكانٌ أتدرب فيه وحدي.
هل تدلينني على مكان؟»

سكتت لحظةً تفكّر، ثم قالت: «هناك مكانٌ مناسب لك. يقع غرب المملكة، في الغابة المطلة
على المحيط. لا يزور تلك المنطقة أحد عادةً، وهي مناسبة للتدريب. سأخبر الحراس أنك
ستخرج للتدريب هناك في العادة. هل يناسبك هذا؟»

قلتُ: «أجل، شكرًا لك مدام ديمييتا. هذا يجعلني أبدأ التدريب صباح الغد. سيكون مناسبًا»

أومأت: «حسنًا... سأخبر الحراس. والآن أستأذنك، فقد تأخر الوقت. تصبح على خير، سيدي
الصغير يزن»

قلتُ: «شكرًا لك... تصبحين على خير، آمنة ديمييتا»



الفصل الخامس

أمير الخزي

في الصباح الباكر قبل أن تشقَّ الشمسُ أفقَ أرضِ اليكس نهضتُ وفي صدري حذرٌ يشبه الاستعداد. كنتُ أتهيأً لتدريباتي الصباحية، فخرجتُ من بوابة المملكة الغربية لأتفقّد المكان الذي وصفته لي الخادمة ديميتا. كان الهواء باردًا كأنه خرج للتوّ من بين أوراقِ نديّة، وكانت الغابة هناك تبدأ بخطّ واضح، كحدِّ بين عالمين.

جاءني صوتٌ من بعيد، رفيعًا ومُلمحًا: «يزن... يزن!»

التفتُ، فإذا بالأميرة ميكا تُحلّق نحوِي مسرعة، كأنّ الريح تحملها ولا تُتعبها، ثم هبطت على كتفي في خفةٍ مألوفة، تلهث وتبتسم في الوقت نفسه.

قلتُ بهدوء: «صباح الخير يا ميكا. كيف كان صباحك؟»

التقطت أنفاسها وهي جالسة على كتفي، وقالت بسرعةٍ كمن يسبق فكرته: «صباح الخير يا يزن. استيقظتُ مبكرًا لأوقظك... أردتُ أن أعلمك التواصل الشفهي قبل أن يسرقنا النهار. لكن ديميتا أخبرتني أين ذهبت، فوجدتُك خارجًا نحو الغابة. هل أنت ذاهب للتدريب؟»

ارتبكتُ قليلاً ليس من سؤالها، بل من عنايتها التي تشبه امتحاناً آخر وقلت: «نعم، أستعدُّ للاختبار. الأنسة ديميتا وصفت لي مكاناً جيداً»

هزّت رأسها، وبدت عيناها كمن اتخذ قراراً لا رجعة فيه: «همم... حسناً، سأذهب معك. وأنا أيضاً مستعدة للاختبار، لذا سأتفرّغ لتعليمك إخراج الكلمات كما ينبغي. سنبدأ بالصوت»

قلتُ وأنا أخطر بما لا أعتاده من طلبٍ مباشر: «شكراً لك يا أميرة ميكا... بدأتُ أشعر بالإجراج حقاً. أنا أعتمد عليك في تعليمي»

اعتدلت على كتفي وكأنها ارتدت كبرياءها، وقالت بحمايسٍ مصقول: «يمكنك الاعتماد عليّ. لنبدأ: قل معي... سماءٌ زرقاء، شجرٌ أخضر»

حاولتُ، لكن لساني خانني: «سماءٌ زرقاء... شجرٌ أقصر...»

قطّبت حاجبيها بصرامة المعلمة التي تتظاهر باللين: «أخرج الحروف كما هي. اجعل الصوت يطاوع حركة فمك ولسانك، ولا تتكاسل. أعد: سماءٌ زرقاء...»

ومضينا على ذلك المنوال ونحن نتوغّل غرب الغابة. كانت الكلمات تتعثر في حلقي وتستقيم ثم تتعثر، بينما المكان يتبدّل ببطء: الأشجار تُفرج عن ممراتٍ ضيقة، والظلّ يصير أثقل، ثم شيئاً فشيئاً بدأت رطوبة البحر تتسلّل إلى أنفاسي. وحين اقتربنا من الحدّ الذي تتراجع عنده النباتات، ويقلّ فيه الضوء كأنه يُصقّي نفسه قبل أن يلمس الماء، أحسستُ بنسيمٍ مالح يلمع على الجلد.

قالت ميكا وهي تترقّب: «اقتربنا من الشاطئ... همم... هناك أحدٌ هنا»

توقّفتُ، وانسحبتُ إلى خلفٍ جذعٍ قريب. كان شيءٌ ما يحركُ الفراغَ قبل أن يحركَ الهواء. تهيجتُ حولي ذراتٌ من ضوءٍ رمليّ، كأن الأرض تُمسكُ بأنفاسي وتعيد قراءتها.

فعلتُ ما اعتدتُ أن أسمّيه في سرّي بلا ثقةٍ كاملةٍ سلاحِي الوحيد: (تفعيل قراءة الوقت والفضاء). همستُ: يبدو أنه يكسيّ ينتقل في الأرجاء... لكن قراءة جسده غريبة.

استقرتُ ميكا على كتفي من جديد وقالت بنبوءةٍ حادّة: «غريب أن يكون يكسيّ هنا... علينا أن نتحقق»

في اللحظة التالية، تنبّه إلينا ذلك الكيسي. كان يرتدي عباءةً تغطي رأسه وجسده، عباءةً تمتصّ الضوء كأنها ظلٌّ منفلت. وما إن لمحنا حتى اندفع هاربًا، ينتقل من شجرة إلى أخرى، يضلّلنا بحركته ويكسر خطّ نظرنا عمدًا.

شهقت ميكا: «ماذا! إنه سريع جدًّا... يزن، الحق به!»

قلتُ بوجهٍ جاد: «تمسّكي جيدًا يا ميكا» ثم دفعتُ جسدي إلى الأمام وأطلقتُ (التسارع العصبي).

انطلقتُ وسط الغابة بسرعةٍ خاطفة. كانت الأشجار تتراجع كأنها تُفتح بالقوة، وكان الهارب ذلك الظلّ الصغير يتنقّل من مكانٍ لآخر، مستفيدًا من خفة وزنه ومن الرياح كأنها كُفٌّ تدفعه

من الخلف. يقفز من الأرض إلى الجذوع، ومن الجذوع إلى الأغصان، ومن الأغصان إلى فراغ محسوب، فتبدو قفزاته كتخليقٍ مستعار.

وفي مطاردي له، لم يكن يهرب فحسب... كان يقرأ. يقرأ محيطه كما لو أنه ولد من هذه المسافة بين جذعين.

قلتُ وأنا أراقب إيقاعه: تحرّكه البدنيّ حادٌّ وسلس... وقراءته لمحيطه ممتازة. لكن... هذه القراءة مألوفة لحدّ ما.

صرخت ميكا، وقد تغيّرت نبرتها إلى تهديدٍ ملكيّ صريح: «أنت! توقّف حاليًّا! إن لم تتوقّف سأهاجمك!»

قلتُ وأنا ألهث بين خطوةٍ وأخرى: «لا أعتقد أنه سمعك... أو أنه يريد أن يسمع»

شدّت كتفي بيدها اليمنى، ورفعت يسراها، ورأيتُ على معصمها يتكاثف البرد قبل أن يتشكّل: «بكسيّ يهرب متّي؟ سأعلّمه درسًا... تطرّف الجليد!»

تكوّنت ثلاث كتلٍ من الجليد حول معصمها ثم اندفعت كالسهم. تفاداها الهارب بسلاسةٍ جارحة: من الأرض إلى الشجرة، ومن الشجرة إلى الأرض، بلا تردّدٍ ولا انكسار.

ابتسمت ميكا ابتسامَةً بريئةً على وجهٍ يغلي غضبًا، وقالت بصوتٍ هادئٍ يلمع فيه الوعيد: «يذن... هذا اليكسي مثير حقًا. وهذا ليس جيّدًا له. عليه أن يبذل جهده ألاّ أمسك به... لأنني لن أتركه سالمًا. تطرّف الجليد!»

تمتمتُ دون أن أقصد، وقد شعرتُ بقشعريرةٍ لا علاقة لها بالبحر: «...هذا مخيف يا ميكا»

أطلقت ميكا عددًا لا يُحصى من الكتل الجليدية. كانت تلمع بين الأشجار كفكرةٍ قاسية. والهارب بشكلٍ مستحيل كان يتفادها بسرعةٍ خاطفة. بل إن ميكا نفسها لم تعد قادرة على تتبّع تحركاته. كان يسبق زاوية الهجوم، كأنه يرى النية قبل الحركة.

قلتُ وأنا أضيّق عيني: «يتفادى كل الهجمات بهذه السرعة... إنه يعرف جيدًا كيف يحرك جسده بهذا الإيقاع»

التفتت ميكا إليّ بحدة: «حتى أنت يا يزن؟ تتحدّث عن هاربٍ وكأننا في عرضٍ رياضي! نحن نتكلم عن هارب هنا! سأقبض عليه حتمًا...»

واصلتُ المطاردة حتى خرجنا من الغابة إلى الشاطئ. هناك انكسر ستر الأشجار؛ لم يبق ما يضلّل النظر. وعلى الرمل المفتوح، توقّف "التحليق" فجأة وبدأ ذلك الجني يركض على قدميه. عندها فقط اتضحت الرؤية، واتّسع المعنى كجرحٍ قديم.

صرخت ميكا، والدهشة تسبق الصوت: «هل... هذا أخي كلاود؟! أخي كلاود، توقّف!»

فتوقّفنا جميعًا. توقّف الهارب، وتوقّف أنا، كأن المطاردة كانت محاولةً من المكان ليكشف قناعه.

وقف الأمير كلاود أمامنا يلتقط أنفاسه. كان يتجنّب النظر إلينا، كما لو أن عينيه تعرفان ثقل ما سنراه.

قال بصوتٍ متعَبٍ مهذَّب: «ميكا... ويزن. كيف حالكما؟ أعتذر عمّا سببته لكما من متاعب»

حلّقت ميكا قريبًا من أخيها، لا تزال مندهشة أكثر مما هي غاضبة: «أخي... كيف تتحرك بهذه السلاسة بين الأشجار؟ وكيف تفاديت كل هجماتي؟ هذا... مذهل! هل كنت تتدرب؟ كيف صرت سريعًا هكذا؟»

قلتُ وأنا أسمح لابتسامتي صغيرة أن تظهر: «لم أظن أن هناك بكسيًا بهذه السرعة. لقد أثرت إعجابي... هذا مذهل»

ابتسم كلاود ابتسامة استسلام خفيفة، كأن كلمة أصابت فيه شيئًا مُغظّي: «كما هو متوقع من حاملة سوار حكيم السحر... تصيبين هدفك بدقة باستخدام تطرف الجليد. وضعيتني في موقفٍ حرج. كنتُ في مأزقٍ أكثر من مرة»

قالت ميكا بسرعة: «آسفة لأنني هاجمتك يا أخي... لكنك تفاديت كل هجماتي! وبالنسبة لك لا تُذكر... أنت قويٌّ حقًا يا أخي»

عتم وجه كلاود وهو يبتسم، ابتسامة لا تكتمل: «شكرًا على مجاملتك يا ميكا، ولكن... أنا لا أملك أجنحة، ولا أملك سحرًا. لا أستطيع حتى تفعيل كيانٍ عصبي. عليّ أن أعطي فشلي... ونقصي... بالقوة والسرعة»

انخفض صوت ميكا، وصار حزنها كأنه طائرٌ كُسر جناحه في صدرها: «أخي... لماذا تقول هذا؟ لا أحد من اليكس يجاريك في السرعة أو ردود الفعل. أنت مميز بها»

وقفتُ صامتًا. أدركتُ أن مكاني ليس داخل هذه الدائرة، وأن أي كلمةٍ مني قد تبدو كيدٍ تمتدُّ إلى جرحٍ عائليٍّ لا أعرف كل طبقاته.

رفع كلاود اليأس على ملامحه، وظلَّ يتجسَّب نظرها: «ميكا... منذ الحادثة التي أصابت أُمي التي فقدتُ فيها سحري وأجنحتي، وحقِّي في حمل سوار حكيم القتال عرفتُ أنني لست أهلاً لأن أكون ابن زوراي العظيم... الملك الذي رفع اسم اليكس، وجعل تاجه خدمةً للأرض. لست أهلاً لأن أدعي أنني أمير اليكس بعد الآن»

امتلأت عينا ميكا بالدموع: «أخي... لماذا تقول هذا؟ أنا لا أراك هكذا أبدًا! كنتُ دائمًا تحميني عندما كنا صغارًا. لن يقل احترامي لك يومًا... وما حصل لم يكن ذنبك»

نظر كلاود إلى زرقة السماء فوق الشاطئ، وابتسم كمن يسلم سلاحه: «تعلمين ما الذي جعلني أتحمل كل هذا؟ أن أحميك. كنتُ دافعي لأصبح قويًّا... لأتدرب بجد، حتى لو فقدتُ كل قواي. ثم ظهرت قوتك السحرية العظيمة، وتفوّقت في التجانس السحري... مع كل التطرفات. واكتسبت لقب الأميرة البيضاء وحكيمة سوار السحر. هناك... فهمتُ ألا مكان لي. لا كابن للملك زوراي، ولا كأخٍ لخليفة العرش. جهدي ليس كافيًا... ولا أنا»

لم أجد ما أقوله. كانت كلماته تشبه حجرًا يُلقى في ماءٍ ساكن، فيُظهر العمق دفعةً واحدة.

اختنق صوت ميكا وهي تذرِف: «لو كنتُ أعلم كيف... أخي كلاود... أيها الغبي...»

نظرتُ إليها وقلتُ بهدوءٍ لا يليقُ إلا بعجزٍ لطيفٍ: «ميكا...»

مسحتُ دموعها بظهر يدها دون أن تنجح في إخفائها: «يذن... اعذرنِي. سأُنصرفُ إلى المملكة.
لا أستطيعُ البقاء هنا الآن»

قلتُ: «لا بأس. أتفهم»

ابتسمت لي ابتسامةً قصيرةً، كمن يترك رسالةً ويهرب، ثم رحلت بصمتٍ تحمله الريح
الغربية القادمة من البحر.

بقيتُ مع كلاود، ومع فراغٍ صار أثقل بعد رحيلها.

قال كلاود: «يذن... عذراً عمّا تفوّهت به. تركتُ شعوراً غير طيب»

قلتُ: «لا شيء يكبح شعوراً كهذا يا كلاود. لكن... محبة ميكا لك كأخ ليست قليلة»

تأملني كلاود طويلاً، كأنه يقرأ بين كلماتي ما لم أقله: «يذن... أنت إنسان لبق، طيب القلب.
وربما لا ينبغي أن أقول هذا، لكنني شاكر لوجودك هنا... لم أر أبي سعيداً هكذا منذ زمن بعيد»

وغرزت كلماته في داخلي طعمًا مُرًّا من الندم؛ كأن وجودي يملأ فجوة ليست لي، أو يسرق
مكانًا لم أطلبه.

ثبَّتْ نظري عليه وقلْتُ، بصراحةٍ قد تبدو وقاحة: «أعلم أن سُؤالي قد يكون ثَقِيلًا... لكن ما الذي حصل لك في الماضي؟»

ارتسمت دهشةٌ خفيفةٌ على وجهه: «يبدو أن الأمر يثير فضولك حقًا... هه. لا أحب أن أتكلّم عنه، لكن سأروي لك ما حصل. هلا جلسنا هناك؟»

جلسنا تحت شجرةٍ ظليلةٍ تطل على البحر. كانت الأعشاب تنبت تحتها وتتماسّ مع الرمل كما لو أن الأرض لا تعرف أين تنتهي الغابة وأين يبدأ الشاطئ. والريح الرطبة تأتي من أفقٍ بعيد، تُملّح الكلام قبل أن يُقال.

نظر كلاود إلى المحيط، ثم قال بصوتٍ أهدأ: «كما تعلم... في الماضي كانت لدي قوى سحرية مثل أبي وميكا. لكنني فقدتها في تلك الحادثة... كما فقدت أُمي حريتها أيضًا ملكة البكس كوزنيت. ذلك اليوم... في غرفة كنوز البكس... كانت هناك جوهرة: قلب شجرة التوأم الأم. هي مصدر سحر غابة البكس. وما زلتُ أذكر كلمات أُمي...»

رأيتُ تلك الذاكرة كما لو أنها مشهدٌ محفوظ في ضوءٍ قديم لا لأنني كنت هناك، بل لأن كلمات كلاود كانت تُعيد تشكيلها بدقّةٍ موجهة، حتى صار الغياب نفسه شاهدًا.

في غرفة كنوز العرش داخل الشجرة التوأم الأم، كانت الملكة كوزنيت تراجع التدفقات المنهجية للسحر في جوهرة قلب الشجرة، وإلى جانبها الخادمة ديميتا. كان المكان فخمًا، لكن الفخامة فيه ليست ذهبًا ولا تاجًا؛ بل صمّتُ يزنُ الهواء، ونورٌ أخضر خافت يخرج من عمق الشجرة كنبضٍ مرئي.

وضعت الملكة يدها على الجوهرة، وتغيّرت ملامحها: «همم... هذا غريب. يبدو أن قوة الظلام تُخلّ تدفقات منهج السحر في بحر الأثير... هذا سيء. منهجية جوهرة قلب الشجرة غير مستقرة. قد يؤثر هذا على اتزان الطبيعة. عليّ أن أخبر زوراي»

قالت ديميتا بتواضعٍ سريع: «عليك أن ترتاحي يا ملكتي. سأعلم الملك زوراي فور وصوله من رحلته»

لكن القلق لم يغادر وجه كونزيت. كان كمن يسمع بابًا يُفتح في ظلامٍ لا باب له: «ديميتا... هذا غريب للغاية. أشعر بقوةٍ كالعدم تزداد شيئًا فشيئًا... مثل قوى قائمnd المظلمة. يبدو أن ارتباط التيجان باتزان مناهج حركة الأثير على الأرض والطبيعة أقوى مما ظننت... لم أعلم أن الأمر بلغ هذا الحد»

في تلك اللحظة دُفع باب غرفة كنوز العرش بمهلٍ طفوليّ. دخل الأمير كلاود صغيرًا، وإلى جواره الأميرة ميكا الصغيرة تمسك بقميصه.

قال كلاود الطفل: «أمي... ميكا لم تذهب للنوم حتى تخبريها قصة قبل النوم»

احتجّت ميكا الطفلة بعبوسٍ لطيف: «ها... أخي كلاود! أنت أيضًا تريد قصة قبل النوم! هذا ليس عدلًا!»

ابتسمت كونزيت ابتسامةً عريضة، كأنها تُخبئ خوفها خلف دفءٍ أموميّ: «ها قد أتى ملاكيّ الحارسان. أعلم أنكما لا تستطيعان النوم دون قصة من ماما، أليس كذلك؟ امنحاني قليلًا من الوقت... ديميتا، اعتني بهما لحين عودتي»

أجابت ديميتا: «طوعًا يا ملكتي»

ثم من دون إنذار اندفعت طاقة سوداء من قلب الشجرة، مثل تفرغ كهربائيٍّ يمزق هواء القاعة. ارتجّت الظلال، وتحوّل الضوء الأخضر إلى ارتعاشٍ مريض.

صرخت الملكة في لحظة هلعٍ نقيّ: «ديميتا! احمي الطفلين!»

ضرب تفرغٌ آخر جسد الملكة كونزيت. سقطت على الأرض مغشيًا عليها.

«ملكتي!» صرخت ديميتا.

وصرخ كلاود الطفل: «أمي؟! أمي!»

وفي صدمةٍ واحدة، انفلت كلاود من يد ديميتا واندفع نحو أمه. عندها ضربه تفرغٌ أسود من الجوهرة، وجذبه إليها. تغيّرت صلابة الجوهرة إلى ليونةٍ مخيفة، كأنها فمٌ يبتلع، وبدأت تحاول ابتلاع الأمير الصغير.

كان يقاوم بيديه وقدميه، صوته يتقطع: «ديميتا! أنقذي...» ثم غاص، وخرج، ثم غاص ثانيةً وهو يصرخ: «أمي!»

اندفعت ديميتا لإنقاذه وهي تصرخ لميكا: «ميكا، اهربي للخارج! سأنقذ كلاود وكونزيت! اسرعي!»

وفي لحظةٍ يائسة، امتدت يَدٌ وأمسكت بمعصم كلاود وهو يغرق... كانت الملكة كونزيت قد أفاقَت، وجسدها يرتعش، لكنها تشبَّثت بابنها كما يتشبث العالم بآخر معنى.

همست وهي تقاتل: «...كلاود... لن أدع الجوهرة تأخذ ابني»

وسحبته من فم الجوهرة ورمته إلى أرض القاعة، ثم أخذت مكانه غارقةً فيها. تصلَّبت الجوهرة من جديد، لكن التفريغ الأسود لم يتوقف.

نهض كلاود من الأرض كأنه يُسحب بخيطٍ من قلبه، وتمسَّك بالجوهرة، ينظر إلى أمه في الداخل. كان يضرب سطحها بيديه الصغيرتين، ودموعه تتطاير: «أمي! لن... أدعك... تأخذ... أمي!»

قبض على الجوهرة بعزمٍ طفوليٍّ لا يعرف حدوده، فتفرَّعت طاقة سحرية زرقاء من جسده بعنف، وانتشرت في أرجاء القاعة كعاصفةٍ ضوء. لكن تفرغًا أسود من الجوهرة ضربه، لا ليؤذيه فقط... بل ليسحب تلك الطاقة نفسها. احترقت أجنحته حتى صارت رمادًا، وسقط على الأرض مغشيًا عليه.

عاد صوت كلاود إليَّ على الشاطئ، ووجهه مغمورٌ بالظلام: «في صباح اليوم الثاني... استيقظت على فراشي مضمد الجروح، وقد فقدتُ أجنحتي. لم أفقه ما حدث. ركضتُ لأرى أمي... فوجدتها حيَّة، لكنها صارت حبيسة جوهرة الشجرة الأم التوأم. ثم عاد أبي من رحلته. وبعد البحث... استنتجنا أن سبب عدم استقرار طاقة الجوهرة أُنزُّ من فعل قوى حامى تاج

البشرية فأنمند، وتلاعبه ببحر الأثير. أمي الآن تتخاطب معنا بالتخاطر من داخل الجوهرة...
مثلك يا يزن. هذا كل ما حصل»

ابتلعتُ غصّةً حارّة. لم يكن في القصة موتٌ يريح، بل سجنٌ يطول، وذنوبٌ لا يجد موضعه.

قلتُ بصوتٍ خافت: «...هذا قانسٌ جدًّا. أنا آسف لما حدث لك يا أمير كلاود ... وآسف لأنني
أصررت على أن أعرف»

هز رأسه: «لا عليك يا يزن. إنها مسؤوليتي. عجزتُ وقتها ولم أستطع إنقاذ أمي. الآن عليّ أن
أثبت جدارتي كأمر في اختبار قادة البكس ... لأحصل على حرية البحث ومواجهة فأنمند عمّا
حصل لأمي، ولأجد أجوبة. لكن دون سحر... هذا مستحيل بحالي. ومع تدريب جسدي وسرعتي
وحدهما... لن أصل إلى شيء»

قلتُ وأنا أنظر إليه، لا إلى ناقصه: «أنفهم شعورك بتقليل شأن إمكاناتك... لكن هذا ليس
سببًا لتتخلى عن كل الاحتمالات، عمّا يمكنك فعله»

تجمّد للحظة، ثم انفجر غضبه مثل موجةٍ ترتطم بصخرٍ قريب. امتلأت عيناه بالدموع: «ماذا
يمكنني أن أفعل؟ ألا ترى ضعفي يا يزن؟ أنا صغير الحجم... بلا أجنحة ولا سحر. لا أستطيع
حتى أن أقول إنني من البكس... يا للسخرية. لا يمكنني أن أقول إنني أمير. يقتلني الخزي حين
أسمع لقبني. لستُ أهلاً أن أكون بين أسرتي حتى... قل لي، ماذا... ماذا يمكنني أن أفعل؟»

رفعتُ بصري إلى سماء المحيط. كان الأفق واسعًا بما يكفي ليبتلع كل الأسئلة، لكنه لا يردّ
على أحد. قلتُ ببطء، كمن يضع خطوةً على أرضٍ لا يراها: «يا كلاود... أعلم أنني لست في

المقام لأقول هذا، لكن لا تُبعد نظرك عن ضعفك فتجعل نفسك فريسةً له. أمسك ضعفك بإرادةٍ وعزم، وتعلّم منه، واجعله قوة. أن تكون فردًا من عائلة... ليس له مؤهلات. هذا ما تعلمته من معلمتي غفلن. جهدك في التدريب دليلٌ على رفض الاستسلام... لكن لا تُنكر ما تتألم منه. واجهه»

عندها، ومع تدافع أصوات الرياح القادمة من المحيط، بدأت دقات قلبي تتسارع. شعرتُ بألمٍ يتسلّق رأسي تدريجيًا، كأن فكرةً ثقيلةً تحاول أن تفتح طريقًا بالقوة. أسندتُ جبيني إلى راحة يدي، ومال جسدي دون إذن.

قال كلاود بقلبي واضح: «يزن... تبدو مرهقًا. هل أنت بخير؟»

قلتُ وأنا أقاوم الدوار: «أصابني... دوار... هه. جسدي... أشعر أن هناك حركة منهجية تتفاقم داخلي... آه، هذا يؤلم رأسي...»

سقطتُ على الأرض، ممسكًا برأسي. ومع الألم، شَعَّت عيناَي الذهبيتان الشفافتان بضوءٍ ذهبيٍّ خافت، وبدأ ضبابٌ ذهبي يتجمع حولي بتسارعٍ طفيف، كأن الهواء يتحوّل إلى أثرٍ مرئيٍّ.

تراجع كلاود خطوة، حائرًا: «ما... ما هذا الضباب المضيء؟ ولم يتجمع حولك يا يزن؟»

حاولتُ النهوض، متثاقلاً: يبدو أنها قوة (حركة المناهج) المنقولة تأخذ مجراها فجأة... آه!

وما إن تفاقم الضباب الذهبي المشع حولي، حتى انحرف مساره كأن شيئًا في العالم وجده أخيرًا واندفع ليمتصّه جسد كلاود تدريجيًا.

تخشّب وجهه من الذهول: «ماذا الآن؟ لماذا هذا الدخان ذو الضوء الذهبي ينتقل إلى جسدي؟
ما هذا الشعور الغريب؟»

قلتُ وأنا لا أملك جوابًا، إلا اسمي القديم لما يحدث: «لا أعلم ما الذي يحدث... الفنون
الملوك... (قراءة الوقت والفضاء)»

فجأة... سكنت الأشجار. خفت هدير النباتات حتى كأنه لم يكن. ثم عمّ الهدوء دفعةً واحدة،
كما لو أن الغابة حبست أنفاسها احترامًا لشيءٍ يوشك أن يتكلم. وفي ذلك السكون، كان
الضوء الذهبي الخافت لا يزال يلمع في عيني.

حدّق كلاود في وجهي، وارتفع صوته على حافة الدهشة والخوف: «ما هذا يا يزن؟... عيناك!»



الفصل السادس

أمير الظلام وفنون الملوك

تعثّر بصري في الهواء قبل أن يتعثّر قلبي.

ما الذي أراه...؟ لم يكن العالم كما عهدته كتلاً وألواناً وحدوداً! كان شبكةً من خطوط ذهبية، تتسارع وتتباطأ كأنها أنفاسٌ مرئية. مددتُ يدي، فرأيتُ الخطوط نفسها تتلوّى حول أصابعي، تتغيّر آثارها مع كل حركة، وتترك في أعقابها رجفةً دقيقة تشبه صدى خطوةٍ على سطحٍ رقيق. حتى جسدي... بدا لي على الهيئة ذاتها: خرائط من مناهج متشابكة، تنبض وتتحرّك.

كأنني، للمرة الأولى، لا أنظر إلى الأشياء... بل أقرأها.

سمعتُ صوت الأمير كلاود قريباً، وقد لامسته حيرةٌ لم يحسن إخفاءها: «يزن... هل أنت بخير؟ أهذا نوعٌ من السحر تتقنه؟»

رفعتُ عيني إليه ببطء، وما زالت الدهشة تُمسك بجفني. قلتُ وأنا أختبر الكلمات كما أختبر هذا العالم الجديد: «ليس حركةً سحرية... أنا أرى حركة المناهج من حولي. الأرض والنباتات والأشجار... حتى أمواج البحر وتضاريس المحيط تحته، كخريطة ثلاثية الأبعاد معقدة، من خطوطٍ حيّة. هذا... مذهش. أهو أثرُ قوّة حجر الحقيقة؟»

اتسعت عينا كلاود، ومرّ في وجهه ظلّ ذكرى. قال: «سمعتُ أبي يقول إن الإحساس بالمناهج لا يتم إلا بعد التمرّس في فنون حكيم السحر... أو بإتقان الفنون المنسيّة للملوك. لكنك... تراها بعينيك. أمرك مُحير، يزن»

أنزلتُ بصري إلى كفيّ مرة أخرى. «لم أظنّ أن المناهج تتغلغل في كل شيء إلى هذا الحد...» ثم التفتُ دون قصد، وكأنّ شيئاً في المشهد نشز فجأة. «همم؟ أمير كلاود... لم... لم يبدو جسدك هكذا؟»

تصلّب، كأنني وخزته باسم لا يُقال. «ماذا تقصد؟»

اقتربتُ بعيني لا بخطواتي، وجعلتُ تركيزي يستقرّ عليه. وما رأيته لم يكن نقصاً بسيطاً... بل فراغاً. قلتُ بصوتٍ خافت كمن يخشى أن يوقظ ما يصفه: «غريب للغاية... جسدك، كلاود، يبدو كفراغٍ معتم وسط هذه الحركة كلها. لا أرى حركة مناهج واضحة فيك... كأنها ممسوحة، أو محجوبة»

ارتجف صوته: «ماذا... ماذا قلت؟»

تقدّمتُ في القراءة أكثر، حتى انكشف لي ما وراء الحجاب. «لا... حين أضع تركيزي داخل جسدك أجد حركة مناهج، لكنها... مغلفة بتطرّف الظلام. معظمها مكسوّ بعمقٍ تبتلع أثرها. أهذا ما يجذب الغبار المنهجي للفنون المنسية إلى جسدك؟»

ابتلع ريقه. «يذن... لا تقل لي... هل يمكن أن يكون هذا نتيجة حادثة الجوهرة في الشجرة الأم...؟»

قلتُ وأنا أستعيد، على الورق وفي ذهني، ما أعرفه عن ثمن الكتابة المنهجية: «يحتمل. فتكوين السحر كما تعلم سماحيةً العقل اللاواعي لكتابة حركة المناهج التي تُحدث الظاهرة في بحر الأثير. هو... تطرّف العقل حين يكتب الواقع بدل أن يكتفي بقراءته»

هزّ كلاود رأسه ببطء، كمن يجرّ فكرةً ثقيلةً من عمقٍ بعيد. «مع أنها حقيقة السحر، كثير من الشعوب يظنونه بركةً أو هبةً. لا يرون أن العقل كما يقرأ الوجود ويترجمه يستطيع أيضًا أن يكتب ويعدّل. وبعض ذلك يولد مع الإنسان كالفطرة»

نظرتُ إليه كما لو أنني أضع آخر قطعةٍ في مكانها. «وكما يبدو... حادثة الجوهرة محّت معظم منهجك الفطري. لذا فتدقّق المناهج من فنون الملوك خاصتي إليك... ليس إلا ملء فجوةٍ في منهجك المفقود»

سكتنا لحظةً، لا يملؤها إلا البحر من بعيد، وصوتُ أوراقٍ تُحرّكها نسمةٌ عابرة. تبادلنا النظر، وفي العيون صدمةٌ تشبه الاعتراف.

قال كلاود وهو يتأملني كأنه يرى الطريق، لا الكلام: «هل يعني هذا أن جسدي يستقبل المناهج ليُعيد كتابة تطرّف السحري؟»

قلتُ: «الأمر متروكٌ لما سيأخذ عقلك الباطن. لكن... نظرًا، نعم. قد يكون خطيرًا. ومع ذلك... أقترح أن نرى إلى أين سيؤول إن اكتسب جسدك مزيدًا من الحركة المنهجية. القرار لك، كلاود»

ابتسم ابتسامَةً حازقة، فيها شجاعةٌ تطلب لنفسها ذريعة. «هذا ما أريد اختباره، يزن... أنا أعتد عليك»

جلسْتُ على الأرض قربَه، وضممتُ ساقِي، وجعلتُ راحتيّ حوله كما تُحاط جمرةٌ كي لا ينطفئ لهيبها أو كي لا يحرق ما حوله. وقف هو أمامي، مستقيماً، كأنه يقدم جسده لوعدٍ لا يُرى.

قال بنبرةٍ جادة: «حسناً... أنا مستعد. ابدأ»

شعرتُ بعينيّ تومضان بتدرّجٍ ذهبيّ، كأن الضوء يخرج من داخلي لا من الهواء. قلتُ: «سنبداً الآن. تفعيل الفنون المنسية: التسارع العصبي قراءة الوقت والفضاء»

في اللحظة التالية، اهتزّت الجسيمات العالقة في الهواء، كأن المكان تذكّر فجأةً أنه قابلٌ للحركة. رأيتُ خطوط المناهج حولنا تتغيّر وتتحدّث، وتكتسب طاقةً تسارعية فتظهر كذراتٍ مضيئة، تدور ثم تنجذب تدريجياً نحو جسد كلاود.

سألته وأنا أراقب انجذاب الضوء إليه: «كلاود... هل تشعر بشيء؟»

أشرق وجهه بسعادةٍ لم يخفها هذه المرة. «أجل... شعورٌ غريب، كأن الحياة تدبّ في شراييني من جديد. يشبه السحر... حين كنت صغيراً»

كنتُ أقرأ داخله كما تُقرأ صفحةٌ رطبة بالحبر. قلتُ: «الحركة المنهجية تتغلغل في شرايين جسدك... لكن أكثرها يتجمع على الظلام الذي يغلفك. وبقية جسدك ما زالت معتمة. لا أعلم كيف سيستجيب عقلك الباطن لها»

قال وهو يضغط على كلماته كمن يضغط على الجرح كي يتأكد أنه حقيقي: «أدرك ما تقصد. لكن قد تكون هذه فرصتي الوحيدة. لن أتركها تفلت»

ابتسمتُ لا لأنني مطمئن، بل لأنني قررتُ أن أكون ثابتًا كي لا يهتز هو. «سأرفع قوة الحركة المنهجية. استعد... التسارع العصبي الأقصى»

تضاربت موجات الرياح، وهاجت الرمال حولنا بعنف. بيني وبينه تفاقمت أضواء ذهبية وبيضاء، تتكاثف كأنها تُطرق بمطرقة صامتة. ظلّ جسد كلاود يمتصّ... ثم فجأة توقّف، كمن بلغ حدّه.

أوقفتُ التفعيل. انطفأ العصف، وعاد الصمت ببطء. بقي ضوءٌ ضعيف، وتفرّغ خافت لطاقةٍ منهجية في جسده الصغير.

قلتُ وأنا أستعين بفنون الملوك لأتأكد مما أرى: «مذهل... لقد وصل جسدك إلى حدّ الشحنة المنهجية. المناهج تحيط بالعتمة داخلك، كلاود. هل أنت بخير؟»

رفع رأسه، ووجهه جادّ، لكن في عينيه رجة انتصار. «أجل... أشعر أن القوة تغمرنني من جديد بعد كل هذه السنين. بل... أقوى من قبل. وأشعر أنني أستطيع إخراج كياني العصبي مرةً أخرى. سأحاول الآن»

تراجعتُ خطوة، وتركتُ له مساحةً للقرار. كانت الأرض ساكنة، كأنها تحبس أنفاسها معه.

قال والإصرار يملأ ملامحه: «حان الوقت... يجب ألا أتردد أو أخاف الفشل بعد اليوم. تفعيل فنون اليكس: كيان الطاقة العصبي!»

رأيتُ المناهج داخل جسده تتسارع بجنونٍ منضبط، وتنتج طاقةً ذهبيةً تتفرغ من جسده، وتجّر معها الفراغ المظلم ذلك الظلام الذي كان يبتلع القراءة ليتمحور حيث تطرّفه المفقود. ومن ذلك الاشتباك وُلد كيانٌ عصبي على هيئة بشرٍ أسود كالعتمّة، بعينين حادتين بيضاوين يخرج منهما ضوءٌ خافت.

ومن منتصف صدر الأمير كلاود الصغير خرجت عروقٌ فضيَّة، امتدت إلى أطراف ذلك الكيان، كأنها خيوطٌ حياةٍ تربط الجسد بما اخترعته الحاجة.

تلقفتُ دهشتي قبل أن تفرّ من فمي. «قلتُ إن تطرفك قد يختلف... لكن هذا تجاوز توقّعاتي.

هل اتخذ عقلك الباطن الظلام تطرفًا جديدًا لمنهجه؟ ومع ذلك... هناك طاقة منهجية أخرى تخرج منك أيضًا»

حدّق كلاود في يدي كيانه، والدموع تنهمر من عينيه دون إذن. «لا أصدق... لا أصدق. هذا ليس خيالًا أو حلمًا... أليس كذلك، يزن؟»

قلتُ، وصوتي هذه المرة أدفأ من التحليل: «مع أنه يبدو معجزةً حتى لي... فإنه حقيقة. تهانينا، الأمير كلاود. لقد حصلت على تطرف جديد»

فاض حماشه كمن نجا من غرقٍ طويل. «ها... أجل! لقد نجحت أخيرًا!»

انثقت من جسده طاقةً ذهبية عشوائية كالكهرباء، وتفرّعت في أرجاء المكان. ثم مسح دموعه سريعًا، وأمسك كتفيّ بكيانه العصبي، قبضته مظلمتان لكنهما ترتجفان فرحًا.



قال: «أودّ تجربة ما يمكن لكياني فعله»

قلتُ وأنا أستعيد في رأسي كل ما يجب أن يُقاس قبل أن يُحتفل: «فلنجرب الاستجابة العصبية وسرعة حركتك. أريد قراءة تحركاتك وإشاراتك المنهجية داخل الكيان وتأثيره عليك»

أوماً: «حسناً»

طلع النهار، وابتسمت السماء بزرقته على رمال الشاطئ، واحتضن الأفق المحيط الواسع. كان كلاود في منتصف كيانه العصبي الأسود على هيئة إنسان، يحرك مفاصله الأساسية، يختبر الانسجام كمن يجرب قدمًا جديدة.

سألته: «كيف تشعر، أمير كلاود؟ هل هناك غرابة في الحركة أو نقص في الاستجابة؟»

نظر إليّ بتساؤلٍ صادق: «كل تحركات كياني منسجمة مع إشاراتي... بل استجابتها أقوى وأسرع حتى من جسدي»

قلتُ: «لأن الإشارات المنتقلة من عقلك إلى الكيان ليست عصبيةً بالمعنى المعتاد؛ إنها منهجية. مدهش... حسناً، ننتقل للتجول. امش أولاً، ثم اهرول، ثم إلى سرعتك القصوى»

قَطَّب حاجبيه قليلاً، وفي صوته ظلُّ مزاحٍ يحاول أن يغطي خوفاً قديماً: «لم أفهم معظم كلامك... لكن يبدو الأمر جيداً. حسناً»

تحرك على مهل بمحاذاة الشاطئ، ورماله تطبع أثراً خفيفاً تحت قدمي الكيان. راقبته وأنا أقرأ ما وراء الخطوة: هل يتعثّر الظلام؟ هل يلتهمه؟

قلتُ: «كل شيء يبدو جيداً. ارفع وتيرة الحركة... لنرى إلى أي مدى يمكنك التجول بسرعة»

ارتفع صوته بالحماسة: «ها قد أتت الإثارة!»

وانطلق. انطلق عالي السرعة؛ ثارت الرمال خلفه كذيل عاصفة. قلتُ وأنا أراقب: «لا عسر في الانطلاق ولا التجول...»

لكن صوته جاءني من بعيد، مرتفعاً، يسبق الفكرة: «سأحاول التجول في الغابة!»

تجمدتُ لحظة. خرجت الكلمة مني كأنها حجرٌ سقط في ماءٍ ساكن: «ماذا...؟»

رأيته يدخل الغابة بكيان ظلامه، يتفادى بعض الأغصان بسرعةٍ كبيرة، ويصيب غيرها بعنف. هربت الحيوانات على جانبيه، لا تفهم إن كان الذي يطاردها إنساناً أم ظلاً. التفت بين الأشجار كأنه سهمٌ لا يعرف كيف يهدأ، ثم اتجه نحو الحدود مع الشاطئ.

وفجأة عاد صوته... لكن هذه المرة كان الفزع هو الذي يركض: «هااا... يزييييين! لا أستطيع السيطرة على سرعتي! ابتعد... الشاطئ... المحيط... هااا!»

لم أصرخ. لم أتحرك كثيراً. بخطوةٍ واحدة إلى الخلف جعلتُ جسدي خارج حظ اندفاعه. خرج كلاود من الغابة إلى الشاطئ بسرعةٍ خارقة، واصطدم برماله، ثم اندفع إلى الماء كمن لم يعد

يفرّق بين اليابسة والبحر. وخطا على سطح المحيط لثوانٍ، يحاول التوقف، ينزلق على الماء كأن العالم فقد احتكاكه تحت قدميه.

حين خرج أخيراً من الماء، جلسنا معاً على ضفة الشاطئ تحت الأشجار. كانت أقدامنا مبتلة، والهواء يقطر ملحاً.

ابتسم كلاود ابتساماً خبيثة، كأن الخطر صار نكتةً حين نجا. «الخطو على الماء مشوّق... لنجربه في المستقبل»

زمجرتُ في سري قبل أن أتركها تخرج بلفظٍ مهذبٍ: «يبدو مثيراً... لكن شكراً على الدعوة. أنا لا أحب أن تبتل ملابسِي»

ضحك، ثم هدأ صوته وهو يعود إلى حقيقةٍ أعمق من المزاح: «لم أتوقع أن تكون لي كل هذه السرعة... كياني العصبي الجديد مختلف تماماً عمّا كنت عليه. لكن... بعد كتابة تطرفي من جديد، لن أستطيع إحداث السحر بعد الآن»

قلتُ وأنا أضع المسألة في موضعها الصحيح: «هذه نتيجة كتابة تطرفك الجديد. كيانك العصبي يستقبل الإشارات المنهجية من عقلك الباطن مباشرةً، متجاوزاً العقل المُدرك. تطرفك الجديد لا يستخدم المناهج لكتابة الواقع كما يفعل السحر... بل يستخدم القوة الحركية للمناهج كما في فنون قتال الملوك»

غمرته سعادةٌ صافية، سعادةٌ من استعاد نفسه ولو بئس. «أن أكون كياني مرةً أخرى... لا مانع لدي أن أشبهك في تخصصك يا يزن. بل سأدعمك بكل ما لدي من الآن وصاعداً. أنا شاكرٌ

لك حقًا. بهذا... سأكون تأهلت لخوض امتحان قادة اليكس، ثم البحث عن وسيلة لتحرير أمي»

ترددت لحظة، لا تواضعًا مصطنعًا، بل لأنني أعرف كم هو سهل أن ينسب الإنسان خلاصه لشخص واحد ويغفل عمّا دفعه هو من خوفٍ ومجازفة. قلتُ: «هذا لم يكن كَلِّه بسببي... عزمك، ومخاطرتك بنفسك، هما ما أثمر في النهاية»

قال بنبرة أكثر هدوءًا، كأن الامتنان عنده صار قرارًا لا انفعالًا: «أشكرك على كلماتك الكريمة يا يزن. أنت حقًا لست بشرًا عاديًا. حان وقت عودتنا إلى المملكة... لم يبقَ على الاختبار سوى يوم. وعلَيَّ أن أتعلم التحكم في تحركات كياني قبل مواعده»

قلتُ: «سأساعدك على التحكم في كيائك، لكن علينا مراعاة راحة أجسادنا. لتتوقف هنا اليوم. وأيضًا... عليك الاعتذار إلى الأميرة ميكا عمّا حدث بينكما»

تبدلت ملامحه إلى الجدية، ومرّ في عينيه شيء يشبه الندم حين يكون شجاعًا. «معك حق... أخطأت في حقها. فور عودتنا سأعتذر لها»

سرنا بين الأشجار، متجهين وسط الغابة إلى مملكة اليكس. كان الضوء يتقطع على الطريق كأنه يكتب على الأرض سطورًا غير مكتملة.

جلس الأمير كلاود على كتفي الأيسر، مبتسمًا، وقد خفت عنه ثقلُ السنوات. قال: «يزن... شكرًا لك على كل شيء. وليس هناك داعٍ للرسميات بيننا من الآن. آمل أن تدعوني فقط: كلاود... كصديق لك»

ابتسمتُ، وشعرتُ أن الكلمة هذه المرة لا تُقال لتخفيف المسافة فحسب، بل لتثبيتها حيث ينبغي. «في أي وقت، كلاود زوراي»



الفصل السابع

حكيمة سحر اليكس واعتذار

انحسرت شمس النهار الباهر عن أفقٍ واسع كأنها تُسَلِّم السماء مفاتيحها، وتمدّد الليل بساطًا هادئًا يلمع فيه ثبات النجوم كحُلِيِّ بارد تحت سقْفِ دامس. كنتُ على الحدود الغربية لمملكة اليكس، عند تماش الغابة التي تُخفي أسرارها بين جذوعٍ متلاصقة، والأمير كلاود مستقرًّا على كتفي الأيمن؛ خفيًّا في وزنه، ثقيلاً في حضوره.

ابتسم كلاود، وفي صوته نشوّة لا تخلو من توتر: «لا أصدّق... صار لديّ تطرّفٌ جديد. ستفزع المملكة كلّها حين تعرف»

قلتُ وأنا أترك ابتسامَةً تمرّ كوميض: «أجل. سُنْدَهشهم بما لا يتوقَّعون. لكن قل لي يا كلاود... كيف يكون اختبار قادة اليكس عادةً؟»

تأمّل قليلاً، كأنه يُعيد ترتيب ما يعرفه قبل أن يقدّمه لي: «في العادة يُختبرون في المهارات الحركية، والقوى السحرية في الدفاع والهجوم والتخطيط. وفنون اليكس في تفعيل الكيان العصبي أمرٌ أساسي... قدرة لا تُحسنها إلا شعوب اليكس»

تعنّرت قلبي بخطوّةٍ غير مرئية. سألتُ بحذرٍ لم أحسن إخفاءه: «الكيان العصبي شرطٌ أساسي؟ يعني... لن يُسمح لي بالمشاركة؟»

علا وجهه شيء من الجدية، وانطفأ مرعُه لحظة: «لا. ليس بالضرورة. بما أنك لن تستطيع تنشيط الكيان العصبي، سيُصعّد اختبارٌ فردي. أصعب... لا يترك مجالاً للتجاوز. وتلك هي الطريقة التي سُنخّبر بها أنا وأنت»

سرتُ في داخلي فكرةً باردة، ثم استقرّت: «إدّاً سُنخّبر بطريقةٍ مختلفة عن الأميرة ميكا؟»

قال: «أجل. لكن يا بيزن... أنا لم أر فنون قتالك، ولا كيف تستخدم السحر»

أجبتُ بأريحيةٍ مدروسة، لأن الحقيقة حين تُقال بلا زينةٍ تصبح أثقل: «هذا صحيح. الفنون المنسية فنون الملوك ليست معقّدة. تُصنّف من نمط التعزيز البدني الحر. جوهرها قراءة الوقت والفضاء، والتسارع العصبي، والتقوية الجسدية... لتتنزع أفضل نتيجة حين تلتقط اللحظة والمكان المناسبين للتصرّف»

ارتبك نظره كأنه يقيسني من جديد: «لكن... أليس هذا مستحيلًا على بشريّ بعمرِكَ؟ ثم إن لديك قوى كنز الحقيقة لرؤية المناهج... إن أتقنت السحر، ستصير بشرًا ذا شأنٍ عظيم، ولن يقل صيترك حتى في دائرة الملوك»

قلتُ وأنا أعرف وأنا أكتب هذا الآن كم كانت تلك الجملة ستلاحقني لاحقًا كتحديرٍ لا كمدح: «معك حق. رؤية المناهج ستتيح لي قراءة الوقت والفضاء بعمقٍ أكبر. لكن بما أن معلمتي ملكة الحقيقة غفلن أعطتني تطرفها السحري... فلن أستطيع تفعيل السحر بحرية ما لم أتدرب على تفعيله»

قال كلاود: «وهذه مهمة والدي زوراي... أن يعلمك أسس السحر» ثم سكت فجأة وحدّق بين الأشجار، كأن الظلام همس له باسم يعرفه. «همم... يزن، ألا ترى شيئاً يلمع وسط الغابة؟»

لم يكن لمعناً واحداً، بل شظايا ضوءٍ تنكسر مع الحركة، كأن أحداً يجلد الليل بسياطٍ من معدنٍ بارد. تقدّمتُ معه، وبينما كانت الأشجار تُضيق علينا الممرّ، انفتح فجأة حيزٌ خالٍ كجرّحٍ في جسد الغابة. الأرض مكسوّة بنباتاتٍ نضرة، والقمر يسكب نوراً هادئاً تحببه سحبٌ ثقيلة فيصير الضوء متقطّعاً... وهناك، في قلب العتمة، كان كياناتان يتقاتلان.

أحدهما سماويّ اللون، عيناه بيضاوان كصفحتين من ملح. والآخر أبيض ناصع، بعينين زرقاوين متوهجتين كجمرٍ بارد.

تمتم كلاود: «كياني بكس... من هما يا ترى؟»

لم أحتج أكثر من نبضةٍ لأعرف. قلتُ بصوتٍ خفيض، وأنا أطلق الفنون المنسية داخلي كما يُطلق المرء أنفاسه عند الخطر: «كيانا بكس متواجهان... القائدة رومي... والأميرة ميكا»

كان الهواء نفسه مشحوناً. رياحٌ تهيج وتتصادم حول الكيان السماوي لرومي، والثلج متناثرٌ في الإرجاء كنجومٍ سقطت من سماءٍ قريبة. ميكا، في كيانها الأبيض، ثابتةٌ بثبات من تعلّم أن يجعل التردّد عدوّه الأول.

سمعتُ رومي تقول، وصوتها يأتي من منتصف كيانها على هيئة بشرية: «من يتعاملون بالسحر يفترقون إلى الحركة والقوة البدنية؛ لاعتمادهم الكامل على سحرهم. وحتى نحن

البيكس... كياناتنا مرتبطة بأجسادنا ارتباطًا شديدًا. يا ميكا، كونك متجانسةً مع كل التطرفات لا يعني أن تتغاضي عن قوة الجسد»

ردت ميكا، وفي لهجتها حدةً من يعرف الدرس لكنه يرفض أن يُملى عليه: «أعلم هذا جيدًا يا رومي... ورأيتُ قوة أخي الغبي كلاود صباح اليوم. لن تصدّقي كم صار سريعًا»

لمعت نظرة رومي، مظلمةً وهادئةً في آنٍ واحد، والريح تُصفر حولها كأنها تتلصص على الكلام: «إذًا هذا ما كان يشغل تركيزك... سيشارك بكسيّ عديم الأجنحة والسحر أمير البيكس في اختيار قادة البيكس. في ماذا يفكر سموّه؟»

كنتُ أنا وكلاود مختبئين خلف الأشجار. رأيتُ كتف كلاود يرتجف، لا من البرد، بل من شيء أعمق.

قالت ميكا، ووجهها يهبط إلى ظلالٍ قاسية: «رومي... ماذا تحاولين القول؟ هل تقللين من شأن أخي كلاود؟»

ابتسمت رومي ابتسامةً ضيّقة، كحدّ سكين: «الشعور بفقدان مكاتك وذاتك، ومحاولة استرجاع ما فقدته بياس... يعميك عن قيمة ما حولك. ومن القبيح رؤية ذلك»

قبضت ميكا يديها حتى سمعتُ خشونة القفاز على الجلد: «نعم... من القبيح رؤية ذلك. ليس له خيار إلا أن يغرق في ظلمة قلبه التي تعمي فكره... لكنه ليس ضعيفًا يستسلم لعقبة كهذه... أخي كلاود...» ثم تشكّل الجليد عندها، سهمًا لا يخطئ.

انطلقت من بين يدي كيائها كتلتان جليديتان بسرعةٍ خارقة، عبر مسافةٍ لا تتجاوز أحد عشر قدمًا، نحو الكيان السماوي لرومي.

قالت رومي بوجهٍ مُظلم: «كعادتك... تُكمّلين كلامكِ بأفعالٍ هشة فحسب» وتكوّن حولها دفاعٌ من الهواء المضغوط، حلقاتٌ من رِيحٍ حادّة تلتفّ ككرةٍ شفافة، تحطّم الجليد قبل أن يلامسها. تناثر الثلج شظاياا تلسع العين، ثم على نحوٍ مُفاجئٍ هبط صمّتٌ غريب وسط العاصفة، كأن الريح انقطعت لتسمع القلب.

وتحوّلت ابتسامة رومي إلى حزنٍ عميق، حزنٍ ابتلع ملامحها كما لو أنها تتمزق من الداخل.

قالت، والدموع تنحدر من بين نظراتها الحادة: «الأمير كلود... سيدي الصغير... كان لطيفًا. ذكيًا. طيبًا... يُراعي شعور من حوله. كنتُ أسعى لأن أكون قربه دائمًا. لولا ذلك اليوم المشؤوم... لكان مقامي بجانبه. ماذا لو خسر قوته وجناحيه؟ لماذا اضطر أن يبتعد؟ هل يجب أن يكون قويًا ليكون بيننا؟ لماذا... لماذا صارت الأمور هكذا؟ أكره هذا... ليس عدلاً»

همس كلود من فوق كتفي، وكأنّه يخشى أن يسمعه الليل: «... رومي»

رأيتُ قبضته تنغلق، وعرفتُ أنه يحاول حبس شيءٍ أكبر من الدموع.

قالت ميكا، والاستسلام يزحف إلى وجهها ثم ينسحب بسرعةٍ كمن خجل منه: «رومي... نعم، هو يعاني لفقدان مكانته ووجوده بيننا... ونحن نعاني لأنه يتجنبنا. يا للسخرية. لكنني لم أعلم أن لديك مشاعر غير الولاء لأخي كلود... ها»

احمرّ وجه رومي حتى بدا لون كيانها السماوي أقل برودة: «... م-ماذا؟ هذا ليس صحيحًا يا ميكا! أنا فقط... أقول إنه ليس من العدل...» وانخفض صوتها: «... بُعده عنا»

التفتُ إلى كلاود، وتركته يراني للحظة. قلتُ بعينين ثابتتين أكثر مما ينبغي: «همم»

تمتم كلاود، وهو يحاول إنكار ارتبائه بالكلمات: «ماذا؟... إن كان لديك شيء فقله...» وكان في آخر الجملة رجاءً صامت: أمل ألا يقول شيئًا.

ابتسمتُ بنصف نظرة: «لا... لا شيء»

لكن ميكا لم تُمهّل أحدًا. صاحت بصوتٍ لطيفٍ لا يليق بضرباتها: «قائدة اليكس روميبي!» وتكوّن سهمٌ جليدي جديد.

شدّت رومي عينيها: «تهاجمين على حين غرة؟ جبانة... ضعيفة وطفولية» ورفعت دفاع الهواء.

صرخت ميكا، ووجتهاها محمرّتان: «ماذا قلتُ يا روميبي! دفاعك هذا... ليس عدلاً!»

وقلتُ أنا وكلاود مع رومي على نحوٍ غريبٍ كأن العبارة خرجت مّا رغما عنّا: «بهجومك هذا ليس عدلاً!»

تقدّمت رومي بعزمٍ صارم، كأنها قررت أن تقطع مزاح العالم: «حان الوقت لأنهي هذا» ثم انفجر الهواء خلف كيانها، دفعها دفعةً كالسهم نحو ميكا. تراجعت ميكا بدفاعٍ جليدي، لكن

رومي كوّنت في يدها اليمنى هواءً كثيفاً ضرب دفاع الجليد فحطّمه، وقذف ميكا بين قطع الثلج المتكسّر.

تباعدت ميكا وهي تلهث، ومع ذلك بقيت ابتسامتها معلّقة على طرف تحدّ: «شرسة في الهجوم كعادتك... ألا تتساهلين معي؟»

قالت رومي: «أتساهل معك؟ هذا ممل. أنا أوّدّ مبارزة حكيمة السحر... ذلك أكثر تشويقاً»

تبدّلت عينا ميكا إلى حدّة زرقاء صافية كحدّ الثلج: «لا تندمي على طلبك، قائدة اليكس رومي»

ابتسمت رومي: «لا يهم ما تقولين... لكن النتيجة واحدة، أميرتي»

قالت ميكا وهي تنزع من الهواء ما يشبه الوعد: «ليس بعد. لا تستعجلي هزيمتك يا رومي... سوار حكيمة السحر»

توهّج سوارٌ ذهبيّ بخطوطٍ بيضاء على معصمها الأيمن، وانطلقت منه طاقةٌ بيضاء تشكّلت على هيئة عصيّ سحرية، ثم استقرّت عصاً واحدة في يد كيانها العصبي عصا حكيمة السحر من طاقةٍ مُهذبة، كأنها نورٌ يتعلم كيف يصير سلاحاً.

قلّت في نفسي، وأنا أُسمي الأشياء باسمها كي لا تبتلعني دهشتها: كنوز العرش... فنون حكيمة السحر.

همس كلاود من خلف الأشجار، بصوتٍ لا يريد أن يوقظ الحسد في الهواء: «يذن... هذه أول مرة ترى فيها نمط حكيمة السحر لميكا. إنه أحد كنوز فنون قتال حكيمة سحر البكس. استحقته ميكا لتناشئها مع جميع التطرفات، واكتسبت لقب حكيمة السحر للبكس»

أجبتة وأنا أعوص في ما أعرفه وما أخافه معًا: كنز يسمح للطاقة السحرية أن تتشكّل الى أدواتٍ وأسلحة... كنتُ قد سمعتُ من معلمتي غفلن عن حضارةٍ قديمة صنعت كنوزًا تتحول إلى أسلحة، وأخرى تملك كياناتٍ ذكية تُساوم حاملها كما يُساوم الظل صاحبه.

قال كلاود، وارتبأكه يُظهر جهله باعترافٍ صامت: «كما هو متوقع من تلميذ الحكيمة غفلن... تعرف أمر الكنوز. لكن هذه أول مرة أعلم فيها أن هناك كنوزًا تملك كياناتٍ ذكية»

ابتسمت رومي ابتسامَةً حادة: «تستعينين بنمط حكيمة السحر... لنرَ ماذا تفعلين بقوتكِ هذه، ميكا»

ضربت ميكا الأرض بعصاها وانقضّت بسرعة: «آمل ألا تندمي يا رومي... سأهاجم بكل ما لدي»

قالت رومي: «لن أسمح لك...»

وبضربة العصا، عصف جليدٌ ورياحٌ معًا. تجمّدت الأرض والأشجار القريبة، وحتى دفاع الرياح الكروي لرومي تجمّد صار الهواء نفسه سجينًا للبرد. لحظةً رأيتُ فيها قانون السحر كما هو: ليس قدرَةً مطلقة، بل كلفةٌ تُدفع من قلب الطبيعة.

قالت رومي، والدهشة تلمع ثم تُطفأ: «... ماذا؟ تجميد دفاع الرياح؟ حركة ذكية... همم!؟ كياني
أيضاً؟»

تكوّن حول كيان ميكا الأبيض جليدٌ مُسنّن، ثم اندفع ليحطم جدار الرياح المجمد، كأنها تفتّت
قفصاً وهي تبتسم.

قالت ميكا بملامح جادة: «رومي، استسلمي... قبل أن أحوّلك إلى قطعة ثلج»

ابتسمت رومي، وفي ابتسامتها شيء يشبه الشفقة على الاندفاع: «تذكّري... القوة تُعمي يا
ميكا»

اتسعت عينا ميكا: «ماذا... تقصدين؟»

وجاء الجواب من الخلف لا من الكلام. أصوات رياحٍ خافتة أخذت تتزايد، ثم ظهر وراء ميكا
تماماً كرتان من هواءٍ مضغوط، معلقتان في منتصف كيانهما كفتح صامت.

في حركةٍ خاطفة، تخلّت ميكا عن كيانهما الأبيض، وصرخت وهي تهرب من انفجار الهواء:
«رومي... أيتها الماكرة!»

اختفى كيانهما الأبيض وهو يمتصّ ضرر الانفجار، دافعاً جسدها بعيداً. تبعها قواطع هواء؛
صدّتها ميكا بجدارٍ من الجليد وهي تحلق، حتى لاحظت قبلها ظلّ يكسيّ خلف الجدار مباشرة.
وفي لحظةٍ واحدة، كانت رومي عندها: قبضت بعنفٍ محسوب على عنق ميكا، وردّتها إلى

الجدار الجليدي بقبضتها اليسرى، والهواء المضغوط يتكوّن في يدها اليمنى كتهديدٍ لا يحتاج أن يُطلق.

قالت رومي بابتسامةٍ مشرقةٍ ووجهٍ مظلم: «حكيمة السحر ميكا... أتودين الاستمرار؟»

احمر وجه ميكا من الغيظ، لكنها لم تُنكر الهزيمة: «... أستسلم. رومي... لقد فزت»

تركتها رومي، وقالت ببرود المُدرّب: «تركيزك مشتت. تحركاتك متصلبة. تُحدّقين في الهدف أكثر مما تقرئين المحيط... لهذا وقعت»

وقفت ميكا أمامها بوجهٍ متذمّر: «أنت قاسية في تدريبك يا رومي»

قالت رومي بضيقٍ يحاول أن يتخفى وراء المسؤولية: «حقًا... وأنت ستخضعين لامتحان بعد يوم. كمدربتك يجب أن أحرص على نجاحك... هه»

تقدّمتُ أنا وكلاود من خلف الأشجار تحت ضوء قمرٍ خافت، كأننا نخرج من اعترافٍ لا من مخبأ. كان كلاود لا يزال فوق كتفي، لكنه صار أثقل الآن، لأن الكلام الذي سمعته لم يعد يمكن نسيانه.

قال كلاود: «كعادتك يا قائدة رومي... لا رحمة في تدريباتك. كان قتالاً جيداً»

وقلتُ: «الأميرة ميكا، القائدة رومي... أحسنتما. كانت مباراةً قوية»

تراجعت الدهشة على وجه رومي ثم استقرت: «بزن... سمو الأمير! منذ متى وأنتما هنا؟ لم أشعر بحضوركما...»

كانت ميكا قريبة، صامتةً كما لو أنها تحاول أن تتفادى وجودنا.

قلتُ: «لم نشأ أن نقاطع تدريباتكما»

وأضاف كلاود، وهو ينظر إلى ميكا بتوترٍ واضح: «وترددنا في الظهور... لم يكن الوقت مناسبًا»

التفتت رومي إلى ميكا على معنى الجملة، وبدأ احمرار وجهها يتصاعد حتى وضعت يديها على وجهها كمن يحتمي من ضوءٍ فاضح: «هااا... لقد سمعتما حديثنا...»

نزل كلاود من كتفي، ووجهه يحمّر خجلًا، لكنه ثبتّ صوته كي لا يهرب: «رومي... أنا مدين لك باعتذار. أنا سببت لك القلق... آسف لأنني لم أدرك ما حولي وقتها... وأرجو أن تسامحيني»

احمّرت رومي أكثر، لكنها لم تترك الاعتذار يذهب بلا ثمينٍ صغير: «لا... أنا آسفة لأنني لم أستطع فعل شيء في ذلك الوقت...» وانخفض صوتها: «ويبدو أنك أدركت ما حولك الآن يا سمو الأمير. سأسامحك... بشرط أن تعد ألا تتجنبنا مرة أخرى. أليس كذلك يا ميكا؟»

ظلت ميكا عابسة، تتفادى النظر إلى كلاود كأن النظرة ستسقط عنها شيئًا تخشى سقوطه.

قال كلاود بثبات: «أعدكما ألا أفعل ذلك مجددًا... وأرجو منكما مسامحتي»

قالت ميكا وهي تُبقي عينيها في مكانٍ آخر: «بعد كل هذا الزمن... تأتي وتعتذر ببساطة؟»

ثقل الجو. انغلقت القلوب قليلاً، وكأن الإدراك يمشي على مهلٍ فوق جرحٍ قديم. رأيتُ كيف يمكن للكلمات حين تتأخر أن تصير حجراً في الفم.

ابتسمتُ برفق، وألقيتُ ما أعرف أنه لن يحلّ كل شيء، لكنه يفتح نافذة: «من الطبيعي أن تؤذي الأقرباء منك ببعدك... ومن الطبيعي أن يؤذيك بُعدهم عنك. وشعورك بأنك لا تستحق البقاء بينهم لأن مكانتهم عظيمة عليك... مفهوم. لكن رغبتك في البقاء بينهم، ورغبتهم في البقاء معك... شيء طبيعي. لا يحتاج إلى استحقاق»

التقت نظرات كلاود وميكا لحظة. لم تكن مصالحة، لكنها لم تعد حرباً.

ابتسمت رومي ابتسامةً هادئةً: «نعم... أنت على حق يا يزن»

كان النسيم يحمل رائحة الأرض والعشب الأخضر تحت ضوءٍ باهت، وأغصان الغابة تهدر بهديرٍ بعيد كأنه صدى زمنٍ قديم.

قال كلاود بتردد: «... ميكا، اسمعيني»

رفعت ميكا نظرها إليه؛ حدةً سوداء لا تخلو من رجة.

قال بصوتٍ هادئٍ: «بعد حادثة الجوهرة الأم... وفقداني لأمي، وقواي، وأجنحتي... سقطتُ في عتمة نفسي. لم أستطع الوقوف بينكم منذ ذلك الوقت. امتلأ قلبي بالخزي... حاولت ألا أستسلم، لكن...»

انفجرت ميكا بالبكاء قبل أن ينتهي. صرخت، والدمع يقطع صوتها شهقات: «أخي الغبي... أنت لا تفهم! كيف لا تدرك أنه لا يوجد استحقاق للبقاء معنا... ومع ذلك تمنعنا من البقاء معك! من أجل القوة؟ أم المكانة؟ حتى أنا...» شهقت. «حتى أنا... تدربت بكل ما لدي لنيل كنز حكيمة السحر... لأحمل عنك هذا الظلم... وفي النهاية تتفادى أن تبقى قربي... هذا ليس عدلاً!»

لم أقل شيئاً. بعض الصمت لا يكون فراغاً، بل احتراماً للألم وهو يخرج أخيراً دون قناع.

تقدّم كلاود، ووضع يده على رأسها كما كان يفعل حين كانت أصغر من غضبها: «ميكا... أمنيته على الأقل أن أملك قوةً أحميك بها. لذلك تدربت على الحركة والقوة البدنية... وعندما حصلت على كنز حكيمة السحر للكبس، علمتُ أنك لن تحتاجي لمن يحميك بعد ذلك... فغرقتُ في خزي أكثر. كإخوة... نفكر في بعضنا دون أن نعرف كيف نُنقذ بعضنا. لذا... بعد الآن لن أسقط في ظلمة نفسي مرة أخرى. أمل أن تسامحي أخاك الغبي... لقلّة رؤيته لما يملك حوله... ولأنه لم ينظر إلى النور أمامه» ثم التفت بعينيه إلى رومي.

تجمّدت رومي لحظة، ثم احمرّت وهي تنظر إلى الأرض كأن التراب صار فجأة أجمل من السماء.

ضمت ميكا أخاها، وخدودها حمراء، ودموع الفرحة تتساقط دون خجل: «وأنا أيضًا آسفة...
آسفة لأنني دعوتك بالغبي»

ابتسم كلاود، ودموعه تنهمر: «لا عليك... أنا حقًا غبي»

ابتسمت أنا، وشعرتُ أن شيئًا كان مكسورًا في هذا المكان قد انطبق على بعضه أخيرًا، ولو مؤقتًا. ورأيتُ دموع الفرحة على خدي القائدة رومي، تلمع تحت القمر مثل اعترافٍ صغير لا يُقال.

تلك الليلة كان داخل الشجرة الأم، في غرفة كنوز العرش، يقف ملك البكس زوراي قرب جوهرة البكس. كانت ملكة البكس كونزيت محبوسة داخل الجوهرة؛ حضورها لا يُرى، لكن صداها يملأ المكان.

قالت كونزيت من داخل الجوهرة، بالتخاطر: «عزيزي زوراي...»

جلس زوراي على الأرض متكئًا على الجوهرة، كما لو أنه يتكئ على ذنبٍ قديم: «نعم يا كونزيت... ماذا يشغل بالك؟»

قالت: «لم أقل شيئًا حين حصلت ميكا على كنز حكيمة السحر في صغر عمرها... ولكن... لا أود لكلاود أن يُصاب. سيفعل كل شيء ليفوز باختبار القادة»

تنهد زوراي، وفي تنهده قانونٌ مُلكٍ لا يرحم: «ليس لي الحق أن أمنع كلاود من خوض الاختبار. كل من يخوض اختبار القادة يبذلون قصارى جهدهم ليثبتوا جدارتهم. كلاود له الحق... لقد فقد الكثير حتى الآن»

قالت كونزيت، وصوتها يتكسر كضوءٍ داخل ماء: «زوراي... كنتُ السبب في إصابة ابني كلاود. لم أدرك ما يحدث في الجوهرة الأم. لماذا اضطر أن يعطيني قوته السحرية وقتها؟ هو لا يستحق ما حدث له... لقد حماني وحمى الجوهرة الأم وكل اليكس. كلاود ليس عليه أن يضحى أكثر من هذا...»

قال زوراي: «كونزيت... كلاود لا يدرك ما أنقذه بتضحياته. يعتقد أنه فشل في إنقاذك. لذلك يشعر بالخزي ويظن أنه كان ضعيفاً... لا أود منعه، لعله يجد شيئاً في الاختبار»

قالت كونزيت: «حسب قوانين المملكة... كونه عديم الأجنحة يخضع لاختبارٍ أشد صعوبة، كما هو حال القادمين من خارج مملكة اليكس. هل ستعامل الطفل البشري يزن بالطريقة نفسها؟ ألا تقسو عليه كثيراً بهذا القرار؟»

ابتسم زوراي ابتساماً لم تصل إلى عينيه: «قد يكون طفلاً بالنسبة لعمره كبشري... لكنّه مستخدم لفنون قتال الملوك المنسية. وهو يملك الآن القوى السحرية لملكة الحقيقة غفلن»

تردّد صمّتٌ قصير، ثم قالت كونزيت: «أحقاً هذا؟ ديميتا أخبرتني أنه ورث قوى ملكة الحقيقة غفلن... والآن هو مستخدم لفنون الملوك. هذا يفسّر التغيرات المنهجية غير الطبيعية حوله... لكنه لا يملك تاجاً. حقاً... من هذا الفتى؟»

رفع زوراي نظره إلى سقف غرفة الكنوز، كأن الإجابة معلقة هناك: «لهذا أود أن أجمع كلاود ويزن في الاختبار... لعلّ كلاود يرى طريقًا، بمساعدة يزن، في معضلاته»

قالت كونزيت، وفي صوتها دعاءً لا يشبه الأوامر: «يبدو أنك تنوي على شيء يا زوراي... أمل أن ينجح كل من ميكا وكلاود ويزن»



الفصل الثامن

التحام ومواجهة

عدتُ مع كلاود وميكا ورومي من الغابة إلى القاعة الكبرى في الشجرة الأم، مقرّ إقامتي. كان المساء يهبط على الأخشاب العتيقة كأنه غبارٌ ذهبٍ خافت، والهواء في الداخل دافئٌ برائحة أوراقٍ مطحونة وزيوتٍ تُشعلها الخادמות لتطرد رطوبة الغابة.

وجدناهنّ على عجلٍ يصففن الصحون ويضبطن المائدة على طاولةٍ خشبيةٍ مستديرة، يتهيأن لعشاءٍ بدا وكأنه طقسٌ صغير لاستعادة النظام بعد يومٍ طويل.

وقفت ديميتا على الأرض أمام المائدة، وانحنت بتواضعٍ راسخ كأن الانحناء جزءٌ من شخصيتها لا حركةً عابرة، وقالت: «أهلاً بعودتكم، سمو الأمير والأميرة، والقائدة رومي، والسيد الصغير يزن»

حلّقت ميكا فوق رأسي مباشرةً، ثم انزلت إلى طرف الطاولة كوميضٌ أبيض، وقالت بنبرة لا تُخفي نفاذ صبرها: «ديميتا... أنا جائعة جدًا. أمل أن يكون الطعام جاهزًا»

رفعت ديميتا عينيها بلامح حادّة لا تفتقد اللطف، وقالت: «أجل يا سموك. انشغلتم بالتدريب حتى بدا وكأنكم نسيتم الطعام، فهَيِّئِ العشاء ليكون مناسبًا بعد ما بذلتم من جهد»

جلس كلاود إلى المائدة، على غير عادته في التردد، وقال: «اعذرنا يا مدام ديميتا... أفلقناك بالتأخير»

ابتسمت ديميتا ابتسامَةً صغيرة، ثم قالت وكأنها تمسّ خيطًا خفيًا بيننا: «سمو الأمير... مضى وقتٌ طويل منذ رأيتكم مجتمعين هكذا كما كنتم. هذا يسرّ قلبي. ويبدو أنّ للسيد الصغير يزن يدًا في ذلك» ثم انحنت نحوي ثانيةً وأضافت: «شكرًا لك يا سيدي الصغير... لأنك جمعتهم مرةً أخرى»

تعثّر صوتي في صدري قبل أن يخرج. قلتُ بصدقٍ لا أعرف كيف أُصوغه لأنقًا: «عفوًا يا مدام ديميتا... لم أفعل شيئًا يُذكر»

ابتسم كلاود وميكا بصمت، وفي ابتسامتهما شيءٌ يشبه الاعتراف الذي لا يُقال.

ضحكت رومي ضحكةً خفيفة، وقالت: «مدام ديميتا ترى من خلالنا... خصوصًا الأمير كلاود والأميرة ميكا»

انقبضت ملامح ميكا بامتعاضٍ مكبوت، وقالت: «أنا لم أستطع فعل شيء، حتى أبي وأمي لم يقدرنا على إخراج أخي من عزلته... ثم يأتي يزن في يومٍ واحد!» تنفّست كأنها تُطفئ شرارةً في صدرها، وأضافت بنبرةٍ تجمع الشكر والغیظ: «أنا ممتّنة لك يا يزن... لكن هذا يغيظني ويغضبني أيضًا، يا أخي كلاود»

ابتسم كلاود، وشدَّ قبضته كأنه يقبض على ما كان يتقلَّت منه طويلًا، وقال: «أنا مدين ليزن... لقد سحبني من عزلتي، وأرشدني إلى طريقٍ كنتُ تائهًا عنه. لكن... كلماتكِ أنتِ يا ميكا كانت الدافع الأكبر» أمال رأسه قليلاً وأضاف: «شكرًا لكِ»

رأيتُ وجنتي ميكا تحمران كأن النار مرَّت بهما مرورًا لطيفًا، ولمعت عيناها. امتلأت القاعة بذلك الدفء الذي لا يصنعه السحر، بل تُشعله المصالحة حين تُقال في وقتها.

مسحت ميكا دموعها سريعًا، وقالت وهي تحاول أن تبدو عمليةً كي لا تنكشف: «أنا ممتنة لهذا اليوم... دعونا نأكل»

انتهينا من العشاء تحت سقف القاعة الكبرى، وبدأت الخادمت يرفعن الصحون ويبعدن ترتيب المكان بحركاتٍ مدرّبة لا تُحدث إلا همسًا خفيفًا فوق الخشب.

وقف كلاود واستأذن متجهًا إلى بوابة القاعة: «لقد تأخَّر الوقت. ميكا، رومي... حان وقت النوم. نستأذنك يا يزن. ليلة سعيدة»

حلَّقت ميكا خلفه، واستدارت نحوِي في الهواء كأنها لا تريد أن تترك الجملة ناقصة: «أحلام سعيدة يا يزن... وشكرًا لك على ما فعلته اليوم. إلى اللقاء»

وقالت رومي وهي تميل باحترامٍ عملي: «أستأذنك يا يزن... وشكرًا لك»

ابتسمتُ: «تصبحون على خير... وأحلامًا سعيدة»

تقدّمت ديميتا نحوي بعدما حَفَّ ضجيج القاعة، وقالت بنبرة مهذبة لكن فيها حزمٌ من اعتاد أن ينجز: «عفوًا يا سيدي الصغير لهذا الطلب المفاجئ... هل تسمح لي بقصّ شعرك؟ لقد طال كثيرًا، وأودّ ترتيبه كي لا يكون عائقًا في الاختبار»

رفعتُ يدي إلى خصلاتي. كانت أثقل مما اعتدت، وكأنها تحمل أثر الأيام الأخيرة. قلتُ: «نعم... معك حق. أحتاج إلى تقصيره. لكن عفوًا يا مدام ديميتا... لا أستطيع أن أكلّفك بهذا»

اقتربت وهي تحلّق حتى صار ظلّها يمرّ على كتفي، وقالت: «يسعدني أن أكون عونًا لك. دعني أشكرك بطريقتي... إن أذنت»

ثم حطّت على كتفي الأيمن بخفةٍ لا تُصدّق، وقالت: «عدّزًا يا يزن... سأستعمل سحر الرياح»

جلستُ على الأرض وابتسمتُ، وقلت: «لا بأس يا مدام ديميتا. سيدتي غفلن كانت تقصّ شعري بالطريقة نفسها»

تصلّبت ملامحها لحظةً، كأن اسم غفلن يفرض على الهواء احترامًا خاصًا، وقالت: «أحقًا... ملكة الحقيقة غفلن... سيدة السحر في غاية اللطف إذن»

قلتُ، وبين كلماتي ظلٌّ من حنينٍ لا أحب أن يراه أحد: «كانت تُصرّ على قصّه. وتغضب وهي تقول إن عليّ أن أحافظ على مظهرٍ مرتبًا... وأن ذلك جزءٌ من التدريب»

ضحكت ديميتا ضحكةً قصيرة: «يبدو أنها كانت كثيرة الاهتمام بك»

وقفت خلفي خادمتان من تابعاتها، تراقبان وتستعدان لتلقّف الشعر المتساقط. أما ديميّنا فرفعت يدها اليمنى، فتكوّنت حول أصابعها هالةً هوائيةً دقيقة، لم تكن ريحًا عشوائية؛ كانت حدًا باردًا، نظيفًا، يقطع دون أن يجرح. شعرتُ ببرودةٍ تسري قرب جلدي كلما مرّت “الشفرة” الهوائية، وبخفةٍ تتزايد عند مؤخرة رأسي كأنني أتخلّص من حملٍ صامت.

قالت وهي تعمل ببطءٍ محسوب: «في الحقيقة يا سيدي الصغير... أنا شاكرة لما فعلته للأمير كلاود. مضى وقتٌ طويل منذ رأيته بيننا... خصوصًا إلى جانب الأميرة ميكا. كنتُ على وشك فقدان الأمل في لمّ شملهم»

قلتُ وأنا أراقب ظلال الشعر تتناثر على الأرض: «لم أفعل شيئًا يذكر. عودتهما طبيعيتي... إنهما أخوان في نهاية المطاف»

لم تتوقّف يدها عن الرسم في الهواء وهي تقصّ وتسوّي، وقالت: «لهذا أنا شاكرة لك» ثم خفّضت صوتها قليلًا، كمن يقدم نصيحةً لا تُمنح إلا لمن يستحق: «وبما أنكما، أنت والأمير كلاود، ستخضعان للاختبار بطريقةٍ مختلفة عن الأميرة ميكا... أحثكما على استخدام فنون اليكس للتزامن العصبي بينكما»

ارتجّ في داخلي معنى المصطلح، بكل ما فيه من حدودٍ وخطر. قلتُ: «التزامن العصبي... نعم، سماحية اليكس بالتحكّم بجسدٍ بشري... باستثناء كيان الفنون العصبي. لكنه يعتمد على تقبّل الإرادة بين الطرفين، وعلى منهجية التطرف السحري المتوافقة بين “اليكسي” و”البشري”... وكلاود لا يملك تطرفًا سحريًا»

توقّفت ديميتا لحظةً، ونظرت إليّ بدهشةٍ صافية، وقالت: «صحيح... كما هو متوقّع من تلميذ ملكة الحقيقة. سمعتُ أنك تتقن الفنون المنسية لقتال الملوك. ربما تجد شيئاً... بدلاً للسحر، في فنون الملوك، ينهض مقام التزامن العصبي»

قلتُ وأنا أزن الوقت القصير المتبقي بقلقٍ خفي: «سأرى ما يمكنني فعله. شكراً لك يا ديميتا... اقتراحك مهم. أمل أن ندركه قبل أن يداهمننا الاختبار»

قالت برضاٍ هادئ: «سعيدة أن أكون ذات عون» ثم مالت قليلاً، تتفحص النتيجة كفنانةٍ لا ترضى إلا بالدقة: «لم أظن أنني سأرى بشرياً يعلم هذا القدر عن فنون اليكس... لقد أدهشتني، يا سيدي الصغير» وسكتت لحظةً قبل أن تضيف: «وأظنني... لم أقصّ كثيراً. يبدو جيداً هكذا»

حلّقت الخادمتان في القاعة، تجمعان وتُنظمان، ثم خرجتا بصمّتٍ إلى ممرات الشجرة الأم.

لمسّت شعري الجديد وشعرتُ بخفةٍ غريبة عند وجهي، كأن ملامحي صارت عاريةً أمام الضوء. قلتُ بسعادةٍ صادقة: «شكراً لك يا مدام ديميتا... هذه القصة تناسبني»

قالت: «يسعدني أنها نالت إعجابك. لقد تأخر الوقت... تصبح على خير يا سيدي الصغير»

قلتُ وأنا أتهيأ للنوم: «وأنت أيضاً يا ديميتا... تصبحين على خير، وأحلاماً سعيدة»

صباح اليوم التالي، كان الضوء يخرج من خلف الغيوم كمن يحاول أن يثبت حسن نيّته. في مملكة اليكس، حتى الصباح يبدو كأنه يُراقب. وقفتُ عند بوابة القاعة في وقتٍ مبكر، مستعداً

للانطلاق نحو التدريب، بينما كانت العيون تتسلّل من كل جانب لا عداً فيها، بل فضولٌ يلمع كحدّ سكين.

(حقاً... مذهري الجديد يبدو غريباً عليهم.)

حلّقت ميكا من بعيد، وكلاود يمشي خلفها على مهل. ما إن اقتربت حتى دارت حولي كأنها تتفحّص عملاً فنيّاً طازجاً، وقالت: «يزن؟ لقد تغيّر مظهرك بالكامل... وجهك صار واضحاً. أصبحت... أكثر وسامة»

ضحك كلاود بقربنا، وقال: «يبدو أن ديميتا مرّت قرب شعرك يا يزن... لكنه يبدو جيّداً»

في اللحظة نفسها، شعرتُ بحضورٍ باردٍ خلف كلاود مباشرة ظلّ كثيف، كأنه عطشٌ بلا فم. التفت كلاود بحذر، فإذا بديميتا تتبسم ابتسامَةً تضيق معها المسافة بين المزاح والتهديد، وقالت بصوتٍ ناعمٍ خائق: «كلاود... يبدو أن شعرك نما أيضاً. هل أقصّه لك؟»

تصلّب كلاود، وخرج صوته غريباً، أقرب إلى الهمس المرتعب: «لا... لا شكراً لك، سيدتي ديميتا»

ضحكتُ أنا وميكا، وضحك بعض البكس من خلفنا بخفوتٍ متواطئ.

قالت ميكا وهي تضحك: «لم أُر أخي مرتعباً هكذا من قبل. ديميتا... أنتِ مرعبة حقاً»

قلتُ وأنا أستجمع جدبة التدريب قبل أن يتلعنا المزاح: «حسناً يا كلاود... هل أنت مستعد؟ علينا الإسراع»

قال: «نعم... أنا مستعد. هيا بنا، إلى اللقاء يا ميكا، يا ديميتا»

لكن ميكا أوقفته بحركة في الهواء، وقالت: «انتظر يا أخي... أمي تريد منك أن تأخذ هذا معك»

انفجرت عينا كلاود بدهشة واضحة: «أمي؟» ثم حدّق في ما قدّمته: «هذا... سوار حكيم القتال. هل أمرتك أمي بهذا يا ميكا؟»

خفضت ميكا بصرها للحظة، كأنها تحمل في يدها أيضاً ثقل الكلام، وقالت: «نعم. قالت إنه حتى إن لم تستطع استخدام السحر... فهي تريدك أن ترتديه في الاختبار. وقالت إنها فخورة بك... وأنتك تستحقّه»

لبسه كلاود بفرحة حاول أن يخبئها خلف هدوء مصطنع، وقال: «شكراً لك... على تسليم السوار» ثم سألها بنبرة أطف: «هل تتدربين اليوم مع رومي؟»

أضاء وجه ميكا بفرح عميق: «أجل. لا أودّ تأخيركما... رافقتكما السلامة»

قفز كلاود إلى كتفي الأيسر، واستعددتُ للانطلاق، وقلت: «إلى اللقاء يا ميكا... يا ديميتا»

انحنت ديميتا باحترام، ووقفت ميكا قربها ورومي خلفهما، كأنهنّ يسلمننا للغابة وهي تفتح فمها الواسع.

اندفعتُ بين أشجار غابة البُكس العملاقة. كان العشب تحت قدمي يبُلل أطراف حدائي بندئٍ بارد، والنباتات النضرة تمسّ ساقي كلما اجتزتها. جعلتُ جسدي يتبع فنون قتال الملوك ليس قوةً محضة، بل اقتصاداً في الحركة، وقسوةً على التردّد.

تعلّق كلاود بكتفي، وشعرتُ بثقل وجوده لا كجملٍ، بل كمسؤولية.

قال وهو يحدّق في سرعة الأرض التي تتراجع تحتنا: «أنت سريع يا يزن... حتى لو استخدمتُ تطرفي الجديد لن أستطيع مجاراتك. وكنتُ أفكّر في استخدام التزامن العصبي معك»

كنتُ أقرأ التضاريس بعيني قبل قدمي قراءة الوقت والفضاء، تلك الحاسة التي تعلّمتها كمن يتعلّم أن يسمع سقوط الصمت. قلتُ وأنا أتفادى جذعاً منخفضاً: «أجل... ديميتا ذكرت ذلك. سنجري اليوم محاولات في هذا الشأن» ثم شددتُ سرعتي قليلاً: «لكن علينا أيضاً تطوير أسلوب القتال لتطرفك الجديد. ولديّ أفكارٌ حول كيائك العصبي... سأكون عنيقاً في التدريب لقلة الوقت. فحاول أن تواكبني يا كلاود»

ابتسم كلاود بحمايسٍ صريح، وقال: «سريع التفكير كعادتك. حسناً... أنا تحت رعايتك يا صديقي يزن»

حلّ صباح اليوم الثالث، فاهتزّت المملكة بأصوات الأبواق، واختلطت رائحة البحر بالورود التي علّقها البُكس في الأرجاء. كانت السماء صافيةً زرقاء تمتدّ حتى حافة الأفق، وتحتها غيومٌ بعيدة تُلقي ظلالاً طويلة على الغابة الغربية المطلة على المحيط.

كان يوم اختبار قادة اليكس. بين الغابة الغربية وشاطئ البحر، تباعدت النظرات وتقاربت، تنشبّت بالمشهد قبل أن يبدأ، كأن الجميع يخشى أن يفوته تفصيلٌ يصير لاحقاً حكاية.

جلس الملك زوراي وقادته على منصةٍ خشبيةٍ تُعلّفها أقمشة زرقاء فاخرة ذات لمعةٍ غامضة، تتخللها تطريزاتٌ ذهبية. خلف المنصة جلس كبار اليكس: صغير، وأدهم، وكادي، وأيار. وتحتهم اصطف قادة اليكس، فيما احتشد الشعب على جانبي المنصة بانتظامٍ صارم، كأن النظام هنا نوعٌ من السحر أيضًا.

وقفتُ أمام الحشد مع كلاود وميكا. نظرتُ حولي، والشاطئ هناك يلمع كحدّ سيف تحت الضوء. قلتُ على مهل، كأنني أتأكد من الواقع: «لم أظن أن لاختبارٍ كهذا كل هذا الاهتمام... ومن الغريب أن يكون مطلقاً على الشاطئ»

كان كلاود واقفاً على كتفي الأيمن، وقال بنبرةٍ تعرف كيف تُحوّل القلق إلى معلومة: «هذا اختبارٌ تُطرح فيه القدرات القتالية والسحرية والاستراتيجية كلها. تنوع المناخ هنا جزءٌ من معناه» ثم التفت إلى ميكا وأضاف بابتسامةٍ صغيرة: «ومادمتُ مشاركاً يا يزن... فستثير اهتمام المملكة كلها. إنه أشبه باحتفالٍ موسمي» ثم نظر إلى ميكا وأردف: «وملابس الاختبار... تليق بك يا ميكا»

حلّقت ميكا نحوي، وقالت: «شكراً لك يا أخي. يزن... كيف حالك اليوم؟ تبدو أن أيقين ومستعدين»

نظرتُ إلى ملابسي؛ كانت خفيفة الحركة رغم متانتها، كأنها مصممة لتفهم الجسد قبل أن تُلبسه. قلتُ: «ديميتا أهدتنا هذه الملابس للاختبار. فوجئتُ بسهولة الحركة فيها»

اقتربت رومي ومعها قائدتان، وانحننا احترامًا لكلاود وميكا. قالت رومي بابتسامةٍ فيها شيءٌ من المزاح: «أنت دائم التفكير بالمعطيات يا كلاود... كيف حالكم؟ يبدو أنكم مستعدون جيدًا»

قلتُ: «صباح الخير يا رومي»

قال كلاود: «مرحبًا يا رومي... تارا... نردين» ثم أشار إليهما: «يزن، هاتان تارا ونردين، قائدتان من قادة اليكس. كانتا في قاعة كبار اليكس حينها»

قلتُ بانضباطٍ لا يخلو من رغبةٍ في أن أكون جديرًا بالمشهد: «تشرفت بمعرفتكم. أنا يزن... وآمل أن أكون على حسن تطلعاتكم»

قالت تارا، وصوتها واضح كهواء الصباح: «الملك زوراي يتطلع لاختبار اليوم... إنه حدث غير اعتيادي. أتمنى لك التوفيق»

وقالت نردين، وفي نبرتها توقُّعٌ لا يخلو من امتحان: «تشرفت بمعرفتك يا يزن. مرَّ وقتٌ طويل منذ زار بشري أرض اليكس... لذا نتوقع الكثير هذا العام. ونتمنى التوفيق لكما أيضًا، يا سمو الأميرة ميكا وسمو الأمير كلاود»

حلَّقت رومي نحو المنصة، وقالت: «ها هو الملك زوراي وكبار اليكس قد حضروا. هيا بنا يا تارا وبا نردين. إلى اللقاء يا ميكا وكلاود ويزن... أتمنى لكم التوفيق»

انصرفت القائدتان، وانحننا قبل أن تتبعلهما صفوف القادة.

وقف كادي وتحرك سحر الرياح معه، فكبر صوته حتى صار يصل إلى آخر الحشد دون أن يفقد وضوحه: «سيداتي سادتي... يعلن المجلس الأعلى لكبار البكس بدء اختبار قادة البكس لهذا الموسم!»

اهتزت الضفاف بالهتاف.

قال كادي: «ليتقدم المتسابقون للاختبار: حاملة كنز البكس، حكيمة السحر، الأميرة ميكا!» فتعالى التصفيق وصيحات: «الأميرة ميكا! أريهم ما لديك!»

ثم تابع: «والأمير كلاود!» فارتفع هتاف أثقل: «يمكنك فعلها يا كلاود!»

ثم نظر نحوي وقال، وفي صوته تردد ساخر لم يخف علي: «والبشري المتقدم للتدريب... يزن» وجاء التصفيق هادئاً، متقطّعاً، كأنه مجاملة أكثر منه حماساً.

ثم مال كادي قليلاً وأضاف على الملامن يمازح ويطعن في آن: «لا عليك يا يزن... أنا أشجعك فقط. عليك أن تكتسب شعبية أكثر بين البكس» ثم استقام: «والآن... كلمة سعادته الملك زوراي»

(ما الذي يقصده كادي؟ ولماذا، لسببٍ لا أفهمه، شعرتُ كأن التصفيق القليل يهزم شيئاً في داخلي؟)

تقدم الملك زوراي أمام المنصة، وهتاف الجمهور يملأ الأرجاء. كان حجمه الصغير لا يُنقص من هيئته شيئاً؛ كانت الهيبة تتسرّب من وقفته، من عينيه، من سكونه الذي يشبه استعداد السهم قبل انطلاقه.

قال زوراي بصوتٍ ثابت: «أرحّب بكم جميعاً اليوم. وأعرّفكم بأسس قوانين اختيار قادة الـ«يكس» ثم نظر إلينا مباشرة: «سيُخضع كل من كلاود ويزن لاختبار قادة الـ«يكس» الخاص، وذلك لعدم قدرتهما على استخدام فنون الـ«يكس» للقتال»

شعرتُ بأنّ الهواء على الشاطئ صار أثقل.

قال زوراي: «نجاحهما يكون عبر المنافسة ضدي للحصول على القلادة حول عنقي... بأي سبل قتالية متاحة» ثم أشار إلى ميكا: «أما ميكا... فستتابع الاختبار الاعتيادي بمقاتلة أحد القادة، ويُنبنى النجاح على رأي كبار الـ«يكس»

لم أقل شيئاً. حدّقتُ في القلادة كأنها هدَفٌ يُحدّد مصيري، لا مجرد معدنٍ مُعلّق.

على كتفي، اهتزّ جسد كلاود بتوترٍ لم يخفّ عليّ، وسمعتُ ما كان يدور في رأسه قبل أن ينطقه: (ماذا؟ مقاتلة أبي؟ للفوز بلقب قائد؟ هذا ليس طبيعياً... أبي يحمل تاج معشر الـ«يكس» بلا منازع؛ هو الأقوى.)

صرخت ميكا، وقد خرجت منها الصرخة قبل أن يضبطها عقلها: «ماذا؟ أبي... هذا ليس عدلاً! اختبار قادة الـ«يكس» على أن يكون بمنافسة القادة... لا بمنافستك أنت!»

التفت زوراي إليها بوجهٍ لا يعرف اللين حين يتعلّق الأمر بالقانون، وقال: «لا يستطيعان استخدام فنون اليكس. وإن أرادا أن يكونا قائدين... فعليهما أن يبلغا هذا القدر من القوة على الأقل»

اشتعل غضب ميكا كجنحين يرتجفان في الهواء، وقالت: «إدّا أنا سأخضع للاختبار الخاص معهما أيضًا. لن يكون لديك مانع، أليس كذلك يا أبي؟»

ابتسم زوراي ابتسامةً لم أعرف إن كانت فخراً أم تحديًا، وقال: «لا مانع... إن كانا موافقين على انضمامك إلى فريقهما. سيكون القتال ثلاثةً ضد واحد. لهذا... سأقاوم بكل قوتي»

قال كلاود، وهو على كتفي الأيمن الآن وقد استعاد توازنه: «لا مانع لدينا بانضمام ميكا»

التفت زوراي إلى كادي: «حسنًا يا كادي. تم حل الأمر. على كلاود ويزن وميكا... للنجاح في اختبار قادة اليكس أن يسرقوا القلادة مني بعملهم الجماعي. وأنا سأقاتل بكل استطاعتي. ضعوا جدار الحماية السحرية... وابدؤوا العدّ التنازلي»

اصطف قادة اليكس حول مكان المشاهدة، وأطلقوا كياناتهم العصبية. رأيتُ الطاقة التطفرية تتشكل كأقواسٍ شفافة، كأن الهواء صار له جدارٌ خفي. لم يكن سحرًا مجانيًا؛ كنتُ أشعر بثمنه في ارتجافٍ خافت يمرّ في أطراف القادة، وفي صرامة وجوههم وهم يثبتون الحماية.

رفع كادي صوته مجددًا: «سيداتي سادتي... بعد التغيير في مجريات الاختبار، سيكون على فريق الأمير كلاود والأميرة ميكا ويزن الاستحواذ على القلادة حول عنق الملك زوراي ليكون فوزهم» ثم أشار إلى المكان: «على المشاركين اتخاذ مواقعهم. كما يعلم الجميع... حدود

منطقة الاختبار تتمثل في محيط الغابة الغربية والشاطئ الغربي والمحيط، لوضع الهجمات السحرية والاستراتيجية في الحسبان»

ساد توترٌ يابس بين أشجار الغابة المطلة على الشاطئ. كان البحر يحرك موجًا هادئًا، لكن هدوءه بدا كأنه تواطؤٌ مع ما سيحدث.

حلّق الملك زوراي وحده نحو الرمل. كانت القلادة حول عنقه تلمع كعينٍ صغيرة لا تنام. وقف على الشاطئ، وهيبته تكفي لتُصغر كل شيء حوله.

تحركتُ بحذرٍ إلى الرمل، حتى صرْتُ على بعد ثمانية عشر قدمًا منه. كان كلاود على كتفي الأيمن، وميكا تحلّق إلى يساري، قريبةً بما يكفي كي أسمع رفرفة جناحيها كتحدّيرٍ لطيف.

صاح كادي بحمايين يليق بمبارزةٍ تُكتب للتاريخ: «على وجه الخصوص في اختبار اليكس هذا الموسم... يتقدم سموه ملك اليكس زوراي، حامل التاج، ضد فريق البشري يزن، والأمير كلاود، وحكيمة السحر الأميرة ميكا، لنيل لقب القادة. لتسمُ هذه المواجهة... فتكون من أهم اختبارات اليكس على مرّ التاريخ!»

تعالى الهتاف.

بدأ العدّ التنازلي، وكل رقعةٍ كان يضغط على صدري كقبضة:

«خمسة...»

حرّكتُ أنفاسي في مساراتٍ أعرفها. (تنشيط الفنون المنسية... قتال الملوك.)

«أربعة...»

شدّ كلاود قبضته على كتفي وقال بصوتٍ منخفضٍ حاد: «يزن... ميكا... خذا حذركما»

«ثلاثة...»

أطلقت ميكا كيانها السحري، أبيض اللون، بمستوى البشر بياضه لم يكن سلامًا؛ كان سكينًا من ضوء. قالت: «وأنتما أيضًا»

«اثنان...»

دفعْتُ جسدي إلى التسارع العصبي والتقوية الجسدية. شعرتُ بالعصب يشتعل، وبالعضلة تستجيب قبل أن يكتمل الأمر في ذهني. (الهدف... القلادة.)

«واحد...»

ابتسم زوراي، ووجهه معتمٌ بطريقةٍ لا تشرح نفسها.

قال كادي كأنه يطلق سهمًا: «انطلقوا!»



الفصل التاسع

ضوءٌ ويأس، ظلامٌ وأمل

كان الشاطئ ساكنًا على غير عادته؛ زرقه ممتدة كصفحةٍ بلا حواف، ورملٌ يلتقط ضوءًا خافتًا كذهبٍ تكسره الغيوم. والريح، وهي تأتي من الأفق، كانت محملةً بهتاف معشر اليكس؛ هتافٌ لا يُشبه التشجيع وحده، بل كأنه دفعٌ خفيٌّ إلى صدر الملك.

اندفعت. أنفاسي تتقطع ثم تلتحم، والرمل يثور حول قدمي كدخانٍ حار. كان كلاود على كتفي الأيمن، يضغط بأصابعه الصغيرة كمن يتمسك بخيطٍ أخير، وميكا خلفي داخل كيانها الأبيض؛ ثابتةٌ كعمود ضوءٍ لا يتزحزح.

رمقني الملك زوراي بنظرةٍ سوداء، ثم اندفع تطرفه السحري الأزرق من جسده كدخانٍ مضيء يلتف على الهواء. قال مبتسمًا ابتسامةً باردة: «الصغار... مندفعون نحو الهدف. بدائي يا يزن... ولكن في حالتك هذه...»

ومن هالته خرج كيانان أزرقان في آنٍ واحد، انطلقا بمحاذاة الأرض كوحشين بلا أقدام. أحدهما رفع ركلته اليمنى في الهواء نحوي، والآخر التفت ليضرب معصمي من الخلف. قرأت المسافة والزمن في نبضةٍ واحدة وقلت: «كلاود... الآن. فنون الملوك: قراءة الوقت والفضاء»

صرخ كلاود، والظلال تلتفت حوله كخيطان دخان: «ميكا... استعدّي»

تفاديتُ الركلة الأولى وأمسكتُ القدم بيدي. كان جسد الكيان باردًا كالمعدن. لويْتُ جسدي بعنفٍ وسحبتهُ معي، وفي اللحظة نفسها انقَصَّ كلاود من على كتفي كشرارةٍ سوداء، فضرب رأس الكيان الثاني فاختلَّ تتابع هجومهما. شددتُ قبضتي على القدم وقلتُ بين أسناني: «التسارع العصبي... والتقوية الجسدية» ثم قذفتُ الكيان الأول على الثاني، فارتطما بالأرض كصخرتين تنكسران على رملٍ رطب.

لم أنتظر. تركتُهما على بُعد أقدام، واندفعتُ نحو زوراي.

رفعت ميكا عصا الحكمة بهدوءٍ لا يُشبه الفوضى من حولنا، وضربت الرمل: «فنون الحكمة... تطرف الجليد: انتشار» فانبعثت كتلٌ مسننة من تحت الكيانين المطروحين، شلَّت حركتهما داخل جليدٍ يشقُّهما ويحبس أنفاسهما.

اهتزَّ الجمهور بالهتاف. سمعتُ كبير اليكس كادي يصرخ من بعيد: «سريع! هذا سريع للغاية... لم أَر من يهزم كيانين لزوراي بهذه السهولة!»

وقالت رومي بين الجموع، وصوتها مشدود كوترٍ على وشك الانقطاع: «ما الذي يحيط بالأمير كلاود... ظلام؟»

وتبعها همس تارا ونردين، ثم رومي ثانية: «لم أَر هذا من قبل...»

كنتُ قد صرْتُ أطوف حول الملك من يساره. عاد كلاود إلى كتفي، والظلام يغشاه كعباءةٍ تزداد ثقلًا. قال زوراي، كأنه يزننا بعينٍ واحدة: «تطرف ظلام... أم فنون الملوك؟ تدعونني لقتال يدًا ليد من قرب... لعجرفة. لكن... مدهش»

قلتُ وأنا أستدير وأشدّ كتفي: «كلاود، تمسّك جيّدًا»

قال زوراي داخل كيانه العصبي: «إن أردتما قتالًا جسديًا... فهاجماني بكل ما لديكما»

ولم يكد يتمّ كلمته حتى اختفى.

سمعتُ حضوره خلفي قبل أن أراه؛ الهواء انضغط فجأةً كقبضةٍ على العنق. التفتُّ، لكن اللكمة جاءت من خلفي تستهدف كلاود. رفعتُ معصمي الأيسر في آخر نبضةٍ من الوقت واعترضتها. صرختُ من الألم، وشعرتُ بعظم يئنُّ تحت الجلد: «التقوية الجسدية!»

اندفعت الرمال تحتنا، ثم قذفنا زوراي كأننا حجران لا وزن لهما. طرنا إلى الغابة الغربية. تحطمت الأشجار، وتدحرجنا بين حطام جذوعٍ وورقٍ مبتلٍّ ورائحة طينٍ يلتصق بالدم.

سمعتُ كادي يعلّق من بعيد، وصوته يصل متقطّعا عبر المسافة: «هجوم جسدي... انتهى بهم في الغابة!»

بين الحطام، انحنى كلاود على صدري، وراح جسده الصغير يرتجف وهو يقرأني بعينه: «يزن... هل أنت بخير؟ التزامن العصبي... جيد، لا كسور خطيرة. لكن علينا النهوض»

نهضتُ وأنا أمسح طين الغابة عن كفي. كانت الرطوبة تلسع المفاصل. قلت: «ضربة واحدة... وأصبحنا هنا»

لم يمنحنا زوراي ثانية، اخترق بين الأشجار كومبض، ولكم وهو يقول: «أنتما وسط القتال... ليس وقت التخاطب»

أجبتُه في داخلي وأنا أستدعي ما يلزم: حان وقت الرد. التسارع العصبي... التقوية الجسدية.

قفزتُ متراجعًا إلى جذع شجرة وسط الكثافة لأكسر خط هجومه. التفت إليّ مبتسمًا ابتسامَةً متعطشة: «ماذا... هروب منذ الآن؟»

قلتُ، والغبار الذهبي الخافت يثور حولي مع كل خطوة: «سنرى...»

دفعْتُ نفسي من الجذع وانقضضتُ عليه، فانزلقتُ معه فوق أعشابٍ رطبة تلمع كزجاجٍ أخضر. لكنه أمسك معصمِي بكلتا يديه، وكان صوته قريبًا من أذني كهيمسٍ حاد: «بهجوم كهذا لن تحققا شيئًا. إن أردتما الفوز... انويا قتلي. للأسف نهايتكما هنا. تطرف الجليد...»

شعرتُ بالبرد يتسرّب إلى العظام، لا إلى الجلد فقط. وفي اللحظة التي بدأ فيها الجليد يزحف نحو يدي، انزلق كلاود بيننا كحافة سكين: «لن أدع الأمر ينتهي هكذا! فنون البكس... الكيان العصبي: تطرف الظلام!»

تجمّد زوراي لرمشةٍ واحدة. دهشةٌ خاطفة لم تُفسد صلابته، لكنها كشفتها. قال: «كيان عصبي...؟»

وانفجر بيننا كيانٌ مظلم بعيونٍ ذهبية، فصلني عنه دفعةً واحدة. تبعثرنا كلٌّ في اتجاه، يحملنا أثر السرعة والاصطدام كأن الهواء صار صلبًا لحظةً ثم انكسر.

لاحقًا عرفتُ أن كبار البكس كانوا يراقبون أضواء الذهب والأزرق تتشابك بين الأشجار، وأن ميكا على الشاطئ كانت تمسك الاستراتيجية وحدها: تحبس كيائي زوراي بالجليد لتخفف عني وعن كلاود.

في الغابة هدأ الهواء لحظة، ثم رأيتُ زوراي واقفًا داخل كيانه الأزرق، ضيقًا كمن جرح كبرياؤه لا جسده. ورأيتُ كلاود أمامه داخل كياني أسود بعيونٍ ذهبية، مترددًا لا خوفًا بل كمن يحسب الزمن على حافة سكين.

قال زوراي وهو يجمع فرحته بصعوبة: «كلاود... كنتُ موقنًا أنك ستتجاوز محنتك. سرعة وقوة، وإدراك... وفوق ذلك تطرف الظلام وكبان عصبي. وأرى أيضًا آثار فنون الملوك عليك»

ابتلع كلاود قلقه وقال: «أجل يا أبي. عندما مُحي تطرفي وقت الحادثة... صار جسدي يستقبل التدفق المنهجي، وتعامل معه عقلي كبديل. فكانت النتيجة... تطرف الظلام لفنون الملوك»

ابتسم زوراي كمن أزيح عن صدره جبلٌ قديم: «أرى تدخل يزن. رفع عني قلقًا لازمني سنين. من كان يظن أن فتىً مثله يغيّر مصيرك»

قال كلاود بخفوتٍ يطلب ولا يصرّح: «أبي...»

اقترب زوراي، وهذوؤه قاتل: «والآن... أريد أن أعرف مدى قوتك. يدًا ليد كلاود»

اختفى زوراي. صاح كلاود بعزمٍ يفجر تردده: «لن تنطلي الخدعة نفسها، أبي!»

ظهر خلفه مستهدفاً رأسه. تفادى كلاود وردّ. دار زوراي بمرفقيّ يحسم التتابع، فانحنى كلاود بسلاسة، ثم صعّدت قبضته من أسفل إلى أعلى نحو القلادة.

قال كلاود، والنية تفضحه قبل الصوت: «لن أدع الفرصة تفلت مني...»

ابتسم زوراي، والظلمة تملأ وجهه: «قذّر... لكنه قريب. سأعلمك معنى القوة!»

داس الأرض داسةً واحدة. انفجرت موجة ضغطٍ مزّقت التربة واقتلعت ما حوله. ارتطم جسد كلاود بالحطام داخل جذع شجرة، واختفى كيانه الأسود تحت الصدمة كما تنطفئ شرارةً في ماءٍ بارد.

على الشاطئ كانت ميكا تراقب الجليد وهو يخترق كيانيّ زوراي ولا يُفنيهما. تمتمت داخل هيئة الحكيمة: «كما توقعت... سحر أبي قوي»

ثم اهتزّ المكان؛ ارتجاجٌ جاء من الغابة، كأن الأرض نفسها ردّت الضربة. تشقق الجليد، تحطم، وبدأ الكيانان يتحرران.

صرخت ميكا: «ماذا؟ بعد كل هذا... لن أسمح لكما!»

وقال كادي وسط الفوضى: «زلزال...! تحرر الكيانان!»

اندفعا نحو ميكا بسرعةٍ همجية. أطلقت «ضربات الريح»، فقواطع حادّة شقّت الهواء، لكنهما تفادياها كأنهما يعرفانها من قبل.

تراجعت ميكا، تسمع صوتاً في داخلها يسخر: «الهروب مجدداً؟ كعادتك... جبانة»

توقفت. وفي اللحظة التالية وصل الكيانان. صدّت لكمّةً بعصا الحكيمة، لكن الأخرى أصابتها. طارت على الرمل، تمزق جناحها، وسقط كيانها. وكانا يستعدان لإنهائها.

بكت ميكا، ثم رفعت وجهها المبلل وقالت بصوتٍ تشقّه الدموع ولا تُطفئه: «أعرف أنني جبانة منذ الصغر... حادثة أخي، ثم تنصبي حكيمة السحر... لم أكن قوية لحمل هذا الكنز. لكني سأقبل خوفي... وأحمي الأعداء عليّ. لن يتركوني جانباً... أنا ميكا زوراي، حكيمة السحر!»

نهضت وقفزت. لكمّة ردتّها في الهواء، رفرفت بجناحين ممزقين وردّت بضربةٍ من أعلى، ثم استقرت فوق رأسه كريجٍ بيضاء. صاحت: «تطرف الجليد!»

انبثق الجليد من أسفل إلى أعلى كرمحٍ طويل، مزّق الكيان الأول حتى اختفى، وتبعته قشعيرةٌ عبر الرمل كأن الشاطئ تنقّس أخيراً.

هتف الجمهور. وصرخ كادي: «من موقف ميؤوس منه... صار القتال واحداً لواحد!»

وعندها سمعت ميكا كما أخبرتني صوتاً جديداً يخرج من سوارها: «حتى وإن عمّ الخوف قلبك... تقبلينه وتواجهين. هذا هو الشجاعة. سأعينك»

تلعثمت ميكا: «من أنت؟ صوتٌ من كنز سوار حكيمة السحر...»

قال السوار: «أنا الكيان الذي يعيش في السوار. تقبلي هديتي»

اندفعت الرياح من حولها، وتشكل كيان الحكيمة بعباءةٍ من ريشٍ أبيض. وتحولت العصا إلى سلاحٍ جديد التصق بمعصمها الأيمن كأنه جزءٌ منها.

هجم الكيان الثاني. تفادته ميكا بسهولة، ثم قالت بدهشةٍ تشتعل: «لم يصبح بطيئاً... بل أصبحت أنا أسرع. كيف أستخدم السلاح؟»

قال كيان السوار: «سددي على الهدف، وكوني التطرف الذي تريد به»

رفعت ميكا ذراعها: «حسناً... تطرف الرياح»



انطلقت كتلة رياح مضغوطة، صدمت
الكيان فانفجر الضغط فيه. تمزقت
يده اليمنى وقدمه اليسرى، وزحف
نحوها يائساً، والرمل يلتصق بما تبقى
منه كأنه يحاول ستره.

قالت ميكا، ووجنتاها محمرتان
بالحماس: «لم أتخيل أن للسوار قدرةً
أخرى»

أجاب السوار: «لئنْهيه. إنه مجتهد
حقاً»

قالت ميكا: «تطرف الجليد... لئنْ أثره»

وانطلقت قذيفة جليد اخترقت
صدره، ثم انفجرت من خلفه. تلاشى
الكيان، وتساقت الجليد كفتات نصل
على الرمل.

صرخ كادي: «جنون! الأميرة ميكا
حطمت اليأس... وأسقطت كيانين
لملك اليكس زوراي!»

في الغابة عاد الغبار يملأ الهواء، وصخورٌ برزت من أثر الصدمات كأن الأرض تُخرج عظامها. كان زوراي واقفًا داخل كيانه، وقال بصوتٍ يقطر كبرياء: «هذا ما يعنيه أن تكون ملكًا لمعشر اليكس... بني كلاود. وطننتُ أنك لن تقف مرة أخرى... يزن»

كنتُ على بعد خطوات، عيناى بذهبٍ خافت، أفتش بين الأشجار عن كلاود. ابتسم زوراي ابتسامةً مظلمة: «لا يجب أن تفقد محيطك...»

اختفى، ثم ظهر بركلةٍ يمنى. تراجعْتُ إلى جذعٍ خلفي وارتددتُ منه نحو مكان كلاود، فالتقطته قبل أن تسقط عليه الضربة التالية. انقسمت الشجرة التي ارتددتُ منها، وشجرةٌ قريبة، إلى نصفين من قوة الصدمة؛ خشبٌ يئنّ، ورائحةٌ لبّ طازج تتصاعد.

قال زوراي بحمايسٍ لا يخلو من إعجاب: «تستخدم فنون الملوك لأقصاها... ثم تنقذ كلاود. تصرف يثني عليه»

حملتُ كلاود وقلتُ وأنا أراقب الملك ولا أهب له ظهري: «أخرجت كل قوتك ضده... لذا سأكون أكثر حذرًا. كلاود، هل أنت بخير؟»

أفاق كلاود بين ذراعي، ثم صعد إلى كتفي ومنه إلى خلف عنقي: «أجل. تطرف الظلام امتص معظم الضرر... لا تقلق. سنتابع خطتنا. حان وقتها»

قلتُ، والتحدي يشعل صوتي دون أن يرفعه: «لنرفع إيقاع القتال. أنا مستعد»

رفع كلاود بصره نحو زوراي بخفاءٍ محسوب: «فنون اليكس... التزامن العصبي»

ضحك زوراي: «تطرف الظلام... ثم التزامن العصبي؟ ومع مستخدم فنون الملوك... سيعيقك فقط يا بني»

ردّ كلاود باستهتارٍ مقصود، وفيه شيءٌ يخبئه: «نعلم، أبي. لكن... من قال إن هذا كل شيء؟ يزن... لنفعلها!»

قلْتُ بهدوءٍ حاسم: «حسنًا. فنون اليكس... اندماج الكيان العصبي: تطرف الظلام»

انفجرت طاقة كلاود السوداء، وتفرّع بينها برقٌ ذهبي. التفت حول جسدي، وغمرتني حتى صرْتُ داخلها لا خارجها؛ عيناها ذهبيتان في ظلمةٍ واحدة، ورموزٌ ذهبية خافتة تلمع على كيانها كأثر كتابةٍ قديمة على حجرٍ ساخن.

حدّق زوراي، والدهشة تلمع في سواده: «حقًا... تدهشاني في كل مرة. لن أستطيع الصبر... لنتر ما يمكنكم فعله»



الفصل العاشر

تاج ملك البكس

كنتُ أنا وكلاود متزامنين داخل «تطرّف الظلام»، كأننا نبضان في قلبٍ واحد، نندفع على زوراي وسط كيانه العصبي. رفعتُ قبضتي اليمنى؛ نهض الغبار الذهبي حول مفاصلي مثل شرارةٍ تُشخّذ، فاستقبلها بمعصمه الأيسر الأزرق، وانضغط الهواء بيننا ثم ارتجّ، كأن الصدمة صفعت الغابة من الداخل.

قلتُ وأنا أعصّ على الألم كي لا يفضحني: «دفاعك... صلب»

ضحك زوراي بحماسةٍ جارحة، ضحكةٌ من يشقّ إلى الطعن أكثر مما يشقّ إلى الفوز: «من تطنني؟ لا تُقارن وهنّ هجومك بي. أعد المحاولة!»

التفّ كيانه الأزرق حول نفسه، وفي طرفة عينٍ سدّد ركلةً إلى منتصف جسدي. طرّتُ عشرين قدماً واخترقّت جذع شجرة؛ تشقّق الخشب خلفي كعظمٍ يُكسر، ثم تماسكتُ بالأرض بيديّ وقدمي، ويدي الأخرى تضغط خاصرتي حيث اشتعلت نارٌ خفيّة.

سمعتُ قلق كلاود خلفي، صوته يخرج متكسّراً بين الريح والصدمة: «يزن! هل أنت بخير؟ الصدمة عنيفة... إشارات الأضرار في أعصابك كبيرة»

سحبْتُ نفسًا مبحوحًا، وتكلّمتُ كأنني أُمّرُ كذبةً صغيرةً لإنقاذ توازننا: «أنا بخير... لولا تقوية فنون الملوك ودفاع تطرّف الظلام لديك، لانتهى بنا الأمر عند الضفة الغربية للغابة... مع المحيط»

لم يمنحني زوراي زمنًا. هذه المرّة اندفع بجسده الصغير بلا كيانٍ عصبي، يشقُّ بين الأشجار كرمحٍ صامتٍ نحو رأسي ليحسمها. تأهبتُ للهجوم المباغت؛ تفاعلت طاقة فنون الملوك في حركتي، وانفجر مني برقٌ ذهبي. لحقتُ بقبضتي اليمنى جسده الصغير لأصيده قبل أن يلامسني.

لكن وجهه تجمّد في ومضةٍ واحدة: ليس بعد.

لّف جسده بقسوة، وحوّل ضربة يدي عن مسارها، ثم دار حولي إلى نقطتي العمياء. ابتسم ابتسامَةً قاتلة، تلك التي تقول: «أعرفك أكثر مما تعرف نفسك»، وقال: «تفعيل الكيان العصبي... لنأخذ رحلةً في الإرجاء»

أطبق كيانه الأزرق المشوّه التكوين على معصمي الأيسر، ودار بي بعنفٍ بين الأشجار، قبل أن يقذفني أفقيًا. اجتزّت الشاطئ؛ هاجت الرمال تحتنا، ثم ابتلعنا الهواء فوق المحيط.

على وقع الريح التي كانت تصفع وجهي مثل كفٍّ رطبٍ بالملح، سمعتُ صراخًا يأتي من منصة الاختبار. كان كبير اليكس كادي يحدّق كمن يرى قانونًا يُكسّر: «ما الذي...؟ خرجوا من وسط الغابة! ما هذا الكيان الأسود المتجه إلى المحيط... من هذا؟»

وردّت القائدة تارا بحسمٍ لا يترك ثغرةً للشك: «يزن... مستخدم لتطرّف الظلام!»

وتردد صوت نردين، متأرجحًا بين الإنكار والدهشة: «لا أعلم... لكنه كالكيان العصبي لدينا.
أهو درعٌ سحري؟»

ورومي تتمتم، كمن يربط خيطًا بخيطٍ في ظلام: «لا يوجد درعٌ ككياننا... هذا اندماج كيان
عصبي... لكن مع من؟ هل يمكن أن يكون»

كنتُ أخلقُ فوق البحر، أضمتُ كلاود بكفي اليمنى لأحميه من صدمات الريح، وصرختُ: «كلاود!
التسارع العصبي!»

لمحتُ ميكا على الشاطئ تجحظ عينها، كأنها لم تُصدّق جسدها: «بزن يرتدي تطرف
الظلام...؟ وكلاود فعلها في الهجوم الأول... لكن هذا مستحيل، أخي لا يستطيع تفعيل
السحر!»

ظهر زوراي فوق الماء بنظراتٍ مشعّةٍ وابتسامَةٍ مستمتعة، كأنه يملك البحر أيضًا، ثم انقَصَّ
علينا: «حظك سيّء... لقد أثرت شعفي!»

على بعد ثلاثين قدمًا من الشاطئ ضرب معدتي من أعلى إلى أسفل. اختلط اندماج تطرف
الظلام بالهجوم، وتناثرت موجات البحر تحتنا كأن سطحه يُشقّ بسكين. عصّ اليأس على
تفكيري: سيقضي علينا هكذا... خطوة واحدة خاطئة، ونُمحي.

لقفتُ جسدي بسرعةٍ لأفلت منه، ثم ركلته بكل ما تبقي فيّ؛ ابتعد أربعين قدمًا. احتك جسدي بالماء وأنا أستعيد التوازن، وقلتُ وأنا أقرأ وزننا وسرعتنا كمعادلة نجاة: «الفنون المنسية... التسارع العصبي. كلاود! تماسك سنخطو على مياه المحيط!»

حدّق فيّ مذهولًا، كأنه لم يسمع جملةً كهذه في عمره: «لحظة... ماذا قلت؟!»

لم أجب. هبطتُ على سطح الماء بخطى محسوبة؛ كل خطوةٍ تضرب وتوازن، تدفع الماء خلفي بعنفٍ وتترك أمامي طريقًا ضيقًا من توقيتٍ حاد. صار البحر أرضًا مشروطة، لا تُعطيك إلا بقدر ما تأخذ منك. كنتُ أدور حول زوراي، وهو يحلق فوق أمواج هادئة، كأن البحر لا يعنيه.

قلتُ: «كلاود! سننقض عليه مباشرةً ونأخذ القلادة»

اشتد وجهه، وتبدّل صوته من ترددٍ إلى قرار: «حسنًا... لنأخذ القلادة منه، يا صديقي يزن»

وفي الخلف، كان كادي يصرخ للجمهور حتى وصلني صوته عبر الرذاذ: «لم أر هذا من قبل! يزن وكلاود يردّان على هجماته! إنهما يعدوان فوق الماء! هذا جنون!... وتلك الطاقة السوداء تغلفهما من جديد إنهما يستعدان للهجوم على سمو الملك زوراي!»

لمحتُ ميكا تُخفض جسدها على الشاطئ، وفي عينيها حدّة قرارٍ لا يلين: ستبحث عن فتحةٍ خلف الاشتباك.

كان الأفق أزرق واسعًا كالتحدي، والريح تحمل رائحة ملحٍ وشيئًا آخر... رائحة دمٍ لم يسقط بعد، لكنه وُعد. عندها تكوّن كيانه العصبي الأزرق ببطء، ككائنٍ يستيقظ من نومٍ قديم، وقال

زوراي كمن يعتذر وهو يتهياً لقتلنا: «أفاجأ بكم كل مرة... أطفالٌ مليون بالأمل. هذا يحزنني، لكن لي مهمةٌ أيضاً... تطرّف الجليد!»

انفجرت أصواتٌ كتحطم زجاجٍ مزدوج، واندفع الجليد من تحت قدميه كمسامير مسنّنة تشقّ المحيط نحو طريقنا.

صرخ كلاود: «الآن يهاجم بالسحر! يزن ماذا نفعل؟ سيصيبنا!»

رفعتُ نظري بين الشوك الجليدي، وقلتُ بنبرةٍ هادئةٍ على غير عادتي، هدوء من لا يملك رفاهية الارتجاف: «سنمرّ من خلاله»

قرأته كما أقرأ ضربات خصمٍ في قتالٍ جسدي، وزدتُ التسارع. قفزتُ بين التكوينات يميناً ويساراً بإيقاعٍ شبه ثابت، ألتقط كتلةً وأترك أخرى. وفي اللحظة التي ظنّ فيها زوراي أنه أغلق المسار، انطلقت قذائف جليدية من الشاطئ ميكا فجّمدت قدمي كيانه.

التفت زوراي، والدهشة تجرح ثقته لحظةً واحدة: «ميكا؟ متى تخلّصت من كياني؟»

كنتُ قد وصلتُ. ارتددتُ من كتلةٍ جليدية قريبة، سحقْتُ ما تحتنا من جليد، وانزلقتُ فوق الماء نحو الشاطئ. رفعتُ قبضتي اليمنى وضربت كيانه ضربةً عنيفةً، ثم لكمّةً يسرى على رأسه. تناثر الماء من الصدمة ونحن نقترّب من الرمل.

همس كلاود متردداً: «يزن... نحن نقترّب من الشاطئ»

وصرخت ميكا من خلفنا، كمن بشدّ زناد اللحظة: «افعلها، يزن!»

نظر زوراي إلينا بهدوءٍ مبتسم، كأنه يُتيح لنا فرصة الوداع: «إذا... ماذا الآن؟»

رفعتُ يدي اليمنى، وتطرّف الظلام يتفرّغ منها مثل دخانٍ ينسحب، بينما الذهب يشتعل في داخلي حتى كاد يفضح عظامي: «الآن أو أبداً!»

ضربته على تلك السرعة وفي لحظةٍ خاطفة كانت القلادة بين يدي.

لم يدم الانتصار سوى نبضة. سقط صمّتٌ ثقيلٌ أمام منصة الاختبار، كأن الثواني انكسرت إلى شظايا. دخانٌ ذهبيٌّ تمحور في الهواء، وتشكل منه تاج ملك اليكس زوراي تاج اليكس ثم انفجر أثره فبعثرنا، كلٌّ إلى جهةٍ فوق الشاطئ.



طفا زوراي فوق الرمل بهدوء، والتاج الذهبي يحلق فوق رأسه خفيفاً... مخيفاً، كأنه فكرةٌ لا تُقتل. ثبتُّ بالأرض بيدي وقدمي، لكنهما كانتا ترتجفان؛ كأن القدر انحرف فجأةً لصالحه.

سمعتُ كلاود خلف عنقي يهمس، وصوته يشي بما لا يريد قوله: «لا... ليس التاج. هذا ما خشيته. لن تكون لنا فرصةٌ ضده في القتال المباشر بعد الآن... بل أشك أن لدينا فرصة حتى بالنجاح»

قال زوراي بعينين حدّهما ذهبي: «لم أرد استدعاء التاج في اختبار اليكس ضدكم... غريزتي فعلتها لتحميني. محرّجٌ حقاً أن تجعلوني أشعر بالخطر. أطفالٌ مُتعبون»

اقتربت ميكا بكيانها العصبي: «يزن! كلاود! هل أنتما بخير؟»

أجبتُ وأنا ألهث، وأتذوق الملح في حلقي: «تضخمت قوته وحدّه السحري... ونفدت حيلي»

شدّت ميكا قبضتها حتى ابيضّت مفاصلها: «سأشغله حتى تجمعا أنفسكما... نمط الحكيمة، تطرّف الجليد!»

غطّي الجليد كيانه لوهلة، لكن زوراي بعثره بريحٍ خرجت منه كزئير. كنتُ قد اندفعتُ نحوه. قال بصوتٍ باردٍ كالحجر: «أنت على عجل... وقد يكلفك الكثير أن تتحداني وجهاً لوجه»

ضربني بقبضةٍ عملاقة من الطاقة أصابت يساري؛ ظهر كيانه العملاق على بعد خطوات، وسقطتُ على الرمل بلا حركة، كأن جسدي نسي اسمي.

سمعتُ ميكا تصرخ من داخل نمطها الثاني: «كلاود! يزن! عليّ أن أمنع حركته قذيفة تطرّف الجليد!»

أمطرت قدميه بالجليد، فابتسم زوراي: «كما ظننت... ارتقيت بقوى سوار الحكيمة، ميكا. هذا عظيم. لكنني هنا عدوكم»

رفع قبضته نحوها. كانت تقذف بلا أثر، وهو يتقدم. تفادت ضربةً، ثم دكّ الأرض بقدمه؛ موجة صاعقة شلّتها ومزقت كيائها العصبي. أشار بيده وقال كمن يوبّخ طفلاً على خطأٍ بديهي: «تقعين ضحية هجوم كهذا... لديك الكثير لتتعلمه. تطرّف الرياح»

اندفعت الرياح، وحملت ميكا نحو أشجار الغابة المطلة على الشاطئ.

صرخ كلاود حتى امتلأ المكان بصوته: «ميكا!»

استفقتُ على جسدي وهو يرفض النهوض، لكن الوقت كان ينهار أمامي. أمسكتُ كلاود وقلتُ: «كلاود!»

تكوّن تطرّف الظلام حول جسده على كفي، كأنه يلتي النداء قبل أن ينتهي: «نعم، يزن! بسرعة!»

جمعتُ ما بقي من ذهبٍ في عظامي: «فنون الملوك التقوية الجسدية... انطلق يا كلاود!»

قذفته نحو ميكا قبل أن ترتطم بالأشجار. وفي اللحظة نفسها، حاول زوراي إيقافه. اندفع نحوي واندفعتُ نحوه لأقطع عليه الرؤية، لأسرق من ملكٍ ثانيةً واحدة.

قال زوراي وهو يمدّ يديه، كأنه يفتح بابًا للجحيم: «لنرَ ما ستفعلان تحت اليأس... تطرّف الجليد والرياح!»

أرسل على كلاود هجومًا جليديًا، وانهاled عليّ بريحٍ تعصف بالرمل لتؤخرني. كان الرمل يصعد إلى عينيّ، يلسع جلدي، ويقول لي: "لا جدوى".

كنتُ أرى ميكا تتلوّى في الهواء، وسمعتها في داخلي أو تخيلتُ صوتها تقول: انتهى أمري... أخي...

أما كلاود فقاتل كأن الريح خصمٌ له وحده. رأيتُه يقتحم أمامه خمس كتلٍ جليدية مسننة خرجت من الأرض، ثم كالسقف سقطت كتلٌ جليدية ضخمة من فوقهم لتطمر ميكا وكلاود معًا.

وفجأة صرخ كلاود: «فنون اليكس! تطرّف الظلام! الكيان العصبي!»

تجسّد كيانه العصبي بمستوى البشر، وأوقف الكتلة العملاقة بكلتا يديه وهو ينزلق على الأرض. لم يبقَ بينه وبين ميكا سوى أربع أقدام. صرخ: «على هذا البعد... لن أسمح لك!»

ثم خرج من منتصف كيانه في اندفاعٍ جنوني، خطف ميكا بجسده الصغير بسرعةٍ تكاد تكسر الهواء، لكنهما كانا على حافة الخروج من مجال السقوط.

رفعت ميكا يدها بضعفٍ وهي بين ذراعيه: «تطرّف الجليد»

انغرس عمودٌ جليدي في حافة الكتلة، فاختلَّت وانفجرت شظاياها، بينما سحبهما كلاود خارج الخطر. تقلبا في الهواء، ثم كَوَّن كلاود كيانه مجددًا وانزلق على أعشاب الغابة الرطبة، وميكا بين يديه. كانت شظايا الجليد تطنّ حولهما مثل نحلٍ مسنون.

نظرت ميكا إليه، ودمعها هادئٌ على نحوٍ يوجع أكثر من الصراخ: «... أخي»

قال وهو يلهث، كمن عاد من حافةٍ سوداء: «كان ذلك وشيكًا! ميكا، هل أنت بخير؟ جناحيك... هل تتألمين؟»

قالت بصوتٍ خافتٍ قايِس، فيه عتابٌ أذفاً مما يبدو: «أبها الغبي... لقد تأخرت»

ابتسم رغم كل شيء، ابتسامة من يعرف أنه يستحق الصفعة ويطلبها: «نعم... آسف»

خرج كلاود من الغابة حاملاً ميكا أمام الملاء. سقط صمّتٌ قصير، ثم انفجر المكان. كان كادي يصرخ بين الجمهور: «ضد هجوم ملك اليكس زوراي يحطمون اليأس بعملهم الجماعي! لتنقطع الشكوك! مُظهرًا قوته الجديدة ومنقذًا الأميرة ميكا! لقد عاد... لقد عاد بقوة أمير اليكس، كلاود!»

ارتفعت الهتافات، ورأيت رومي تبكي دون موارد: «أرأيتم ذلك... هذا ليس... واقعًا صحيحًا؟»

قالت نردين، وصوتها يترنح بين الاعتذار والصدق: «لقد كنتِ تعانين كل هذا الوقت... نعم، إنها حقيقة. لقد عاد كلاود بقوى جديدة»

وأضافت تارا: «هذا مدهش! تحدى هجوم الملك ونجح بإنقاذ ميكا... أحسنت يا كلاود!»

حين انحسر الرمل من حولي، وجدت نفسي أبتسم بأريحيةٍ موجوعة. لقد أنقذها... وأنا، للمرة الأولى اليوم، شعرتُ بأنني لم أكن حجر عثرةٍ فقط.

التفت زوراي داخل كيانه العملاق نحوي وقال ضاحكًا، كمن يربط الإعجاب بالتهديد في عقدةٍ واحدة: «مدهش... كل هذا التطور نتيجة لتواجذك هنا يا يزن. جعلتني أشعر بوجود غفلن معنا»

نهضتُ، وغصتُ بألمي كما يُغمس الحديد في النار، وقلتُ: «شرفٌ لي أن أسمع هذا منك، سموالملك»

ابتسم: «يبدو أن الاستسلام ليس خيارًا لديك. أود حقًا أن أختبر عزيمتك»

قلتُ: «تفعيل فنون الملوك القصوى»

تبعثر الذهب حولي، واختفيت عن نظره. لكنه كان يترقب، كتوقعٍ حاد. رفع قبضته اليمنى وقال بسخريةٍ واعية: «تستخدم أسلوبِي ضدي؟ مبتذل... سرعة التعلم لدى مستخدم فنون الملوك مخيفة، لذلك لم أتساهل معك منذ البداية... هنا»

أطلق قبضته اليسرى لحظة وصولي، وضاق الفضاء بيننا كفخ. قرأتُ نية الضربة: ضربة النهاية؛ إن واجهتها مباشرةً سأخسر نمط الملوك. جمعتُ يديّ في قبضةٍ واحدة، وضربت

قبضته من اليمين إلى اليسار فغيّرت مسارها. اختلّ توازن كيانه، وتقابلنا ظهرًا لظهر في لحظة خاطفة.

اندفع بقبضته اليمنى وهو يلتفّ، فانزلقتُ تحتها على الرمل حتى صرت بمحاذاة معصمه. رفعتُ يدي اليمنى إليه، وجربتُ ما لم أجربه من قبل، كمن يمدّ أصابعه إلى نارٍ يعرف أنها ستحرقه: «سحر تطرّف الرياح... انفجار الهواء!»

سمعتُ دهشته تقطع الهواء قبل أن يقطعه السحر: «ماذا قلت؟ في مكان كهذا! أيها»

تكوّن هواءٌ مضغوط من المنطقة المحيطة، انحشر في نقطة واحدة، ثم انفجر بفارق الضغط. تمزق كيانه العملاق، وطرتُ أنا بدوري إلى جهة المحيط كأثرٍ جانبيٍّ للانفجار، كأن السحر دفعني ثمنًا لجرأتي.

وفي الهواء، مرّ في رأسي اعترافٌ مرّ، لا يطلب شفقةً بقدر ما يطلب صدقًا: قوي... لم أؤدسه. كل ما فعلته اليوم كان تلقي الضربات. لم أكن نافعًا لكلاود أو لميكا... آسف يا سيدتي... لقد خسرت.

لكن كيائين أبيض وأسود التقط جسدي قبل أن يسقط. انزلقا بي إلى الخلف على الرمل، والريح تداعب هالتهما كأنها تُصلح ما أفسده العنف.

قال كلاود، والظلام يشتد حوله: «هجومٌ سحري قوي يا يزن... بعد كل ما تلقّيته، جروحك في كل مكان»

وقالت ميكا، ببياض كيانها الذي لم يفقد وقاره رغم التمزق: «أشك أن أبي شعر بهذا الهجوم...
يزن، هل أنت بخير؟»

وقفتُ بصعوبة، وقلتُ وأنا أجزّ أنفاسي جرًّا: «يسعدني أنكما بخير... وكما هو متوقع، زوراي
قوي حقًا»

قال كلاود بحدّة اعتزازٍ موجوعة: «بالطبع... فهو رأس قوة معشر اليكس»

حدقت ميكا فيّ، كأنها تُسرحُ اللحظة بعينٍ خبيرة: «لكن هذا... انفجار الرياح، أليس كذلك؟ لم
أظن أنه قد يصل لهذه القوة. وأنت... لم تتعلم تفعيل السحر بعد، أليس كذلك؟»

أطرقتُ، وتركتهما يريان في صمتي ما يكفي، ثم قلتُ: «معك حق. كانت مجازفةً يائسة...
نسختُ وكتبتُ حركةً منهج السحر لهجوم رومي الهوائي»

اتسعت عيون الاثنين معًا: «... ماذا قلت؟ تستطيع نسخ وكتابة السحر؟!»

قلتُ، وأنا أختصر الطريق إلى الحقيقة لأن الوقت لا يرحم الاعترافات الطويلة: «تعلمتُ قراءة
مناهج الحركة الجسدية وتمثيلها من سيدتي. وفي حادثة كلاود اكتشفتُ أنني أستطيع قراءة
الحركة المنهجية للسحر أيضًا... فحاولتُ بفنون الملوك أن أكتب منهجه وأحداثه. ونجح...
لوهلة»

قال كلاود كأنه يمسك شيئًا يفلت من العقل: «هذا... مستحيل»

وقالت ميكا، ثم التفتت نحو الغبار المتصاعد حيث ينهض الخطر من جديد: «مذهل... لكن علينا إنهاء الاختبار أولاً. أخبرني لاحقاً، يزن»

هاج الغبار بين الأشجار، وظهر زوراي من داخله بوجهٍ مظلم. كان قد عاد كيانه إلى مستوى البشر، كأن العملاق لم يكن إلا قنأماً. تقدم بثبات وقال: «فنون الملوك... نسخ الحركة الجسدية وإتقانها... بل حتى قراءة ونسخ حركة السحر وإعادة كتابتها... وتحطيم كياني مستوى العملاق... هذا يتجاوز التعلم»

وقفنا على مسافةٍ منه؛ أنا في الوسط، ميكا على كتفي الأيسر، وكلاود على الأيمن. كنتُ خائراً القوي، لكن عقلي ظلّ يقرأ الواقع كما لو كان صفحةً مفتوحة على ضوءٍ قايٍس.

قلتُ: «استنفدتُ قوتي الجسدية، لكنني أستطيع التحكم بحركة منهجيتي وقراءة ما أمامي. ميكا تضررت أجنحتها... لذا لدي مقترح»

قالت ميكا بتربقٍ حادٍ: «لنسمع»

أصغيا، وسمعتُ دهشة ميكا تسبق اعتراضها، كأنها ترفض الفكرة قبل أن تفهمها: «ماذا؟ أتقترح أن نفعلها هنا؟ إن هذا جنون!»

قال كلاود بوجهٍ جدي، جديّة من اختار طريقه وانتهى: «مهما كان قرارك، سأوافق عليه»

التفتت ميكا إليه مذهولة: «حتى أنت يا كلاود؟»

قلتُ وأنا أضغط على وجعي حتى لا يسبقني إلى صوتي: «لا خيار. أنا وكلاود مرهقان، وأنت مصابة. إن أعطانا أبوك ثانيةً إضافيةً فستكون خطأً منه... وهو لا يخطئ»

شدت ميكا فكّها، وفي عينيها إقراؤٌ يشبه توقيعًا على مصير: «حسنًا... سأثق بحكمك ويقول أخي، أبي لن يعطينا وقتًا أكثر... لنفعلها»

أغمضتُ عيني. تركتُ الذهب يثبت عظامي، وتركتُ الواقع يجيء إليّ بلا ضجيج. كأنه يسلم نفسه لمن يفهمه: «فنون الملوك التقوية الجسدية، قراءة الواقع... كلاود، ميكا... هيا»

قالا على كتفيّ معًا: «حسنًا!»

تقدم زوراي، والتاج فوقه كقدرٍ معلق، وقال ببرودٍ يلمع: «لطيفٌ أن تجتمعوا ثلاثكم... سيوفر لي الوقت والجهد. تطرّف الرياح»

اندفعت الرياح بيننا كحدّ يريد سحقنا. فتحتُ عيني وواجهتها: «ليس هنا... وليس اليوم. فنون اليكس! الإدماج العصبي!»

قال كلاود على كتفي الأيسر، وصوته يخرج كتعويذةٍ وقرار: «فنون اليكس! التزامن العصبي! إدماج الكيان العصبي! تطرّف الظلام!»

وقالت ميكا على كتفي الأيمن، بنبرة الحكيمة التي تعاند الألم: «فنون اليكس! التزامن العصبي! إدماج الكيان العصبي! نمط حكيمة السحرا»



الفصل الحادي عشر

عزيمة وهدف

حين ارتخت قبضتي وتسارع نفسي، رأيتُ ملك البُكس زوراي ينتصب أمامي، متوجِّجًا كجدارٍ أزرق من يأسٍ صلب. كانت السماء تُطبق بسحبٍ ثقيلة، والضوء يتكسّر على حوافها كزجاجٍ مُجهد، ورمال الشاطئ تثور كأن البحر قذفها من فمه غضبًا.

في قلب كيانه العصبي حيث يستقرّ التاج كنبضٍ لا يخطئ رفع زوراي كفّه الأيمن، فالتفتّ الريح حوله طاعةً لا تردد فيها. ثم أطلق «سحرة العاصف» من مسافة خمسين قدمًا؛ اندفعت الرمال بيننا خناجرَ هائجة، ولمحتُ على وجوه البُكس حولنا أثر القوة كعلامات محوٍ باردٍ لكل أمل.

كنتُ أقبض الرمل بيدي من الإرهاق، وميكا تلتحم بكتفي الأيسر، وكلاود بكتفي الأيمن. شددتُ جسدي في وجه الهجمة، وتركتُ توهج «فنون الملوك» ينساب مني ذهبًا وبياضًا، ثم همستُ وأنا أسمع صرير الحصى تحت الريح بصوتٍ أثبتته كي لا يفضحني: «فنون الملوك... التزامن العصبي... اندماج الكيان العصبي»

قال كلاود خلفي، ونبرته كحدّ سكينٍ يُخفى في كمّ: «فنون البُكس... التزامن العصبي... اندماج الكيان العصبي... تطرّف الظلام»
وقالت ميكا، وفي صوتها ذلك الاتزان الذي يولد من الخوف لا من الطمأنينة: «فنون البُكس... التزامن العصبي... اندماج الكيان العصبي... نمط حكيمة السحر»

تعثرت الرياح لحظةً كأنها فقدت بوصلتها. غلّف الظلامُ الموشى بالذهبِ كتفي الأيمن، وسرى في جسدي حتى لمع بصري بوهجٍ ذهبيّ حاد. وعلى يساري تشكّلت عباءةٌ بيضاء غير مكتملة؛ شدّني «نمطُ حكيمة السحر» إلى نقطةٍ ثابتة وسط العصف. ومن يدي اليسرى، عبر «نمط الازدواج»، تولّدت عصا الحكيمه بيضاء هادئة اللمعان، كأنها اقتطعت من ضوءٍ بارد.

رفعتُ العصا وقلتُ: «دفاعُ الرياح»

اصطدم دفاعي بهجوم زوراي. ارتجّ الهواء. لكن هجومه كان أثقل. وفي النقطة الحرجة انفلتت تياراتٌ مبعثرة في كل اتجاه، والرمل ينهش الفضاء كأفواهٍ صغيرة لا تشبع. صرخت ميكا وهي تتحصّن بي، وصوتها يتكسر تحت الضغط: «قلتُ لكم... هذا سيئ! سحره أقوى... لن نصمد هكذا!»

غرسْتُ قدمي في الرمل، حبستُ ارتجاج جسدي وغطيْتُ الألم بحركةٍ محسوبة، وقلتُ لهما في داخلي وأنا أقاوم: (كلاود، استعد... ميكا، في اللحظة المناسبة سدّدي تطرّف الجليد على قدمي كيان زوراي). وجاءني صوتهما معًا، كأنهما عادا إلى رشدهما دفعة واحدة: «حسنًا»

ضحك زوراي من وراء العاصفة، ضحكةً لها صدى معدنٍ بارد، وقال: «إن قررت الاندماج العصبي المزدوج في هذا الموقف... فلن أواكبكم إن كان شغفًا أو جنون. لكن اعلم مسبقًا: هذا لن ينقذكم... يزن!»

اشتدّت الريح. اخترق الهجوم دفاعي حتى انفجرت الرمال حولنا. عندها انقضضتْ خاطفًا لحظةً انكسار الضغط وانحرفتْ محورياً إلى يساره. كنتُ على بُعد أربعين قدمًا حين أفلتُ من قلب العاصفة واندفعتْ نحوه، والهواء يصقّر في أذني كتحدّير متأخر.

رفع زوراي يده اليسرى فوق كتفه، وابتسم بثقةٍ تُهين الخطر: «تحاول تقصير المسافة... مشوّق. لكن... تطرّف الجليد»

لمحتُ عزيمة ميكا تشتعل في عينيها وهي تقول، وكأنها تسدّ بابًا كان مفتوحًا في صدرها منذ زمن: «أبي... لن أسمح لك»

وجّهتُ العصا بكل ما تبقي في ساعدي نحو قدميه وقلتُ: «تطرّف الجليد» انطلقت ثلاث قطعٍ جليدية وسط الرمل الثائر، فأصابت قدمي كيان زوراي. تجمّدتا. انحبست حركته لحظةً لا تكفي للانتصار لكنها تكفي لفتح ثغرة.

أضاء زوراي بهدوءٍ ساخر، كأن التجمّد لا يعنيه: «حسنًا... بعد تثبيت قدمي، ماذا ستفعلون؟»

ضرب الهواء يمينًا ويسارًا بعنف. ارتفعت موجةُ رياحٍ صرصرٍ كجدار يبلغ عشرين قدمًا، تُجمّد ما تلمس. سمعتُ طقطقة برّ يتكوّن في الهواء قبل أن يصل. قال كلاود بقلبي مكبوت: «ستغمرنا... إن لم تتلافها سنتجمّد!»

قلتُ وأنا أدير جسدي نحو الجدار: «سنخرقه... ميكا»

ابتسمت ميكا ابتسامَةً ضيقة، فيها عنادُ المعلّمين القدماء: «هذه معركةٌ سحر... ولن نخسر حكيمة السحر. تطرّف الرياح»

ضربنا الجدار برياحٍ مضادة من عصا الحكيمة حتى شققنا منفذًا، ثم اندفعنا عبره. لامسني بردُ الحافة كعَصَّةٍ سريعة. وسمعتُ زوراي يراقبنا بعينٍ حادَّة وهو يقول: «لو كانت قناعاتهم ضعيفة لانتهى الأمر... لكن... كما توقعت. أوغاد لا يستسلمون»

ومن قرب المنصة بين الغابة ورمال الشاطئ على مسافة تقارب ثلاثين قدمًا منه انطلقتُ بسرعةٍ خاطفة. رفع زوراي يده اليمنى: «أوه... حسنا. تطرّف الجليد» قذف جليدًا نحوِي؛ تفاديتُ الأولى يمينًا، والثانية يسارًا، والرمل ينزلق تحت قدمي كأنه يريد إسقاطي. ثم ضغطتُ قدمي على الأرض. على بُعد عشرة أقدام قفزتُ عليه بجسدي.

قال زوراي، وقد شلَّه الجليد: «ساذج... ألم تتعلّم يا يزن؟ الهجمات الجسدية لا تُجدي ضدي»

قلتُ وأنا أقترب أكثر، وأشعر بثقل نبضي في معصمي: «أعرف... لكن... (كلاود، ميكا)!»

في اللحظة نفسها، كوّن كلاود من كتفي الأيمن كيانًا عصبيًا مشوّهًا بتطرّف الظلام، واندفع بركلةٍ يمينى. وتبعته ميكا من كتفي الأيسر بتكوينٍ أبيض، وضربت بقبضةٍ يسرى. أمسك زوراي الركلة والقبضة معًا، وارتسمت دهشةٌ خاطفة على وجهه: «ماذا؟ تكوين كيان عصبي خلال الاندماج؟ أنتم... مجانين! ما هذا الشعور؟»

ابتسم كلاود وميكا ابتسامةً عابرة سريعة كوميض سلاح ثم تراجعًا فجأة، تاركينني وحدي في وجهه.

كان زوراي ينظر إلى خاصرة كيانه العصبي، ثم أدرك يديّ وقد أمسكتا بها. اتسعت دهشته، وتغيّرت نبرته إلى شيء أقرب للغضب: «ما الذي... ما الذي تفعله؟»

ابتسمتُ وأنا أثبتت قبضتي، وأجمع ما تبقى من نفسي في نقطة واحدة: «فنون الملوك... الاندماج العصبي»

صرخ: «ما الذي؟! أيها الشقي»

دفعتُ قوة فنون الملوك من «نمط الازدواج» إلى كيانه حتى بلغ حدّ اللااستقرار. دوّى انفجارٌ صاعق في محيط سبع أقدام؛ تهشّم كيانه وهو يُقذف في الهواء، واستقرّ عليه شلالٌ مؤقت على حافة الزمن، كأن الحركة نفسها ترددت قبل أن تكمل طريقها.

انهار كلاود مغشيًا عليه من صدمة الارتداد، وشعرتُ بالثقل يهبط عن كتفي كصخرة أزيحت. انتقلتُ فورًا إلى «نمط حكيم السحر»، قبضتُ العصا راسيًا، ثم هويّتُ بكيان زوراي من أعلى إلى أسفل نحو الرمل.

قلتُ: «انفجار الرياح»

تفجّر الهواء. انفلّت القلادة من عنقه؛ قبضتُ عليها بيدي اليسرى، ولفحني معدنها ببرودة حادة. وفجأة هدأ كل شيء، كأن العاصفة كانت تنتظر إشارة النهاية لتسكت.

هتفت ميكا بسعادةٍ متعثرة، وصوتها يلهث أكثر مما يضحك: «أمسكها... نجحنا! نعم... نجحنا!»

قلتُ وأنا أترجّح من الإنهاك: «أجل... فعلناها»

ثم انطفأ كل شيء. غادرني الوعي. انحلَّ نمطُ حكيمِ السحر، وسقطتُ على الرمال والقلادة ما تزال محبوسة في قبضتي.

لكن المعركة لم تنسَ أن تترك ندبتها الأخيرة.

تفعلُ تاج زوراي. تشكّل كيانٌ عصبي بمستوى عملاق. رفعني بيده اليسرى، وحمل كلاود بيمناه. سمعتُ صوته من بعيد، مظلمًا كقاع بئر: «أيها الأشقاء... سأريكم» ثم قطعه ارتباكًا مفاجئ: «همم؟ أغمي عليهم؟ لحظة... أين القلادة؟» ورأيتُه يحدّق في يدي: «القلادة... يبدو أنني خسرت؟! هههههه!»

صرخت ميكا فيه، وغضبها يسبق ألمها: «أبي، يكفي! لقد خسرت... يزن وكلاود أغمي عليهما!»

وضعنا زوراي على مهل، وبدأ التاج والكيان يتلاشيان كدخانٍ يتعب من نفسه: «آه... آسف. أخذني الحماس»

عمّ هدوءٌ ثقيل أمام غابة اليكس على رمال الشاطئ، ثم اتسعت عيون المعشر دهشةً كأنهم استيقظوا للتو من حلٍ طويل. دوى صوت القائد كادي جهوريًا، يجلد السكون ويشقّه: «يزن التقط القلادة... لقد فازوا! سيداتي سادتي الأمير كلاود، والأميرة ميكا، والبشري يزن... فازوا بجدارة، وحققوا لقب قادة اليكس في الاختبار المستحيل ضد الملك زوراي!»

انفجرت الهتافات: عناقُ بتشابك، ضحكٌ يرتجف، دموعٌ لا تجد سببًا واحدًا فتكتفي بالانهمار. وسمعتُ بين وعيٍ يتهاوى زوراي يهمس بانزعاجٍ ساخر: (هل أنا نوع من الأشرار في أنظارهم؟)

اندفعت القائدة رومي من وسط الحشد وهي تصرخ: «كلاود... كلاود!» وحملته برفقٍ يليق بمن يعرف هشاشة المنتصر: «إنه يتنفس...»
وقالت ميكا، مترنحة من الإرهاق: «لا تقلقي يا رومي... أعمي عليه من صدمة الهجوم الأخير. أخي... لقد عملتُ بجد»

جاءت مدام ديميتا والخادمت لل علاج الأولي، ومرّت روائح مراهم وأعشاب فوق أنفي كضبابٍ خفيف. وسمعتُ زوراي، وقد عاد إلى وقاره، يوزّع الأوامر كمن يعيد ترتيب العالم بعد فوضاه: «ديميتا، رتبي القاعة الكبرى لراحتهم. نردين، رافقي ميكا إلى كوزنيت للعلاج سريعًا، جروحها عميقة. رومي، رافقي كلاود. تارا... احملي يزن إلى القاعة الكبرى بكيانك العصبي»

تتابعت الردود: «حسنًا، سموك»

حملتني القائدة تارا. كانت الأصوات حولي تتكرر ثم تبتعد، كأنها تغرق في ماءٍ كثيف. تصفيقُ اليكس يعلو، وأنا أنزلق خارج العالم، خطوةً بعد خطوة، حتى لم يبق سوى خيطٍ رفيع بيني وبين الظلام.

لاحقًا بعد زمن كانت الرياح قد انحسرت عن جدران تروثغاي المحطمة على الضفة الغربية لغابة اليأس. هناك، قرب أشجار بركة المياه العذبة، وقف رجلٌ ضخم بدرعٍ ثقيلٍ مظلم أمام قبر محارب الظلام عزيف.

قال بصوتٍ أجشٍّ، كأن الحجارة تخرج مع الحروف: «همم... إن كان مرقدك هنا يا عزيز... وهذا القبر الآخر... الغريفيين أيضًا؟ غريب. ما رأيك؟»

خرجت امرأةٌ رشيقةٌ بدرعٍ خفيفٍ مظلم من جهة الجرف الصخري بين الأشجار. قالت: «إن كان قد مات... فقد وجدتُ آثارَ قوىٍ عزيزةٍ السحرية هنا. أعرفُ عاداته: يلعبُ فريسته قبل أن يقضي عليها ويمحو قوته مدمرًا المكان. لكن الآثار قرب الجرف تشير إلى مطاردة مجموعةٍ من البشر... ثم غيّر وجهته ليطارد هدفًا واحدًا لم يكن منهم»

قَطَّب الرجل المدرع: «إذن واجه خصمًا آخر أثناء المطاردة... خصمًا قويًا بما يكفي لقتل عزيز والغريفيين الأسطوري؟»

قالت بقلبي لا تحاول إخفاءه: «من آثار القتال أستنتج اثنين: إما أن عزيز تحقّظ لسببٍ ما... أو أن فرق القوة بينهما كان كبيرًا»

اتسعت دهشة الرجل: «أتقصد أن القتال كان من جانبٍ واحد؟ لا أستطيع تخيّل ذلك»
قالت: «...معك حق»

ثم ملأ المكان صوتٌ غليظٌ مرعب عبر التخاطر، لا يأتي من جهةٍ بل من داخل الهواء نفسه: «في الحاليتين، عزيز واجه ما نبحت عنه. وأثر حجر الحقيقة اختفى من مدينة تروثغاي. إذا تبقى... استعداد. سنتوجه إلى مملكة اليكس لرؤية زوراي»

جثا الرجل والمرأة معًا وقالا: «سمعا وطاعة، سيدي فانمند»



الفصل الثاني عشر

ملكة البكس كونزيت

بينما كنتُ أستسلم لنومٍ ثقيل في مملكة البكس، كان الليل في غابة اليأس ينفرج عن زحفٍ آخر. عرفتُ لاحقًا كيف كانت الرايات ترتعش تحت بجنح السكون، وكيف دقت ثلاثة آلاف «كيان ظلام» الأرض بخطى محسوبة؛ صوتها يسبقها، يجرُّ الرهبة من أطرافها قبل أن تظهر.

كان جيش قائمند مُحكمًا كآلةٍ تعرف وظيفتها ولا تسأل: كل خمسمائة «سراية» عليها «قائد سراية» من نخبة كيانات الظلام، وفوق كل اثنين من النخبة «قائد وحدة»، وأمامهم القادة الثلاثة. وفي المقدمة تنيبُ مجنح (فئة فريد) هائل؛ عيناه سوداوان كفم بئر، وحراشفه الفضية حادةٌ كحدِّ لؤلؤٍ مصقول يلمع في العتمة. على ظهره جلس قائمند كأن الموت اتخذ هيئة رجل وفوق رأسه «تاج البشرية» أسودٌ معتم، يطفو ويدور ببرودٍ لا يفهم الرحمة.

اقتربت منه قائدةٌ وحدة الفرسان على ذئبٍ حالك (فئة نادر)، وشققت صممت الغابة: «سيدي قائمند... فتشنا آثار القتال والسحر. لم نجد ما يدلّ على مكان (حجر الحقيقة) في أنقاض تروثقوي»

لم يُجب. كان الصمت عنده فعلاً، لا انتظارًا.

ومع ذلك لحقت بخطى التنين وقالت: «نحن نتجه الآن إلى مملكة اليكس... حتى لو كانت الجوهرة هناك، نستطيع نحن القادة إحضار (حجر الحقيقة) إليك. ما الذي تفكر فيه يا سمو الملك؟»

أبطأ التنين تبختره لحظة. حدّق قائمداً نحو الأفق، وقال بصوتٍ غليظٍ هادئ، كأنه يزن الهواء: «بعض الذين اختارتهم (التيجان) والذين صاروا داخل دائرتها يحسّون بحركة المناهج، بل بالتلاعب بها أحياناً. منهم (ملك اليكس زوراي) وزوجته (حكيمّة السحر كونزيت)»

قالت القائدة، وكأنها تُسقط علاماتٍ على خريطةٍ في رأسها: «إذن الجوهرة الآن في (مملكة اليكس)... هم سحرة هجومٍ وتعزيز، وصغّره يُسهل القضاء عليهم، وكنوزهم قليلة... هل اليكس بهذا الغباء؟ الاحتفاظ بـ(حجر الحقيقة) يجلب الدمار»

ضاقت عينا قائمندا: «على الأرجح زوراي فعلها. يعرف أن إشارة السحر والحركة المنهجية ستجذب كلّ من أدركها من الملوك ومن في الدائرة. هو يأمل توحيدهم لتحالفٍ ضدنا... لذا عليّ أن أقبل ضيافة صديقي زوراي»

تبدّل وجهها دهشةً سريعة، ثم انحنت للكلمة كما لو كانت سيفاً مسلولاً: «كعادتك ترى ما وراء إدراك الجميع، سيدي. سنمضي خلفك حتى النهاية»

حين أشرقت سماء مملكة اليكس بزرقتها الهادئة، كنتُ في القاعة الكبرى نائمًا على سريرٍ يسار المدخل. وعلى السرير المقابل كان الأمير كلاود مُضمّداً. تحت السقف الخشبي علق رائحة الصباح: طلّع الغابة ممزوحٌ بندىً بارد، كأن المكان يتنفس ببطء.

حلّقت مدام ديميتا فوق صدري تفحص ما بقي من آثار المعركة. سمعتها تقول: «شُفيت معظم إصابات السيد الصغير... كان هذا سريعًا»

همست سُهى خلفها، بدهشةٍ لا تُحسن إخفاءها: «لا أصدق أن هذه بنية جسد طفل بشري... إصاباته تحتاج ثلاثة أسابيع عادةً، والآن تكاد لا تُرى»

قالت ديميتا بصرامةٍ رقيقة: «لا أحد يخبّن ما الذي مرّ به من تدريب. سُهى، استخدمني أدوية منخفضة وضمدي الباقي. هيلي، كيف حال الأمير كلاود؟»

أجابت هيلي: «بخير سيدتي... يحتاج راحة فقط»

ارتاح وجه ديميتا، ثم تمتمت، كمن يعترف لنفسه: «لم أظنّ إصاباتهم ستكون طفيفة بعد مواجهتهم سمو الملك»

دخلت الأميرة ميكا على قدميها، وفي عينيها قلقٌ يلمع كندىٍّ على حدّ ورقة: «ديميتا، كيف حالهما؟ ألم يستيقظا بعد؟»

أشارت ديميتا أن تخفض صوتها: «نائمان... مرهقان من الاختبار. كيف حالك أنت؟»

اقتربت ميكا من السريرين وقالت معتذرة، ثم التفتت إلى كتفها: «أمي عالجت أجنحتي... لكنها منعنتني من التحليق فترة»

في تلك اللحظة فتحتُ عيني. تراجعت الخادِمات خطوةً بانحناءٍ تلقائية، كأنَّ الهواء نفسه أصدر أمرًا.

قالت ديميتا: «صباح الخير، سيدي الصغير. كيف تشعر؟»

وانفلت صوت ميكا أعلى مما ينبغي: «يزن! هل تتألم؟»

جلسْتُ ببطء، أُصغي لجسدي وهو يختبر حدوده: «صباح الخير... إصابات طفيفة، وأنا بخير. وميكا؟ أجنحتك بخير؟»

قالت بثقةٍ تجرُّ خلفها ضيقًا صغيرًا: «بضعة أيام راحة وأعود لاستخدامها»

ثم تحرّك كلاود متضايقًا، وصوته مكسورٌ من النوم: «أصواتكم... صاحبة...»

اشتعل وجه ميكا: «هل نحن مزعجون؟ نحن فقط... قلقون!»

أسند كلاود يده إلى رأسه: «أرجوك ميكا... توقفي...»

لبستُ قميصي وقلتُ لها بهدوءٍ مقصود: «لحظة...» ثم رفعتُ يدي: «(فنون الملوك: القراءة العصبية)»

دار غبارٌ ذهبي حول كفي كأنه فتاتٌ شميس ضلَّ الطريق. لمستُ عنق كلاود بإبهامي. انقبضت ملامحه: «ماذا تفعل يا يزن... رأسي يؤلمني»

قلتُ وأنا أسرّع القراءة في داخله: «حدسي صحيح. أُصيبت أذنك الداخلية اليسرى من صدمة الهجوم الأخير»

شهقت ميكا: «إدًا تأدّي لحظة إغمائه...»

ارتبكت ديميتا: «كان يجب أن ألاحظ... إصابة داخلية. علينا نقله إلى سمو الملكة»

لكن كلاود حدّق فينا، ثم حرّك رأسه ببطء كأنه يجرّبه لأول مرة: «همم... ماذا؟ اختفى الألم تمامًا»

تبادلت ميكا وديميتا النظرات. سألتني ديميتا بنبرة يتكوّن فيها يقينٌ حذر: «هل هذا من فعلك؟»

وقفتُ قرب كلاود: «نعم. سرّعتُ القراءة العصبية لديه، فقرأ العقل الإصابة بسرعة، وتسرّع تصرّف الخلايا... فتجدّدت واختصر زمن الشفاء»

انفجرت سُهي بدّهشةٍ صاخبة: «مهلاً... هذا سحر، أليس كذلك؟ لكن أليس مستحيلًا استخدام سحر العلاج بين الأجناس؟»

ابتسمت هيلي بحدّةٍ صغيرة: «سُهي...»

احمرّ وجه سُهي: «أعتذر»

أغمضت ديميتا عينيها: «القليل فقط يستخدمون سحر الدعم: الشفاء، والأقل حتي بينهم من يشفي بقية الأجناس... وما فعله السيد الصغير ليس سحرًا»

همست ميكا، كأنها تضع أمها في المقارنة دون قصد: «يعني قدرة يزن نادرة كقدرة أمي؟»

شعرتُ بثقلٍ قديم يصعد إلى وجهي. قلتُ: «كما قالت ديميتا، ليس سحرًا. معلمتي غفلن اندهشت حين خرجت مني هذه الطريقة أول مرة بالصدفة. بعدها تدربتُ على رصد (منهج الإشارات العصبية) للكائنات، ثم تحفيزها لتحسين الشفاء بفنون الملوك... صدقًا، لا تريدون سماع البقية»

ضحك كلاود ضحكةً قلقة: «تدربتُ معك يومين وطننتُ أنني سأموت... وتقول هناك أسوأ؟»

تقدمت ميكا خطوة، واستقامت نبرتها: «عندي أسئلة كثيرة، لكن أبي يريد رؤيتكم فورًا»

قال كلاود وهو يختبر جسده: «أنا بخير. لكن... يزن، هل تستطيع الذهاب؟»

تفقدتُ ألمي كمن يعدّ خسائره بصمت: «نعم... أستطيع»

وقفت ديميتا أمامنا: «سمو الملك أمر بإحضار الأمير كلاود وميكا والسيد الصغير يزن إلى غرفة الكنوز لمقابلة سمو الملكة. الملابس جاهزة»

هبط على وجه كلاود تفكيرٌ ثقيل. ونظرت ميكا إليه بحزنٍ خاطف، ثم قالت: «حان الوقت... هيا بنا»

في غرب المملكة، حيث تحرس ستّة أعمدٍ شاهقة حدود الغابة حتى ضفة البحر، تعانقت شجرتا «التوأم» حول «الشجرة الأم» في جوفها درجٌ يصعد من المستوى الأدنى إلى منتصف الجذع، حيث غرفة الكنوز و«حجر مملكة البكس» كان الخشب يئنّ تحت خطواتنا كأنه يتذكر شيئاً لا يُقال.

قادتنا ديميتا إلى بابٍ ذهبي تحرسه بكسيتان بدرعين من الذهب. أعلنت الحارسة اليمنى: «وصول السيدة ديميتا، سمو الأميرة ميكا، سمو الأمير كلاود، والبشري يزن»

وجاء الردّ تخاطراً، يملأ المكان دون فم: «يُسمح لهم بالدخول»

تحركت الأبواب الضخمة ببطء. راياتٌ حمراء وزرقاء على جدران خشبية، وأرضية حجرٍ أبيض بعروقٍ ذهبية تلمع كأنها عروقٌ حرارية محتبسة. وفي الوسط كريستال أخضر شفاف بارتفاع ثلاث أقدام، يضيء بضوءٍ ذهبي خافت، يجيء ويذهب مثل نفس.

داخل الجوهرة كانت ملكة البكس «كونزيت» غارقةً في ثباتٍ عميق؛ لا نومًا ولا صحواً، شيءٌ بينهما يُعطل الزمن. وقف الملك زوراي أمامها، واستقبلنا بفرحٍ صاخب. انحنت ميكا وكلاود، وتراجعت ديميتا قرب البوابة. أما أنا فثبّتُ عيني على الجوهرة؛ شيءٌ فيها كان يشدّ القراءة قبل أن يأذن بها أحد، كخظافٍ تحت الماء.

قال زوراي: «مرحبًا بكم في قاعة الكنوز. أهنيكم لاجتياز اختبار قادة البكس. كلاود وميكا... شجاعتكما وصبركما وتصرفكما ضدي جعلاني فخورًا. تهاني لكما... أصبحتما من القادة»

قالا معًا: «شكرًا سمو الملك»

ثم التفت إليّ زوراي، وعيناه تبرقان بحمايسٍ طفوليّ لا يليق بملك: «يزن... مستواك في فنون الملوك دفاعًا وهجومًا يؤهلك لـ(دائرة الملوك). وصلت لاندماج عصبي كامل مع كلاود، واستخدمت السحر دون إنشاد، وتصديت لي بنمط التاج مرارًا... لديك أخطاء لقلة خبرتك في التفادي، لكنني لم أشعر بهذا التشويق منذ زمن. علينا المباراة أحيانًا... أليس كذلك؟»

ترددتُ، وابتلعتُ ابتسامَةً لا مكان لها أمام هذه الجوهرة: «شكرًا سيد زوراي... سأبني دعوتك إن سنحت الفرصة»

جاء صوتٌ بارد من داخل الجوهرة الخضراء: «عزيزي زوراي... ليس هذا وقتًا مناسبًا. تمالك نفسك، لقد أربكت الفتى»

تحسّبت وجه ميكا وكلاود خجلًا، وأغمضت ديميئا عينيها كأنها لا تسمع.

ضحك زوراي: «معك حق... عذرًا. يزن، هذه زوجتي كونزيت. كانت تتشوق للقائك»

انحنيتُ: «اسمي يزن، تلميذ ملكة الحقيقة غفلن. سمو الملكة كونزيت، شرف لي لقاءك»

قالت كونزيت، ونبرتها اتسعت دون أن تفقد برودها: «أرحب بك رسميًا في مملكتي، يزن. وأهنتك على إثبات جدارتك في اختبار القادة، خاصةً ضد زوراي... خاطبني بعد الآن بـ كونزيت»

قلتُ: «شكرًا... كونزيت. الشرف لي»

وتحوّل صوتها إلى دفءٍ خاص حين خاطبت ميكا: «ابنتي... تهاني. لقد ارتقيت إلى المستوى الثاني لكنز (حكيمة السحر). هذا اعتراف الكنز بك!»

أشرفت ميكا: «شكرًا أمي... يعني لي الكثير»

ثم عاد الصوت إلى صرامته حين التفتت إلى كلاود: «بني كلاود... أسعدني اجتيازك، وفاجأني أنك تستخدم (تطرف الظلام)، بل كوّنت (الكيان العصبي) وتمكنت من (الاندماج العصبي). كيف حدث هذا؟»

ازدادت جدية زوراي: «هذا صحيح. كنا متيقنين أنك لن تستخدم السحر بعد محو (تطرفك السحري) في الحادثة... كيف عدت؟ ولماذا تطرف الظلام؟»

خفض كلاود رأسه، وكان الحزن على وجهه كضماٍ قديمٍ لم يُبدّل: «في الحادثة مُحي (تطرفي السحري) في عقلي الباطن... امتصّت الجوهرة (الحركة السحرية) لديّ. كان خطئي أنني فَعَلت السحر وأنا أَلْمسها»

سقط الصمت كحجر. رأيتُ ميكا تنكمش في مكانها، وديميتا تبتلع تهيدة.

قالت كونزيت، وكأنها تضمّ ذنبًا ليس ذنبه: «كلاود... لم يكن خطأك. كنت تحاول إنقاذي»

قاطعها زوراي بنبرة حازمة: «كونزيت... دعيه يُكمل»

ابتسم كلاود ابتسامةً مكسورة: «أكل الخزي روحي. توقفتُ عن المضي. لم أعد أرى ولا أسمع... إلى أن واجهني بزن بكلامه. قال لي يومها: تمسّك بضعفك بإرادة وعزم. لا تُبعد نظرك عنه... تعلم منه واجعله قوة»

شعرتُ بحرارةٍ تصعد إلى وجهي، كأن الجملة لم تخرج مني فقط، بل حُفرت عليّ.

رفع كلاود رأسه، وفي صوته ضوءٌ جديدٌ لا يعرف كيف يخفيه: «ظننتها مصادفة... حين استخدم بزن فنون الملوك، أخذ جسدي وعقلي الباطن الحركة المنهجية لفنونه بدلاً ل(الحركة السحرية)، واستخرج (تطرف الظلام) الكامن في تطرفي الممحي. أنهينا (التزامن العصبي) واندماج الكيان العصبي) في يوم واحد... ويزن تكييف مع تزامني بسهولة، وكان يدعم تماسك تطرف الظلام بالحركة المنهجية»

شهق زوراي: «أتقول إن جسدك قبل الحركة المنهجية لفنون الملوك فصارت بدلاً للسحر لديك؟»

قال كلاود: «باختصار... نعم. أصبحت مستخدمًا ثانويًا لفنون الملوك وتطرف الظلام معًا... وبفضل بزن»

ظلت الدهشة معلقةً في القاعة، مثل ضوءٍ لا يجد موضعًا ليهبط. ثم جاء صوت كونزيت، وفيه ارتياحُ العالم من نفسه: «لكن... (التزامن العصبي) و(اندماج الكيان العصبي) في يوم واحد؟ هذا مستحيل. كيف فعلت هذا يا يزن؟»

قلتُ بجديّة: «كنتُ أمارس (التزامن العصبي) مع سيدتي غفلن عبر التزامن مع الحركة المنهجية لـ(حجر الحقيقة)... هذا صار طبيعيًا لدي»

تبدلت ملامح زوراي فجأة، كمن التقط خيطًا أخطر من كل ما سبق: «نعم... أتذكر أنك تزامنت مع غفلن على العشاء... لكن... كيف تتحمل قراءة مناهج (حجر الحقيقة)؟»

تجمّدت القاعة. حتى الضوء بدا كأنه توقّف كي يسمع.

سألت ميكا بارتباك: «ماذا يعني؟ لم لا يستطيع؟»

جاء صوت كونزيت مرتعشًا: «حتى حاملي (التيجان) ومستخدمي فنون الملوك مثل (ملك المناهج ميراي) لا يستطيعون تتبع حركة مناهج الحجارة... لأنها ليست حجارةً مادية تجري فيها المناهج مثل (كنوز العرش)، بل إحاطةً مكانية لـ(حركة المناهج) بالسحر، تتبلور حتى تصير حجرًا ملموسًا... كما أنا الآن. هكذا تقول أسطورة (حضارة الملوك القديمة)... وهذا واقعنا»

تمتت ميكا: «يعني... قراءة يزن لمناهج الجوهرة صعبة جدًا؟»

قال زوراي بوجهٍ قائم: «ليست صعبة... بل مستحيلة، حتى على جنس مثل (الإلف)، على الأقل ليس في (عمره العقلي)...» ثم تغير وجهه كمن ضربه برق: «لا يمكن...!»

كنتُ واقفًا في سكونٍ ثقيل. وبدل أن يهدأ زوراي، وضع يده على وجهه وعيناه تشقان شغفًا: «يزن... قل لي. كم هو (معدل عمرك العقلي)؟»

صرخت كونزيت بالتخاطر، بين إنكارٍ ورعب: «زوراي... أتقصد أنه يستطيع رفع معدل تسارع العقل؟ هذا... مستحيل!»

قلتُ، لأن الهروب هنا كذبٌ مكشوف: «(قراءة الوقت والفضاء) قسمان من (فنون الملوك/الفنون المنسية). يزيد المستخدم تسارع القراءة العصبية حتى يرصد تحركات هيئة المناهج الفيزيائية مكانًا وزمانًا... ومع الإفراط يرتفع معدل العمر العقلي، كما قال الملك زوراي»

قالت كونزيت، وفي صوتها دهشةٌ لا تُخفي إعجابًا يتسلل رغمًا عنها: «تضاعف الخبرة المكتسبة كلما استخدمت (قراءة الوقت والفضاء)»

همست ميكا لكلاود، ضائعة: «عن ماذا يتحدثون؟»

أجابها كلاود هامسًا: «لا تشغلي بالك... فنون الملوك»

قالت كونزيت بحدّةٍ مفاجئة: «كلاود، بما أنك تستخدم جزءًا من فنون الملوك، تعلم من يزن. وأنتِ أيضًا ميكا، حكيمة السحر... هذا مهم. ركّزي»

قالا معًا: «حسنًا أمي»

تقدمتُ خطوة، والهَمّ الذي جئتُ لأجله يضغط على صدري كيدي خفية: «الملك زوراي... كونزيت... أطلب الإذن بتفحص الجوهرة. أريد أن أفهم لماذا تغيّرت حركة منهجها وتصرفت بهذا النحو»

سأل زوراي: «هل لديك فكرة عمّا يحدث للحجر... وكونزيت؟»

قلتُ: «لدي... لكن أحتاج التأكد»

قال زوراي بعد ترددٍ قصير: «كونزيت؟»

جاء صوتها: «لا بأس... ليس لدي مانع»

وضعتُ راحتي على سطح الجوهرة. بدأ جسدي يضيء تدريجيًا، وارتفع ضوء الكريستال بهدوءٍ كأنه يتنفس معي. شعرتُ ببرودٍ يزحف إلى العظم، وبرعشة خفيفة على أطراف أصابعي؛ كأن الحجر لا يلامس، بل يلمس.

قالت كونزيت بدهشة صافية: «لقد تواصلت مع الجوهرة دون عوائق... كيف؟»

ابتعدتُ، وقد اكتملت الصورة في رأسي على نحوٍ مُرّ: «قوى الظلام غيّرت تحركات منهج الجوهرة، ففعلت الجوهرة حمايةً ذاتيةً لاستقرار السحر وحركته المنهجية. غرضها دعم بيئة

مملكة الكس وتوفير طاقة السحر للنظام الدفاعي... وبالطبع سلامة (حكيم السحر) من أولوياتها»

هز زوراي رأسه، كأنه يسمع التشخيص الذي كان يتفاداه لئلا يصبح حقيقة: «صحيح. منذ الحادثة تراجع نمو الأشجار، وضعف نظام الدفاع الذاتي للأبراج»

اندفع كلاود: «هل هناك فرصة لإنقاذ أمي، يزن؟»

قلْتُ بصوتٍ خافتٍ لا يعرف المجاملة: «مستوى الحماية في الجوهرة غير مستقر... لذلك لا أستطيع إعادة الحركة المنهجية لمسارها الطبيعي الآن»

انكسر الهواء في القاعة. رأيتُ خيبة الأمل تلمع على وجوههم كما يلمع الذهب في أرضية الحجر، لمعاً لا يدفع.

رفعتُ عيني: «لكن الأمر مهما كان خطراً ليس مستحيلاً. زوراي... كوزنيت... لديّ مقترح»

وبينما كانوا ينظرون إليّ منتظرين، كانت الرياح الشرقية الجافة في الخارج تهزُّ أوراق «الشجرة الأم» كإنذارٍ لا يرفع صوته. وعلى أفق الشرق كان الشرار الأحمر يشق الغمام الأسود، والمطر ينهال قاسياً فوق الأشجار الواهنة... وتحت تلك السماء، كان جيش فأنمند يقترب بخطواتٍ لا تتعجّل، لأنها واثقة.



الفصل الثالث عشر

جوهرة البِكس

في مملكة البِكس، داخل الشجرة الأم، كانت قاعة الكنوز موصدةً كقلبٍ يقبض على أنفاسه. الهواء هناك له رائحة خشبٍ عتيقٍ ورطوبةٍ خفيفة، وصمتٌ يُسمَع كأنه ضغطٌ على الأذن. وفي الوسط استقرت جوهرة البِكس: خضراء شفافة، مصمتة، ساكنة على هيئة نوم عميق. لم تكن حجرًا؛ كانت عصب المملكة كله: منها يتوزع دعم الطاقة السحرية على أنظمة الدفاع، ومنها تُسقى بيئة البِكس. وفي جوفها كانت الملكة كونزيت محتجزة، كروحٍ مربوطة ببُلور.

وقفتُ أمام الجوهرة ومعني الأميرة ميكا والأمير كلاود. كان الملك زوراي داخل القاعة كذلك، ومدام ديميتا عند البوابة خلفنا، واقفةً بصلابة صامتة، كأنها تحرس الخوف نفسه.

قلتُ بوجهٍ لا يقبل المجاملة: «الأمر في غاية الخطورة... لكن الإنقاذ ليس مستحيلًا. سموّ الملك، سموّ الملكة كونزيت، لديّ مقترح»

رفع زوراي نظره إليّ، وفي عينيه سؤالٌ ثقيل يطلب الثمن قبل الخطة: «يزن... ما معنى "خطير"؟ وماذا تقترح؟»

كنت أعرف أن الإطالة تقتل اللحظة، لكنني لم أستطع أن أتركهم يمشون في العتمة بلا يدٍ تمسكهم. نظرتُ إلى كلاود أولاً إلى الظل الذي يسكنه ويطيعه وقلت: «في العادة يُوصف "تطرف الظلام" كواحدٍ من تطرفات السحر، وهذا تبسيطٌ مُضلل. تطرف الظلام مادةٌ تتجسّد

في الظلمة. الظلام وحركة المناهج حالتان من الوجود متناظرتان: الظلام وسطٌ مادي لحركة المناهج، والمناهج كما في حالة كلاود ترشد هذا الوسط وتمنحه شكلاً. تحكّم كلاود في تطرف الظلام يكون إمّا بتفريغ حركة المناهج، أو باستخدام "فنون الملوك" بدل السحر لتطبيق الظلام وإعطائه وجوداً مادياً»

وجاء صوت كونزيت من داخل الجوهرة، تخاطراً كومبيضٍ يلمع تحت الماء: «...هذا يفسّر لماذا لم يكن تطرف الظلام ظاهرةً طبيعية تتحكم بها الحركة السحرية مثل بقية التطرفات... حتى حكماء السحر لم يدركوا طبيعته الغامضة وغير المستقرة... إذًا هو وسطٌ مادي للمناهج، والمناهج ترشده للوجود...»

قال زوراي، وهو يثبت نظره عليّ كمن يثبت قدمه على حافة: «وبمعرفة ذلك... ما الذي تقترحه لتحرير كونزيت؟»

التفتُ إليه: «ما منعي قبل قليل من الوصول إلى "منهجية تحكّم الأداء" داخل الجوهرة هو أن مستوى الحماية السحرية والمنهجية غير مستقر. الحل أن نعيد الحركة المنهجية إلى مسارها الطبيعي: نخترق مستوى الحماية، ثم نصل إلى "منهجية تحكّم الأداء"»

تنفّس زوراي ببطء، كأنه يسأل وهو يعرف أن الإجابة تترك أثراً: «اختراق "منهجية تحكّم الأداء"... وكيف تنوي فعل ذلك؟»

قلتُ: «أستطيع في مرحلةٍ ما فصل الحركة السحرية عن الحركة المنهجية داخل الجوهرة باستخدام "فنون الملوك". لكن لضمان الاستقرار والوصول إلى "منهجية تحكّم الأداء" نحتاج ميكا لتفريغ الحركة السحرية بصفقتها حكيمة السحر ونحتاج تطرف الظلام لدى كلاود لتفريغ

الحركة المنهجية. سنستخدم "الاندماج العصبي المزدوج" لنبلغ تزامنًا مثاليًا مع حركة مناهج
الجوهرة»

هزّت ميكا رأسها فورًا، قبل أن يلحق عقلها بلسانها: «همم... نعم، كما قال يزن، الاندماج
العصبي المزدوج كان... رائعًا...» ثم توقفت فجأة وحدّقت بي كأنها اصطدمت بما قالت:
«لحظة ماذا قال؟!»

نظر كلاود إلّي نظرةً مستقيمة، ببرودة حدّ سكين: «تعني أننا بالاندماج العصبي المزدوج...
تتولى ميكا تفريغ الحركة السحرية، وأنا أتولى تفريغ الحركة المنهجية لحظة الفصل... وبذلك
ننقذ أُمي؟»

قلتُ: «مع استقرار عملية الفصل... نعم»

سقط صمّتٌ قصير، لكنه كان ممتلئًا. ثم قال كلاود بصوتٍ خفيض، كأنه يزرع قدمه في أرضٍ
تهتز: «أنا أثق بك يا يزن. أُمي... أُمي... أرى أن نحاول تنفيذ مقترح يزن»

همست كونيّيت من داخل الجوهرة: «كلاود...»

ابتسم زوراي ابتسامة استسلامٍ رقيق: «كونيّييت... أنا أيضًا أرى أن الأمر يستحق المحاولة.
شاهدت الاندماج العصبي المزدوج بينهم، وأثبت يزن أنه ملّم بما يحدث للجوهرة. لكن القرار
لك»

جاء صوت كونزيت أدفأ مما ينبغي لحجرٍ أخضر: «...في العادة ليس من الحكمة التسرع في قرارات تخص جوهرة اليكس... لكنني لم أُر زوراي سعيدًا هكذا منذ زمن، ولم ألمس هذه العزيمة في ميكا وكلاود من قبل... لذا اتخذت قرارِي. وافقت. يزن... أثق بك»

سقطت الثقة في كفي كقطعة حديدٍ مُحَمَّى؛ لا تُمسكها إلا وتحترق، ولا تتركها إلا وتخون. قلتُ بعزمٍ حاولتُ أن أجعله ثابتًا: «نعم سموك. سأبذل جهدي»

أشار زوراي إلى ديميتا: «ديميتا، أغلقي بوابة القاعة»

أغمضت عينيها لحظةً، واستجابت بهدوءٍ مطيع: «حسنًا سموي»

قفزت ميكا إلى كتفي الأيمن بمرحٍ مصطنعٍ يطرد الخوف من حافته: «حسنًا... أُمي تعتمد علينا. يجب أن نبذل ما بوسعنا»

وقفز كلاود إلى كتفي الأيسر. لم يكن في وجهه فرح، فقط قرأٌ جاف: «نعم، الحل بين أيدينا. سنحرر أُمي»

ابتسمتُ رغم الشدِّ في صدري: «أحسنت القول يا كلاود... لنبدأ»

تقدّمتُ نحو الجوهرة بخطواتٍ ثابتة. فقلتُ «فنون الملوك»، فانبعث من جسدي ضوءٌ هادئٌ كأنني أشعلتُ في دمي مصباحًا. وضعتُ كفي على سطح البلّور المواجه لكونزيت. عندها بدأت عروقٌ ذهبية تتوهج من منتصف الجوهرة، تمتد إلى أرضية القاعة البيضاء في دائرةٍ حولها، ثم تغلغل في الجدران الخشبية داخل الشجرة الأم كالشرايين.

قالت كونزيت من الداخل: «يزن... سأحرص على استقرار تدفق الحركة السحرية بانتظام...
زوراي!»

ارتفع زوراي في الهواء إلى وسط القاعة فوق رأسي ليأخذ نظرةً شاملة، وثوبه يتحرك بحذر
الريح: «أعلم. سأدخل إن حدث شيء. لا تقلقي»

قلتُ وأنا أفتش بتلمّسٍ دقيق بين اضطراب الحماية، كمن يفتش عن خيطٍ في عاصفة:
«جيد... وجدت منفذًا مستقرًا لعملية الفصل والتواصل مع "منهجية تحكم الأداء". ميكا،
كلاود... يمكننا البدء: «فنون الملوك الاندماج العصبي»»

انفلتت من ميكا طاقةً بيضاء كعباءةٍ تتشكل من الضوء: «فنون اليكس التزامن العصبي
اندماج الكيان العصبي نمط حكيمة السحر»

وانفلتت من كلاود سوادً كثيف يزحف كدخانٍ وإعٍ ولبس جسدي: «فنون اليكس التزامن
العصبي اندماج الكيان العصبي تطرف الظلام»

في لحظاتٍ صرْتُ كيانًا معلقًا بين الأبيض والأسود: الظلمة تغلفني، وفيها عيونٌ ذهبية حادة،
وعلى كتفي استقرت عباءة ميكا البيضاء تتدلّى إلى ظهري. وكانت العروق الذهبية في
الجوهرة تضحّ الضوء في القاعة كقلبٍ عاد للعمل بعد توقف.

سمعتُ ديميتا تهمس عند البوابة، والدهشة تنكسر في صوتها: «...مدهش»

وقالت كونزيت، وكأنها ترى ما لا نراه: «لم أرَ استقرارًا في الاندماج والكيان العصبي كهذا في حياتي... ومع ميكا وكلاود في الوقت ذاته... كأنكم شخصٌ واحد»

ثبَّتْ يديَّ على الجوهرة وقلَّتْ: «فنون الملوك قراءة الوقت والفضاء» ثم أعلنت: «تم رصد حركتي المناهج والسحر. ميكا، كلاود!»

جاءني صوتهما معًا، متماسكًا: «مستعدان»

قلَّتْ: «بدء عملية تفرغ حركة الطاقة السحرية والمنهجية»

شعرتُ بالفصل يحدث في جسدي قبل أن يحدث في الجوهرة. إلى يساري أضواءٌ ذهبية حركة المناهج وإلى يميني أضواءٌ خضراء الحركة السحرية تنسحب عبر الاندماج نحو ميكا وكلاود.

قلَّتْ بسرعةٍ لا تسمح للارتباك أن يتسلل: «تم الفصل بنجاح. كيف التفرغ؟»

أجاب كلاود من كتفي الأيسر، وصوته يحمل مقاومةً صامتة: «تدفق حركة المناهج وتفرغها مستقران تقريبًا بنفس التسارع... يمكنك المباشرة»

وقالت ميكا من كتفي الأيمن: «تدفق حركة السحر مستقرة حتى الآن... أستطيع تفرغها بنفس التسارع»

لكن الضغط بدأ يتراكم. ارتفع توهج الجوهرة، ثم اهتزت اهتزازاً ثابتاً، ومعه تصاعد رنينٌ متكرر يضرب القاعة كجرس إنذارٍ يرفض أن يصمت.

صرخت كونزيت: «يزن... احذر. الجوهرة تفقد استقرارها...»

قلتُ وأنا أشدُّ على الفصل كي لا ينفلت: «ميكا... كلاود... سأزيد التسارع لأتمكن من التواصل مع "منهجية تحكم الأداء"»

رأيتُ الإرهاق يكتب أثره على الأثنين دون كلمة. بياض ميكا ارتجف كقماشٍ في ریحٍ باردة. وسواد كلاود تضاعف لحظةً ثم انكمش، كأن الظلمة نفسها تتراجع تحت حملٍ لا يليق بها.

وفي لحظةٍ واحدةٍ ضعفت عملية التفريغ في الحركتين معاً، كأن شيئاً خفياً قصَّ الخيط.

اشتدَّ الرنين. وفوقي تشكّل على زوراي «تاج اليكس»، وتحوّل صوته إلى جهازةٍ أمرّة: «يزن، احذر! التفريغ غير مستقر... الضغط على ميكا وكلاود كبير!»

سمعتُ كونزيت تصرخ من الداخل، وكنتُ أعرف بحديسٍ موجه أنها لا تصل إلينا كما ينبغي: «ميكا! كلاود! يزن! هل أنتم بخير...؟ زوراي... إنهم يستقبلون حركتين أكبر من قدرتهم!»

وقال زوراي: «لا يتجاوبون معنا... ما الذي يحدث يا يزن؟»

لاحقاً فقط عرفتُ ما كان يجري في تلك الأثناء خارج قاعة الكنوز. علمتُ التفاصيل كما لو كانت جزءاً من ذاكرتي، لأنهم رووها بدقةٍ لا ترحم.

في قاعة القادة قرب الشجرة الأم، كانت القائدة رومي ونردين تُرتبان الخرائط مع السيد أدهم، مسؤول أمن المملكة وأحد كبار الكس الأربعة. قالت نردين وهي تسحب لفافات الورق من الأدراج: «من كان يصدق أن جيش فائند بهذا القرب... خصوصًا مع ضعف دفاعات المملكة»

وأجابت رومي وهي تفحص خريطةً على الطاولة، وأصابعها تتوقف عند خطوط حادة: «بحسب تقارير توباز وأوبال من بعثة الاستطلاع... الجيش يقوده فائند وتبينه الفريد، ومعه ثلاثة من قادته وتحتهم ثلاثمئة كيان ظلام. وبسبب التضاريس الوعرة سيحتاجون ستة إلى سبعة أيام ليصلوا حدودنا الشرقية»

وقال أدهم، وقد غاصت أصابعه في أطراف الخريطة كمن يحاول تثبيتها من الانهيار: «توقيت سيئ. أرسلنا القائد بريل لطلب دعم التحالف دائرة الملوك من مملكة البشر فور وصول سمو الملك من مملكة تروثغوي. وفق تقرير بريل سيستغرقون خمسة أيام للوصول. يومٌ واحد لتنسيق المعركة... وإن ساءت المفاوضات سنواجههم عند الحدود الشرقية»

ثم قالت نردين فجأة، كمن سمع نبضًا في الخشب: «الأجواء متوترة... رومي، أشعر بحركة سحرية من الشجرة الأم»

استقامت رومي بقلق: «نعم... سمعتُ من ديميتا أنهم دُعوا إلى غرفة الكنوز وأن تتويجهم سيكون قريبًا... ربما لهذا»

لكن رنين الكريستال كما وصفته رومي لاحقاً تصاعد من الشجرة الأم كقصيفٍ متتابع. ترددت نردين: «ما هذه الأصوات... من الشجرة الأم؟»

فقالت رومي وهي تندفع خارج القاعة: «هذا ليس طبيعياً... سأرى ما الذي يحدث»

أما نحن، فكنا في قلب العاصفة.

كانت الأصواء تتصادم فوق يديّ الصغيرتين على سطح الجوهرة. صار الرنين صاحباً حدّ الألم، حتى أن العظام كادت تردّ عليه. شعرْتُ باليأس يلوح من كونزيت، وبعجز زوراي وهو يحوم فوقنا. وديميتا خلفنا لا تملك سوى رجاءٍ يابِسٍ يمسكها من الانهيار.

ثم حدث ما يشبه قطع نفيسٍ واحد.

تحولت العروق الذهبية المتصلة بي إلى عروقيّ بيضاء، وسكن كل شيء لحظةً سكوناً قاتلاً. لم أعد أسمع ميكا ولا كلاود؛ كأن الاندماج ابتلع أصواتهما وترك لي فراغاً يطنّ. بعد ذلك مباشرة انفجرت موجةٌ صاعقةٌ من الجوهرة، قذفت ميكا وكلاود بعنفٍ عن كتفيّ نحو جدار القاعة.

صرخ زوراي: «ما الذي ! ميكا! كلاود!»

ارتطم كلاود بالجدار وسقط مغشياً عليه. وعلى الأرض انزلق تطرف الظلام لديه مستوى البشر لا إرادياً، يمتص الارتداد بحركةٍ مترددة، كأن كيانه العصبي يحمي جسده رغم غياب وعيه.

وألقيت ميكا كذلك بعنف، وانفجرت خلفها كتلٌ من سحر الجليد امتصت مردود الموجه، فسقطت قرب ديميتا، يتطاير حولها بخارٌ أبيض كزفيرٍ محبوس.

اندفعت ديميتا إلى ميكا: «ميكا! هل أنت بخير؟»

فتحت ميكا عينيها بصعوبة بين الجليد: «أمم... ديميتا... أين...؟ يزن... أمي...»

وأفاق كلاود ببطء وقد تلاشى كيان الظلام خاصة: «ميكا... ما الذي حدث...؟ أمي...؟ يزن!»

سمعتُ زوراي يقول وهو يلتقط أنفاسه: «يبدو أن بخير... ولكن...»

كنتُ لا أزال واقفًا أمام الجوهرة. يداي ملتصقتان بها كأن البلّور قد صادرهما. أضواء «فنون الملوك» تنبعث مني بلا انقطاع، لكنني لم أتحرك. كانوا يرونني في لاوعي، وأنا... لا أذكر من تلك الثواني إلا إحساسًا ببابٍ يُفتح في رأسي، بابٍ لم ألمسه من قبل، ومعه بردٌ صافٍ لا يشبهني.

ومن جوف الجوهرة جاء صوتٌ نسائي تخاطري، مرتب وواضح، يتردد مع الرنين كأنه نظامٌ يتكلم لا روح:

«تم منح تأمين دخول المضيف إلى “منهجية الأداء”.

منح المضيف “سلطة الإجراءات الثانوية”.

منح المضيف “سلطة الإجراءات الأولية”.

منح المضيف “سلطة تكوين الجواهر”»

صرخت كونزيت، والرعب يسبق كلماتها: «زوراي... الطفلان!»

قال زوراي مذهولاً: «كونزيت، لا تقلقي... ميكا وكلاود بخير. ماذا يحدث ليزن والجوهرة؟ هل أنت بخير؟»

أجابت كونزيت، والدهشة في صوتها أوضح من الخوف: «نعم... أنا بخير... لكنني لا أعلم لم وكيف... وعن ماذا تتحدث الجوهرة... لم يحدث هذا لي من قبل»

وأنا أو شيءٍ عبرني نطقتُ بصوتٍ واضحٍ مُرتَّب، كأنه يقرأُ أمرًا من داخل الجوهرة ذاتها: «(سلطة الإجراءات الأولية) إعادة ضبط "تنظيم منهجية أداء الحركة السحرية والحركة المنهجية"»

انخفض توتر الرنين، وانحسر ضوء الجوهرة قليلاً، كأن أحدهم خَفَّف قبضته عن الحلق.

وأجاب الصوت التخاطري: «تم ضبط تنظيم منهجية أداء الحركة السحرية والحركة المنهجية»

ثم خرج الأمر الثاني من فمي دون تردد:

«(سلطة الإجراءات الأولية) إعادة ضبط منهجية "مستويات الحماية"»

قالت الجوهرة: «يتم إعادة ضبط منهجية "مستويات الحماية". خطأ: تم رصد مضيف من "سلطة الإجراءات الثانوية" في مستوى "الحماية الأولية"»

قلتُ بهدوءٍ بارد، لا يشبه ارتجافي المعتاد: «سلطة الإجراءات الأولية» تحرير مضيف «سلطة الإجراءات الثانوية» من مستوى «الحماية الأولية»»

عندها أضاءت كونزيت من وسط الجوهرة، ثم اندفعت بلطفٍ إلى الخارج، كما لو أن البلّور لفظها بعد طول احتفاظ. سقطت بسلاسة من أعلى الجوهرة. هبط زوراي من الهواء بسرعةٍ والتقطها بين ذراعيه، ثم وضعها على أرض القاعة البيضاء.

قال صوت الجوهرة: «تمت عملية تحرير مضيف «سلطة الإجراءات الثانوية» من مستوى «الحماية الأولية»»

ثم قلتُ ولا أذكر أنني اخترت الكلمات، لكنني أعلم الآن أنها كانت الكلمة الأخيرة في معركتنا: «تطبيق «الإجراءات الثانوية والأولية» وتحرير مضيف «سلطة الإجراءات الأولية»»

فأجابت الجوهرة: «تطبيق «الإجراءات الثانوية والأولية» تم. تحرير مضيف «سلطة الإجراءات الأولية»»

حين هدأ الرنين تمامًا وخبأ الضوء، أفلتُ الجوهرة. تهاوى جسدي، واصطدمت ركبتي بالأرض أولاً، ثم سقطتُ كاملاً كأن أحدهم قطع الخيوط التي تحملني.

وخارج الشجرة الأم كان النهار واسعًا، والشمس تطل على غابة اليكس. ظلال الأبراج الستة تنحسر ببطء، وفي جسد الشجرة الأم تشعبت عروق ذات وهجٍ ذهبي من قلب المملكة. كان معشر اليكس يحدّقون بحيرة متزايدة: لماذا عادت قوى الجوهرة كما في السابق؟ ألم تكن قد خسرت طاقتها؟ ولماذا لم يعلن الكبار شيئًا؟

رأيتُ ذلك لاحقًا بعينيّ جمال صورةً لا تُمحي: الطاقة السحرية تندفق من الجوهرة إلى جذور الشجرة الأم، تنتشر في الأعشاب والأشجار وينايع الماء، وتصل حتى إلى الأبراج الستة؛ فتضيء الرموز المنقوشة فيها إيدانًا بعودة إمداد الدفاعات بالحركة السحرية.

كانت رومي تحلق بثباتٍ مذهولة: «تم توصيل الأبراج الدفاعية بالسحر... كما في الماضي؟ هذا لا يمكن...»

ولحقت بها الفائزة تارا: «رومي... هل لهذا علاقة بدعوة الملكة للأميرين والبشري يزن؟»

أجابت رومي وهي تسرع نحو الشجرة الأم: «لا أعلم... لكنني أرجو ألا يكون مكروهٌ قد أصاب كلاود...»

أما في القاعة، فحين فتحتُ عينيّ كانت الصورة أمامي أوضح من أي انتصار: زوراي جالس على الأرض، يضم كوزنيت إلى صدره بقوةٍ مرتجفة، ودموعه تتساقط دافئة على كتفها. أفاقت كوزنيت وهي تبتسم ابتسامة من عاد من موتٍ طويل، ومدّت يدها تمسح دموعه وتلمس خده.

قالت: «زوراي... أنا بخير الآن... أنت تضمّني بقوة...»

تردد زوراي، ثم تلاشى «تاج اليكس» عن رأسه كأن الخطر انصرف: «آه... آسف... لا أصدق عينيّ يا كوزنيت...»

ضحكت كونزيت ضحكة قصيرة، ووضعت كفها على خده: «لن يتغير قلبك العطوف مهما كبرت... هذا ما أحبه فيك»

اندفعت ميكا بخطواتٍ هادئة، ثم لم تعد تمشي؛ ارتمت في حضن أمها وهي تبكي: «أمي... أمي... أنت بخير...»

مسحت كونزيت على رأسها: «آسفة لأنني أفلقتك يا ميكا...» ثم رفعت بصرها: «كلاود!»

كان كلاود قريبًا. وجهه مظلم من أثر خوفٍ لم يعترف به. قال فقط: «أمي...»

ضحكت كونزيت وأمسكت يده: «تعال أيها الساذج... اشتقت إليك... شكرًا لإنقاذي»

جلس كلاود على ركبتيه عند حضنها، كأنه لا يعرف كيف يحمل فرحه إلا بهذا الانكسار، وانهمرت دموعه بصمت.

وفي تلك اللحظة اقتحمت القائدة رومي وتارا القاعة. دُفعت الأبواب الذهبية الضخمة دفعةً واحدة، واندفع الهواء معها ببرودةٍ مفاجئة، فتراقصت خيوط الضوء على الخشب.

صرخت تارا من داخل كيائها العصبي: «ديميتا! ما الذي حصل؟!»

وقالت رومي وهي تتقدم بذهولٍ يختنق: «سمو الملك... ماذا يحدث هنا... سيدتي كونزيت؟!»

رفعت ديميتا يدها، تشير إليهما بالهدوء: «رومي، تارا... كل شيء على ما يرام»

تلاشت قوة رومي فجأة، وبكت كمن ينهار بعد انتظارٍ طويل: «سيدتي كونزيت... حرة...
سيدتي...»

قفزت تارا وهي تمسك رومي، ودموعها تسبق ضحكتها: «إنها أخيرًا حرة... كيف؟»

قالت ديميتا وهي تمسح دموع فرحها: «أحدثوا معجزة. سمو الأميرين ميكا وكلاود، والسيد
الصغير يزن... أحدثوا معجزة»

ظلتُ قرب الجوهرة، خائر القوى، أراقب لَمَّ الشمل: أسرةٌ عاد إليها صوتها، ومملكةٌ عاد إليها
نبضها. تمددت في صدري طمأنينةٌ هادئة... ثم، ببطءٍ لا يراه أحد، صعد ظلٌّ على وجهي.

ابتسمتُ لهم ابتسامَةً صادقة... وفي داخلها شوقٌ موحش يطوّق قلبي، كأن شيئًا في هذا
الدفء يذكرني بما ليس هنا.



الفصل الرابع عشر إعلان حالة الحرب

بعد أن أنقذنا أنا وميكا وكلاود الملكة كوزنيت من جوهرة اليكس في قاعة الكنوز، انقلبت القاعة إلى ما يشبه عيادة تُقام على عجل. الهواء ما زال محملاً برجفة السحر، ورائحة المعدن البارد تخرج من الجوهرة كأنها زفيرٌ قديم. مدام ديميتا كانت تحيط بكوزنيت ومعها أربع خادמות، يفتشن الجسد والجناحين بعينٍ لا تعرف المجاملة. شهى وهيلي انتقلتا بيننا بتحسسان نبض التعب في وجوهنا. رومي وقفت عند كلاود وهو جالس على الأرض، وتارا عند ميكا، كأنهما تحرسانهما من الانهيار.

كان الملك زوراي يدور قرب الجوهرة، يقترب منها ثم يبتعد، مثل قائدٍ يراجع ساحة معركة قبل أن يطمئن. ثم جاءني ببطء حتى صار على مستوى كتفي. رمق كوزنيت وقال: «توقعت أن نخسر جوهرة اليكس في الإنقاذ... وفي أسوأ الأحوال» ثم انفرج فمه عن ابتسامةٍ تعرفني أكثر مما أعرف نفسي، «لكنك كالعادة لا تتكيف مع التوقعات»

راقبت الأنفاس المتقطعة حولي، وابتسمتُ بتعبٍ يصعد من العظم: «أنت تبالغ. ميكا وكلاود هما من جعلتا العملية ممكنة. لولاهما لما استطعتُ التواصل مع الجوهرة»

تلألأ شيءٌ حاد في عينيه، شعفٌ يلمع كحدِّ سيف: «معك حق... لكنك أنت من حررت كوزنيت وأعاد الجوهرة إلى سابق عهدها. أنا ومعشر اليكس مدينون لك. بصفتي زوجاً وأباً وملكاً... شكراً لك»

قلتُ وأنا أسند الكلمات كي لا تسقط من فمي: «زوراي... لي الشرف»

على الطرف الآخر كانت كونزيت جالسةً على الأرض، تضيق باليد التي تُمسك كتفها وبالعين التي تُحدِّق في جناحها. قالت بضجرٍ واضح: «ديميتا... أنتِ تبالغين. أنا بخير، لم أصب بأذى. أستطيع علاج نفسي... اتركيني، لديّ أسئلة ليذن: كيف فعل كل هذا؟»

لكن ديميتا لم تُبدِ أي لين. كانت تمرّر أصابعها على ريش الملكة كأنها تقرأ جرحًا لا يُرى: «لا إصابات، لا ضمور، الاستجابة العصبية سليمة... ومع ذلك، هذا غير لائق. ستلزمين الفراش تحت إشرافي. سموّ الملك، سننقل سموّ الملكة إلى غرفتها»

أوما زوراي: «حسنًا، ديميتا... أعتد عليك. سأتأخر قليلًا لأنفق الجوهرة، اعتني بكونزيت» ثم التفت إلى تارا: «تارا، استدعي السيد آيار. أمرٌ عاجل»

انصرفت الخادما بعد أن اطمانّ علينا. وبقينا أمام الجوهرة: أنا وميكا وكلاود، ومعنا رومي ونردين والسيد أدهم. ثم دخل آيار من بوابة قاعة الكنوز ترافقه تارا، بوجهٍ لا يعرف المجاملة ولا يُجامل القلق.

تقدّم نحو الملك مباشرةً، وصوته كحديديّ تُطرق: «سمو الملك، أريد شرحًا. لماذا لم يُبلِّغ بما حدث للجوهرة؟ حالتها كانت غير مستقرة، وصحة سموّ الملكة... كان عليك استشارتنا. ما الذي حدث؟ وأين سموّ الملكة؟»

اتكأ زوراي على الجوهرة كمن يتكئ على نصرٍ شخصي، وابتسم: «آيار... صديقي صاحب العقل الكبير. ما رأيته مذهل، أليس كذلك؟ عادت الجوهرة كما كانت، وتحررت كونزيت دون عواقب... وكل هذا حدث بدونك. الغيظ يأكلك الآن، أليس كذلك؟»

لم يلتفت آيار إلى السخرية. انحنى نحو الجوهرة، يحدّق فيها بعينٍ تُفكّك الأشياء قطعةً قطعة: «تتصرف كالأطفال... وتتفاخر على الملأ. تنظيم الحركة السحرية... تدفق القوة... الاستقرار... لا توتر في المحيط» ثم رفع نظره، وفي دهشته صدّق نادر: «بحقك، زوراي... من فعل هذا؟»

قال الملك، وقد ضبط الفخر في صوته كما يُضبط سلاح: «الثلاثي: يزن وكلاود وميكا. تجاوزوا دفاعات الجوهرة، ثم حرّر يزن كونزيت وأعاد تنظيم مهام الجوهرة الأساسية. أعرف أن لديك أسئلة... دعها لاحقاً»

ثبتت نظرة آيار عليّ طويلاً، نظرةً عالمٍ يزن الكلمات والناس معاً. ثم التفت الملك إليّ، يعرّفني كأني غريبٌ عن لحظتي: «يزن، هذا السيد آيار: من كبار اليكس، عالمٌ ومؤرخ سجلات المملكة، ومسؤول بحوث كنوز العرش ومراقبة الجوهرة»

انحنى آيار: «أنتشرف بلقائك، تلميذ ملكة الحقيقة غفلن، ومستخدم فنون الملوك. إنقاذ سموّ الملكة وإعادة الحركة السحرية... إنجازٌ تاريخي» كانت كلماته مصقولة، لكن عينيه لم تلمعاً الإعجاب وحده.

انحنيتُ: «أشكرك، لكنّ الأميرين كان لهما الدور الأكبر»

ثم قدّمني زوراي إلى أدهم: «السيد أدهم، مسؤول الدفاع والأمن الخارجي وخبير الحرب وأعمدة الدفاع السحري»

قال أدهم بصوتٍ غليظ، كأنه يخرج من درع: «في مواجهتك مع الملك حين استخدم نمط التاج، هجومك الأخير غيّر مفهوم القوة لدينا. اكتسبت احترام الملك والقادة والكبار. تشرفت بلقائك أيها الفتى البشري»

ابتلعتُ مرارة ذكرى يأسٍ قديمٍ كان يضغط حنجرتي كلما تذكرت تلك الليلة، وقلت: «كنتُ يائسًا... بلا مفر. أشكرك، سيدي أدهم»

رأيتُ على وجهي آبار وأدهم راحةً تشبه الهزيمة، ورأيتُ ضحكة زوراي الخفية تزيد المعنى التباسًا: كأن شيئًا ما يُدار فوق رؤوسنا، ونجونا منه صدفة.

قطع الملك ذلك كلّ حين صار وجهه صارمًا، وصوته أثقل: «الوقت يدهمنا. بعثة الاستطلاع أوبال وتوباز أبلغتنا باقتراب كتيبة لجيش فأنمند: ثلاثة آلاف كيان ظلام، أربعة قادة... والملك فأنمند شخصيًا يقودها. تحركوا من الشرق، من مملكة تروثقاي»

هبط على القاعة صمّت أسود. حتى الجوهرة بدت كأنها تكفّ عن التنفس لحظة لتسمع.

قال كلاود، وقد انكمش صوته: «فأنمند شخصيًا؟ لم يقود كتيبة فقط؟»

وسألت ميكا، وقد شدّت كتفيها كمن يستعد لصدمة: «وماذا يريد من مملكة اليكس؟»

نظر زوراي إلى آيار. أغمض آيار عينيه، كأنه يجمع قطعًا متناثرة لا تُرِيد أن تُرْكَب نفسها: «بحسب تقرير رومي وقصة رحلة تروثغاي... قتال قائد الظلام عزيز وبخته عن حجر الحقيقة أثار الشك، لكنه ليس سببًا كافيًا لقيادة الملك بنفسه. لا يترك لي هذا إلا احتمال حرب شاملة... يريد جوهرة اليكس، وتسليمه حجر المملكة»

سألت ميكا أباه، وصوتها يخرج من بين أسنانها: «هل لهذا تسرّعت في إنقاذ أمي؟»

قال زوراي: «نعم. تجاوزت الإجراءات ووافقت على اقتراح يزن فورًا. إن كانت الجوهرة هدف قائم فكونزيت في خطر. يزن فعل معجزةً حين نفذ الوقت. الجيش على بُعد خمسة أيام من حدودنا. لذلك سأشرف شخصيًا على تدريبكم يزن وميكا وكلاود بمساعدة رومي وآيار»

قال كلاود بدهشةٍ لم يستطع إخفاءها: «إدًا سنشارك في الحرب؟»

شدّت قبضتي. الجلد فوق مفاصلي توتر، كأنه يتذكر الدم قبل أن يراه: «أنا دخيل على المملكة، أعرف... لكنني أريد المشاركة. واجبي أن أحسم قائمدي بيدي»

أجاب زوراي: «مبادرتك تزيد قوتنا... لكن القرار ليس نهائيًا. قائمدي يعرف مداخل المملكة ومخارجها ومكان الجوهرة. سأدربكم احتياطيًا لتلافي الأسوأ. خذوا بقية اليوم راحة، والتدريب يبدأ غدًا في سرداب تحت الشجرة الأم، صباحًا. انتهى الاجتماع. انصرف»

خرجت مع ميكا وكلاود من قاعة الكنوز عبر سلّم الشجرة الأم. كان الإرهاق يعصّ أطرافي، لا يوجع فقط، بل يسحبني إلى الداخل خطوةً خطوة.

حلّقت ميكا قرب رأسي: «يزن، هل أنت بخير؟»

قلتُ وأنا أحاول تثبيت خطوتي: «إرهاقٌ فقط»

استقر كلاود على كتفي، وحرارة جسده الصغير خفت ارتجافي: «آثار جانبية لتواصلك مع الجوهرة؟»

«يبدو ذلك. قراءة المناهج هناك تختلف عن جوهرة الحقيقة... لكن راحة واحدة تكفييني»

هتفت ميكا بحمايسٍ مصطنع، كمن يرفع راية ليغطي خوفًا: «إذن: استحمام، طعام، ونوم عميق. الواجب بناديننا»

ضحكتُ: «متحمسة للتدريب؟»

قهقه كلاود: «ميكا متحمسة؟ هذا جديد»

قطبت ميكا: «أعني الاستحمام والطعام والنوم، أيها الغيبان!»

ما إن خرجنا من مدخل الشجرة الأم حتى تساقطت فوقنا ورودٌ مبعثرة. لم تهبط كزهورٍ فقط، بل كخبرٍ احتفل بنفسه قبل أن يصل. فاحت رائحةٌ حلوة تملأ الفم، ووجدنا جماهير اليكس تملأ الأرجاء: يطرون بين البيوت وفوق الأغصان، يضحكون كأنهم يزيحون عن السماء ثقلًا ظلّ معلقًا أيامًا.

حام كبير اليكس كادي بالقرب منا وصاح: «سيداتي سادتي... ها هم الأبطال!»

تجمدتُ في مكاني: «أبطال؟»

فجأة انفجر الهتاف من كل جهة: «تهانينا سمو الأميرة! أحسنت يا سمو الأمير! شكراً لك يا يزن!» وأحاط الصغار بي كأسراب ضوءٍ حار، يلمسون ملابسني ثم يهربون، كأنهم يختبرون حقيقة وجودي. لوّحت ميكا، وصافح كبار السن كلاود ودموعهم على أطراف أصابعهم: «إنجاز عظيم... شكراً... فخر لنا»

صرخ كادي: «في أول يوم من تتويجهم قادةً للبيكس، صنعوا أعظم الإنجازات: إنقاذ سمو الملكة وإعادة المملكة إلى سابق عهدها!» ثم أمر بصوتٍ لا يُرد: «أحضروا الطعام والشراب، وليبدأ الرقص والغناء!»

تمتمتُ في داخلي وأنا أراقب كيف يتحول الفعل في فم الناس إلى أسطورة: كيف انتشرت الأخبار بهذه السرعة؟ وكيف يكبر الحدث حتى يصير أكبر من أصحابه؟

اقتربت تارا ونردين من الخلف. قالت نردين بهدوءٍ يحمل امتناناً خجولاً: «إنقاذ سمو الملكة وإعادة قوة الجوهرة حدثٌ ضخم... يريدون شكرك»

ودفعتني تارا بخفةٍ تعرف طريقها إلى عنادي: «اجلس يا يزن، لن يفلتوك»

في الجانب الآخر تجمعت فتيات اليكس حول كلاود. احمرّ وجهه حتى بدا كأنه يختبئ داخل أذنيه. تمتمت ميكا بدهشة: «أخي... أصبح مشهوراً!»

لكن رومي اندفعت كعاصفة، أمسكت يد كلاود وقالت للفتيات بنبرةٍ تقطع الابتسام: «ألا تشعرن بالخجل؟ إنه الأمير! عزيزي كلاود... ستجلس معي، أليس كذلك؟»

ارتبك كلاود، ونظر إليّ كمن يطلب مخرجًا ولا يجده: «نعم... حالًا» وقرأتُ في ابتسامته المرتعشة أنه لا يملك خيارًا أصلاً.

امتعضت الفتيات، واشتعل المكان ضحكًا وغيظًا ورقصًا. جلسنا حول الشجرة الأم حتى الليل؛ أطعممةً لا تنتهي، وأغانٍ تعود وتكرر كنبضٍ جماعي، وصوت الأجنحة يرفرف فوق الرؤوس مثل مطرٍ خفيف.

حين عدنا إلى القاعة الكبرى، استقبلتنا هيلي وشهي. قالت هيلي بانحناءة: «مرحبًا بعودتكم... مدام ديميتا تعتذر، فهي تتابع صحة سمو الملكة» وأضافت شهى، وقد لمعت عيناها بالمزاح: «سنشرف أنا وهيلي على خدمتك، سيدي الصغير»

قلتُ: «شكرًا... لا داعي لتكليف أنفسكما برعايتي»

ابتسمت هيلي بصرامةٍ لطيفة: «ليس لثقتنا أن يُعامل بطل المملكة بسوء. غرفة استحمامك جاهزة» وتداركت شهى ضاحكة: «لن نترك بطل المملكة يستحم في الجداول بعد الآن... عادت حركة المياه»

اختنقتُ بالخجل، فضحكت ميكا. سأل كلاود سُهي عن صحة كونزيت، فأجابت: «بتمام العافية... لكنها تريد النهوض، ومدام ديميتا تمنعها من الهروب» همست هيلي لسُهي بابتسامةٍ مظلمة: «تتكلمين كثيرًا»

ودّعني كلاود عند الباب: «بعد الاستحمام... نوم مبكر. غدًا تدريب» قالت ميكا: «تصبح على خير» قلتُ: «وأنتما»

استحممتُ، بدلتُ ملابسِي، ثم سقطتُ في الفراش كمن يسقط في بئرٍ من سكون. لم أحتج أن أفنع جسدي بالنوم؛ هو الذي سحبنى إليه.

مع الفجر، قبل أن تتباهى الشمس بضيائها على الشجرة الأم، كنتُ في القاعة الكبرى أمدد عضلاتي وأتمرن على التنفس والتركيز. كان الهواء باردًا ويشدُّ الجلد، وصوت أنفاسي وحده يملأ الفراغ. شعرتُ بنظراتٍ خلف البوابة: سُهي وهيلي تراقبانني بدهشةٍ لم تحاولا سترها.

همست سُهي: «لم أصدق حين قالت مدام ديميتا إن عمره ثلاثة عشر عامًا...»

وقالت هيلي: «حركاته متناسقة... لا يمكنك معرفة قسوة التدريب التي مرت بجسدٍ كهذا... إنه أمر قايِس أن ترى فتىً لم يبلغ أشدّه بهذه الصلابة»

ثم هبط ظلّ ديميتا كعاصفة: «أرسلتكما لإيقاظ السيد الصغير فأجدكما تتجسسان؟»

ارتبكتا. ونظرت ديميتا إليّ، فتبدلت حديثها إلى حسرةٍ صامتة، كأنها ترى شيئًا لا أراه في وجهي: «كلما رأيته... أنذكر دموعه ذلك اليوم. قوّة وعزيمةٌ صامتة... ثم لا أرى إلا فتىً بذل

أقصى جهده وخسر كل شيء» التفتت إليهما بحنانٍ صارم: «لن نريه شفقةً، بل دعمًا وفخرًا.
مفهوم؟»

أجابنا معًا: «نعم، مدام ديميتا»

دخلت نحوي: «صباح الخير، سيدي الصغير. وردتنا أوامر سمو الملك بتوجيهك إلى سرداب
الشجرة الأم... لكنك تبدو مستعدًا»

قلتُ: «نعم. سأبذل قصارى جهدي»

ضحكت بخجلٍ سريع، كأنها توبخ نفسها على الضعف: «كعادتك» ثم ناولتني ملابس تدريب:
«رتبنا لك ما يلائم الحركة الحرة كما أشار سمو الملك»

حين ارتديتها دهشتُ: «عجيب... ملابسكم تلائمني دائمًا»

قالت بسعادةٍ صافية: «يسرّني ذلك»

ترددتُ، ثم انحنيتُ: «مدام ديميتا... شكرًا لكل ما فعلته لأجلي. وشكرًا لك يا هيلي... ويا
سُهي» ورأيت الدمع يتوارى في عيونهن، يتراجع كجنديٍّ خجلٍ من انكشافه. ارتبكتُ: «هل
أسأتُ بشيء؟»

رفعت ديميتا رأسها بحزم: «لا. تواضعك فضيلة، لكننا لن نقبل أن نشكرنا كأننا أصحاب
فضل. أنت أنقذت الأميرين، وأصلحت بينهما، وأنقذت ملكتنا حين فقد الجميع الأمل...»

وحملت عن الملك وعن معشر اليكس حملًا لا يطيقه أحد. نحن لا نملك إلا أن نخدمك بما نستطيع... فهل من العدل أن تشكرنا؟»

قلتُ بخجلٍ ضاق به صدري: «أنتِ تبالغين... أعتذر»

أشارت بصرامةٍ لطيفة: «اذهب الآن إلى مدخل الشجرة الأم المؤدي إلى قاعة الكنوز. ستجد سمو الأميرين بانتظارك»

خرجتُ، وسمعتُ وراء ظهري انحناءهن: «رافقتك السلامة... سيدي الصغير»

على الضفة الشرقية للشجرة الأم رأيت خطوط طاقية خضراء، كالشرايين، تسري في الجذع وتمتد إلى أرجاء المملكة. كانت تومض ثم تهدأ، كأنها تنقل نبضًا واحدًا إلى آلاف الأعصان. تمتمتُ: «هكذا تتوزع طاقة الجوهرة... مثير»

عند البوابة كان كلاود وميكا ينتظران. قلتُ: «صباح الخير»

قال كلاود، وفي صوته توترٌ خفيف: «صباح الخير، يزن» وقالت ميكا: «أبي ينتظرنا في السرداب. هيا»

قفز كلاود إلى كتفي: «سننزل للأسفل... تحت الأرض»

نزلنا الدرج، وتحوّلت جدران الشجرة الأم تدريجيًا من خشبٍ دافئٍ إلى حجرٍ أبيض كالرخام، تتخلله الطاقة الخضراء كخيوطٍ مضيئة تحت الجلد. ومع كل درجة كان الهواء يزداد برودةً وثقلًا، كأننا نغوص داخل قلبٍ لا يُسمع له صوت.

عند بابٍ حجريٍّ ضخمٍ قالت ميكا: «وصلنا»

دفعتُ الباب، فابتلعنا سردابٌ كرويٌّ مصمت. أرضه وسقفه وجدرانه حجرٌ أبيض مصقول، كأننا دخلنا قلب صخرةٍ واحدة. وكان زوراي واقفًا في الوسط، ثابت القدمين، كتمثالٍ يعرف أنه سيتحرك بعد لحظة.

انحنيْتُ: «صباح الخير، سمو الملك»

قال: «صباح الخير. آمل أن تكونوا مستعدين»

أجينا معًا: «نعم»

بدأ يشرح بلا مقدمات، كأن الوقت سكينٌ على رقابنا: «التدريب مكثف لضيق الوقت. صباحًا حتى الظهيرة تتدربون معي. بعد الظهر: ميكا مع رومي، وكلاود مع كادي. يزن سيبقى معي. معي سيكون قتالًا جسديًا: اشتباك، تفادي، دفاع» ثم ضاق بصره: «لن أتساهل. سأكون عنيفًا. توخوا الحذر»

سألت ميكا: «هل نهاجم نحن الثلاثة معًا؟»

مسح زوراي لحيته: «نعم. لا وقت لتدريب كل واحدٍ على تخصصه منفردًا. ميكا سحرها الهجومي متوسط وغير متمرسة بكنز حكمة سحر اليكس. كلاود يميل للدفاع ولا يستخدم كنز حكيم القتال بعد. يزن يميل للاشتباك القريب، وفنون الملوك عنده تضاعف الإدراك والسرعة والقوة» ثم قال بصراحةٍ حادة تركت الحجر أبرد: «في الحرب... يزن وحده لديه فرصة»

برد وجهي. شعرتُ كأن العبارة صفعتني لا لأنها مدحٌ، بل لأنها عزلٌ. رأيت ميكا تتصلب، وكلاود يبتلع السؤال قبل أن يخرجها: هل نحن بهذا الضعف؟

قال زوراي: «ضد قوات قائمند... نعم. لكن إن عملتم كرجلٍ واحد ستغيرون ميزان الحرب. ستكونون إضافةً قويةً»

قالت ميكا: «تعني الاندماج العصبي المزدوج؟»

قال كلاود: «إدًا سنكون فريقًا واحدًا... نحن الثلاثة»

ابتسم زوراي، وفي عينيه بريقٌ لا يطمئن: «نعم. على نهج الاندماج العصبي... سنصقل فريقكم»

في اللحظة التالية دوى خلفنا صوتٌ معدنيٌّ ثقيل: كَرَج... انغلق قفل البوابة. ارتجَّ الحجر قليلًا، وكأنَّ السرداب نفسه صدَّق الإغلاق واستقر عليه.

قلتُ، وابتسامَةٌ خوفٍ تشق وجهي رغماً عني: «ذلك الصوت لا يبشر على خير»

اتسعت عينا كلاود، وارتعشت ميكا. والتفتنا إلى زوراي... فوجدناه بوجهٍ مظلم، وابتساميةٍ شرسة، وحضورٍ متعطّشٍ للدم. وفوق رأسه بدأ تاج اليكس يتكوّن، لا كزينة، بل كإعلان حكم.

ضحك: «هذا جيد... جيد جدًا. الآن ابدلوا قصارى لا أقصى جهدكم... وأرجو أن تتمكنوا من تجنب الموت»

اندفع الدم إلى أذني. قلتُ بحدّةٍ قطعت الهواء: «ميكا، كلاود... يجب أن نهرب!»

اندفعت ميكا نحو الباب تصرخ: «أغلقتموه؟ أنا الأميرة ميكا، أمركم بفتح الباب الآن! قلت الآن!» ثم سمعتها تلصق جسدها بالحجر وتصرخ نحو الخارج. كان صوتها يتشقق، يضرب الصخر ويرتد عليها: «أرجوكم افتحوا الباب... سوف نموت!»

لم أرَ ما كان خلف الباب، لكنني عرفتُ لاحقًا حين هدأ الغبار في رأسي، وحين صار للذكرى وقتٌ لتتكلم أن رومي ونردين كانتا تستندان إليه من الخارج، والرعب يأكل وجهيهما.

قالت نردين وهي ترتجف: «ميكا تصرخ... أشعر بالأسى... الملك أمرنا أن نغلق الباب. تعطشه للدماء يملأ المكان... قسوته تدهشني»

وبكت رومي وهي ترفع نظرها إلى السقف، كأنها تطلب من الحجر رحمةً لا يملكها: «لو لم نغلقه سيقتلنا... ميكا، يزن، كلاود... أنا آسفة»



الفصل الخامس عشر

رعبٌ داخل الزنزانة

توارت الشمس عن نهار مملكة اليكس في اللحظة التي انغلق فيها علينا سرداب الشجرة الأم. كنتُ أنا وميكا وكلاود مع الملك زوراي، وما إن صدر أمره حتى التحمت البوابة بصمتٍ حجريّ، فهمتُ المعنى دون شرح: هذا ليس درسًا... هذا امتحان بقاء.

اندفعت ميكا نحو البوابة. ارتجفت أصابعها وهي تتحسّس مواضع الفتح كأنها تتلمّس شقًا في صخرة. تمتمت بغضبٍ مخنوق: «هؤلاء الأغبياء... يتركونا مع أبي بهذا الحال ويسمّونه تدريبيًا؟ هذا شروعٌ في القتل!»

ضحك زوراي بجسده الصغير ونظراته النصفية وكان طافيًا في وسط القاعة البيضاء كشوكية من نورٍ بارد. قال: «يا للأسف... ابنتي تصفني بهذه القسوة. جرحتِ مشاعري يا ميكا» ثم رسم ابتسامَةً واسعة... وتلاشى.

على كتفي الأيمن التصق كلاود كظلٍّ حيّ، وهمس كمن يوقظ سلاحًا نائمًا: «فنون اليكس... اندماج الكيان العصبي... تطرف الظلام»

لم تكد ميكا تطرق الباب ثانية حتى انقَصَّ ظلُّ أسود من الفراغ. صدمتان... ثم انفجار هواءٍ حادّ، كأن القاعة شهقت. واختفت ميكا.

تحرك جسدي قبل عقلي، اندمجتُ بالظلام وقفزتُ لألتقطها، لكن القبضة التي أعقبت ذلك رمثني ثلاثين قدمًا كأنني خرقةٌ مبللة. ارتطمتُ بجدار السرداب يمين البوابة، وتمزق جلدي من وجهي ويدي اليمنى حتى صدري. تدلّى تطرف الظلام حولي كقماشٍ ممزق، فيما كنتُ أضم ميكاً بيدي اليسرى إلى صدري كأنني أخشى أن تُسحب ثانيةً من بين أضلعي.

همست، مبهوتةً فوق كفي: «يزن...»

انزلق زوراي على الأرضية البيضاء من سرعته. كان كيانه العصبي الأزرق في مستوى البشر يلمع حوله، وعلى فمه ابتسامةٌ حاذقة لا تعرف الاعتذار. قال: «جيد. أنقذت ميكاً في هذا الوقت القصير... واستخدمت اندماج الظلام مع كلاود. هذا واعد حقًا»

انفلتت ميكاً من يدي، وارتفعت في الهواء كشرارةٍ متمردة، ثم صرخت: «أبي أيها الأخرق! كدت تقتلني بقبضتك!»

ضحك زوراي: «أسرع تدريب هو صقل غرائز البقاء. تلافى أول الهجمات يبشر بالخير، أليس رائعًا؟» ثم قطب فجأةً، كأن فكرةً لدغته: «لحظة... كيف رأيت سرعتي؟ كنتُ واثقًا أنكم لن تدركوا هجومي إلا بعد الصدمة»

ابتسمت ميكاً بتعالٍ رغم انزعاجها: «كان بطيئًا يا أبي. بعد الاندماج العصبي مع يزن... نستطيع رؤية هجماتك بسهولة»

التفت زوراي إلى كلاود يسأله بعينه.

قال كلاود من خلف عنقي، ببرودٍ يخفي ارتجافاً دقيقةً: «نعم. نراها بوضوح الآن»

سقط صمْتُ ثقيل، كأنّ البياض نفسه صار أثقل. رأيتُ ظلًّا يمرّ على وجه زوراي... ثم ارتسمت تلك الابتسامة التي لا تُطمئن.

دفعْتُ نفسي عن الجدار، ويدي اليمنى ترتجف كغصنٍ مقطوع: «هل كان عليكما استفزازة؟ لقد تجنبْتُ لكمته، ومع ذلك مزقت صدمتها كيان كلاود... وبالكاد تفاديتُ إصابةً بالغة»

ابتلع كلاود خوفه وقال: «أبي هاجم بكل ما لديه. كياني العصبي تمزق من مردود ضغط الرياح فقط... ولا يمكننا الهرب إلى الأبد»

قلتُ وأنا أراقب الفراغ الذي يتنقّل فيه زوراي كأنه يملكه: «إن رفع تواتر القتال بهذه الهجمات... لا فرصة لنا. لكنه يمنحنا لحظاتٍ لنرتّب صفوفنا»

كان زوراي يحدّق بي كأنه يسمع ما وراء صوتي. ولم أحتج تفسيرًا لأفهم: هو ينتظر قرارنا، كصيّادٍ يمنح الفريسة ثانيةً واحدة كي تختار طريقة موتها.

قلتُ بهدوءٍ تعلّمته من الرعب: «ميكا... الاندماج»

حطّت على كتفي الأيسر: «أعلم. لا خيار... الاندماج العصبي، نمط الحكيم»

غمرتني عباءةٍ طاقيةٍ بيضاء فوق نمط الظلام الذي فيّ ومع كلاود، كأن جسدي ارتدى قشرةً أخرى فوق جرحه.

قال زوراي وعيناه تلمعان: «يُزن لديه التسارع العصبي من فنون الملوك، أفهم لماذا أدرك هجومِي. لكنكما، ميكا وكلاود... قلتما إنكما ترون هجماتي بوضوح. هل زاد تسارع إشاراتكما العصبية... بطريقة ما؟»

أجبتُ: «نعم. بعد اندماجهما معي ومع حادثة الجوهرة تعلّمتُ بالفطرة أجسادَهُما وتسارع إشاراتهُما. صارت قراءتُهُما للواقع أدقَّ وأسرع»

تمتم زوراي كمن عثر على لعبةٍ جديدةٍ داخل صندوقٍ قديمٍ: «هذا يشبه ما يحدث للبشر حين يندمجون عصبياً مع اليكس... إذن لا داعي للحفاظ»

وفجأةً غمر السرداب ضغطٌ وجوده؛ الهواء نفسه انكمش، وكأن الرئتين تحتاجان إذناً للتنفّس.

صرخ كلاود على كتفي: «يُزن! ما الذي فعلته؟ جعلته أكثر تصميمًا!»

قالت ميكا بحزم: «لا وقت. اتبها»

لم أجد حتى زمنَ رمشة. قبضته اليمنى من كيان نمط التاج هبطت على وجهي. اعترضتُ بمعصمي الأيسر... فتفتّت نمط الازدواج في جسدي كزجاجٍ رقيق. طرْتُ إلى الجدار ثانيةً، ورأيتُ الظلمة تعلقو وجه زوراي خلف أثر الصدمة، كأن الضربة لم تكن ضربةً جسديّ بل إعلاناً: أنا هنا... وأنتم في قبضتي.

ترنحتُ، وقلْتُ وأنا أبحثُ عنهما بصوتٍ متكسّر: «يدي... ميكا... كلاود، أنتما بخير؟»

لم يُجبني الزمن. انقَصَّ زوراي دون فسحةٍ واحدة، وحاصرنا عند الجدار. لكمةٌ أخرى اندفعت نحو صدري، تجنّبُها بأعجوبةٍ بقفزةٍ جانبيةٍ، ثم اندفعتُ ألتف حول القاعة، أجرّ جسدي لأنتزع مسافةً لا تكفي.

ضحك زوراي بشغفٍ طفوليٍّ قاسٍ: «كدتُ أنسى كم أنت جيد بالهروب... لكن إلى أين ستهربون داخل هذا السرداب؟»

قلتُ وأنا ألَهثُ: «لا خيار... سنواجهه. ميكا، كلاود»

قالت ميكا: «لن نسقط بسهولة»

وأعاد كلاود تشكيل تطرف الظلام تدريجيًا، كأنه يرقّع جلده وسط النار: «حسنًا. لنفعلها. سنريه من نحن»

على أرضية السرداب البيضاء انقَصَّ زوراي بلا رحمة. صدماتٌ متلاحقة، هجماتٌ تُسمَع قبل أن تُرى، واهتزازاتٌ تتسلّق الجدران حتى جذع الشجرة الأم. واستمر ذلك إلى قبيل الظهر، حتى صار التعب طعمًا معدنيًا في فمي، وصار الضوء الأبيض سكينًا يفصح كل ارتعاشة.

وعلمتُ لاحقًا ما كان يحدث في الطوابق العليا، في الغرفة الملكية. كانت الملكة كونزيت مستلقيةً على السرير، ومدام ديميتا قربها، وسهي وهيلي ترتبان الأواني التي كانت ترتجف رجفةً طفيفةً مع كل اهتزاز، كأن القصر نفسه يخاف.

قالت الملكة بتخاطرٍ مضطرب: «ديميتا... أشعر بالاهتزازات. ووجود زوراي يطوّق المنطقة... ما الذي يحدث؟»

أجابت ديميّتا بقلق: «سمو الملك يدرّب الأمير كلاود والأميرة ميكا والسيد الصغير يزن في السرداب»

«تدريب؟ هجماته تصل إلى هنا!»

قالت ديميّتا «ولم تتوقف بعد... وقد حدّد جدولاً للطعام والراحة والجرعات العلاجية، وساعده السيد آيار والقائد رومي»

ابتسمت كونزيت رغم تعبها: «ربما أنضمّ لهم... لدي أسئلة كثيرة ليزن... وربما بعض التجارب»

قطعت ديميّتا عليها بحزم: «ليس قبل انتهاء نقاهتك»

«أنت لثيمة»

«هذا واجبي»

حين حان وقت الراحة وقفت ديميّتا أمام بوابة السرداب مع سهي وهيلي وخادماتٍ يحملن الطعام والمعدات العلاجية. كان المكان ساكناً على نحوٍ يثير الريبة؛ سكونٌ يبدو كخدعة.

همست سهي: «ألم تكن الأصوات تملأ المكان؟»

قالت هيلي بفزع: «لا تقولي إن سمو الملك... قضى عليهم»

تشدّدت ديميتا: «توقفا. زوراي يعرف حدوده... أظن»

ثم قرعت البوابة ثلاثاً: «سمو الملك، حان موعد الراحة»

جاء صوته من الداخل: «ديميتا؟ آه... نعم، تفضلوا»

انفتحت البوابة. وكنا أنا وميكا وكلاود ملقين على الأرض كجثثٍ بالية. رأيتُ وجوه الخادمت
تجمّد، كأن الرعب انتقل إليهن بالعدوى.

أمرت ديميتا: «هيلي، سهي... تحركا. افحصوا الثلاثة فوراً»

قال زوراي، طافياً بهدوءٍ لا يليق بما فعله: «لا تقلقوا. فقط أعمي عليهم من الإرهاق»

قالت سهي بعد فحصٍ سريع: «لا كسور ولا إصابات بالغة على سمو الأميرين»

وأضافت هيلي: «والسيد الصغير يزن كذلك... لكنه مغمى عليه، وعليه كدمات كثيرة»

رمقت ديميتا زوراي بنظرةٍ حادّة: «الإرهاق المفرط قد يقتل أيّصاً. كيف تدرّبهم اليوم وتتركهم
بهذه الحال؟»

تراجع زوراي كطفلٍ صُبط متلبسًا، وتسرّب الذنب إلى صوته على غير عادته: «معك حق...
تحمست قليلًا. أعتذر»

استيقظنا بعد حين. ضمّدت الخادمت الخدوش، وساعدتُ حالما عاد الهواء إلى رئتي في علاج الكدمات بفنون الملوك. ثم نُظمت مائدة الإفطار، وكأن علينا أن نبتلع ما حدث مع اللقمة.

جلستُ أمام الطعام، وميكا إلى جواري، وزوراي قبالتنا. قال كلاود وهو يتحسّس جسده كمن يختبر إن كان ما زال يملكه: «أستطيع أن أشعر بكل عضلة... هذا مؤلم»

قالت ميكا بصوتٍ مرتجف: «كانت تجربة رعب. أبي كان يتصيدنا كوحشٍ مسعور... لا أستطيع الاسترخاء»

قلتُ وأنا أحاول تثبيت يدي كي لا تفضحني: «أجبرت نفسي على تسريع منهجية العلاج وسط قتالٍ متسارع وتفعيل أكثر من ثلاث فنون ملوك لوقتٍ طويل... أشعر أنني لا أستوعب نفسي داخل جسدي»

تبادلت هيلي وسهي همسًا مرعوبًا لم أفهمه تمامًا، لكنني عرفت من ارتباك النظرات أنهما لا تفهمان ما أقول... ولا تريدان أن تفهما.

وضع زوراي طعامه أخيرًا، وقال بجديّة باردة: «لدي ملاحظات... وبالأخص أنت يا كلاود»

شدّ كلاود كتفيه كأن الضربة ستأتي من الكلمات هذه المرة.

قال زوراي: «فائدة اندماجك مع يزن أن تؤمّن حمايةً تتحمل الصدمات، لكنك تفشل غالبًا في صد الهجمات عنه. إن استمر الحال هكذا فلن تكون لك فرصة في الحرب، بل قد تعيق يزن وميكا وتعرضهما للخطر. لا يمكن الاعتماد عليك ضد قائمنا»

وقف كلاود ببطء، عيناه فارغتان وهو ينظر إلى الأرض كأنها ستمنحه جوابًا. قال بصوتٍ متردد:
«تعني... أنني لست مؤهلًا للقتال معهما؟»

أجاب زوراي بلا موارد: «نعم. أنت لست مؤهلًا»

رفع كلاود رأسه فجأةً، وغضبه يلمع كحديدٍ في النار: «أنا واحد من القادة يا أبي!»

قال زوراي بصرامة: «قدراتك ارتقت، وتطرفك الجديد مشجّع... لكنك ضعيف من دون يزن»

قال كلاود وكأن الكلمة انفرست فيه لا في سمعه: «إدًا كل جهودي... بلا معنى؟»

همست ميكا: «كلاود...»

تقدمت مدام ديميتا بهدوءٍ محسوبٍ وقالت: «سمو الأمير، رجاءً اهدأ. لم يُكمل الملك كلامه. وسمو الملك... أرجو ألا تقسو»

أغمض زوراي عينيه لحظة، ثم قال: «أعددنا جدول تدريب لكم. تدريب ميكا ويزن محدد. أما أنت يا كلاود فلم نحدد نوعه بعد؛ لأننا نجهل إمكانات تطرف الظلام. بعد التدريب اليومي ستقابل آيار لتطوير دفاعات كيائك العصبي ودراسة تطرفك وتحديد إمكانات تقدمك»

ابتسم كلاود ابتسامةً حزينة، كأنها محاولةٌ أخيرة لستر انكساره: «إمكانات تقدم... وكيف أعلم إن كانت هناك فنون أخرى لتطرف الظلام؟»

قلتُ بحذر، لأنني شعرتُ أن أي كلمة هنا قد تتحول إلى سكين: «أدركتُ وقت اندماجي العصبي مع كلاود أن تطرف الظلام يختلف بمرونة وجوده الفيزيائي»

سألني زوراي: «مرونة الوجود... ماذا تقصد؟»

قلتُ: «أن يتحكم كلاود في الحركة المنهجية لتطرف الظلام: شكله، حجمه، تكوينه. لست واثقاً من النجاح... لكن يمكننا المحاولة»

ساد صمتٌ معتم، صممتُ كأن أحداً أطفأ فيه المصابيح من الداخل. ثم قال كلاود وهو يرخي قبضتيه ببطء: «(يمكننا)... يزن، أشكرك. لكن هذا طريقٌ عليّ أن أتقدم فيه وحدي، أعتمد على نفسي... سواء نجحت أو فشلت»

لم أجد رداً يليق بكرامته وجرحه معاً، فاكتفيتُ بنظرةٍ ثابتة لا تهرب.

قالت ميكا، مندهشة: «كلاود، يزن لم يقصد سوءاً»

خفض كلاود بصره.

قلتُ أخيرًا: «أنفهم... وأثق أنك ستنجح»

ثم التفتت إلى زوراي: «أبي، سأتوجه إلى السيد آيار فورًا. عن إذنكم»

ابتسم زوراي بفخرٍ لا يخلو من قسوة: «حسنًا... وتذكّر: الأخذ بالنصيحة ليس ضعفًا» ثم نظر إليّ كأنه يقصدني أيضًا.

خرج كلاود بخطواتٍ هادئةٍ ثابتة، يتردد صداها في الجدران. انحنت ديميتا والخادمت احترامًا، كأنهن يودّعن ظلًا أثقل من صاحبه.

ما إن ابتعد حتى انفجرت ميكا غضبًا: «أبي! أكان عليك أن تكون بهذه القسوة؟»

قال زوراي بنظراته النصفية: «عليه أن يجد طريقه. إنه ابني. أليس كذلك يا ديميتا؟»

قالت ديميتا وهي تغمض عينيها: «نعم. كان يفتقر للثقة... والآن أنا موقنة أنه سيصبح ذا شأن» ثم رمته بنظرةٍ عابرةٍ فهمتُ منها أكثر مما قالت، كأنها تضع عليّ جزءًا من المسؤولية دون لفظها.

ضحك زوراي: «لكنه كثير الشكوى... ضيق الأفق وضعيف الخبرة»

تمتمت ميكا: «أبّ جاحد»

التفت إليها زوراي منزعجًا: «وتحدثين بتعالٍ كأنك أفضل منه... حكيمة الذعر ميكا»

ضحكت الخادمت رغماً عنهن. وعلى معصم ميكا الأيسر قهقهه سوار حكيمة اليكس:
«ههههه... حكيمة الذعر! اسم يناسبك حقًا»

ضربته ميكا بغيظ: «اصمت كما كنت دائمًا»

ابتسمتُ رغم الإرهاق. لمحتُ على وجهها احمرارًا بين الغضب والحرج، كأنها تكره أن تُرى
هشاشتها أمامنا.

حلقت ميكا أمام زوراي وقالت: «كيف لا أذعر؟ رغبتك في القتل تطوق المكان. كنت تنوي
قتلنا... لم يكن لدي خيار. أليس كذلك يا يزن؟»

قلتُ بجديّة بلا تزيين: «نعم. لولا تحركي أنا وكلاود لكان الخطر شديدًا»

ارتبكت ميكا، ثم انخفض صوتها كمن يعترف على مضض: «أعلم... أنا ليست لدي الشجاعة
التي تريدونها... أدركتُ أنني لن أصبح شجاعة مثلكما»

ابتسم زوراي: «لم أطلب منك أن تصبحي شجاعة... بل كوني شجاعة، يا ميكا»

قطبت: «هل خرفت؟ ما الفرق؟»

قال ببطء، وكأن كل كلمة حجرٌ يُرَّص في جدارٍ لا يُهدم: «الشجاعة ليست كسبًا... بل مقاومة
مخاوفك باستمرار. مواجهةً بعزم... لنفسك، ولمن تحبين، ولمن تريدين حمايتهم... ولمن هم
خلفك»

سكتت ميكا. رأيتُ صمتها يثقل عليها، كأنها تحصي ما فقدته وما تخاف أن تفقده. كان
وجهها يظلم شيئًا فشيئًا، لا حزنًا فقط، بل إدراكًا.

قال زوراي: «الخوف ليس عيبًا... لكن لا تدعيه يستولي عليك. قد يعمي بصيرتك ويُفقدك
من كان يمكنك إنقاذهم. لديك الشجاعة... فقط ثبتيها. أليس كذلك يا يزن؟»

قلتُ، وأردتُ لكلامي أن يكون سنديًا لا مديحًا: «نعم. شهدتُ شجاعة ميكا مرارًا. واجهتُ
كياني وتفوقت عليه، وكم مرة أنقذتنا بابتساميةٍ في قلب الخطر... ووقت تحرير سمو الملكة،
كانت شجاعة ميكا وكلاود سبب طمأنينتي»

ارتجفت جفون ميكا بالدمع، وقالت وهي تحبس صوتها: «أنا لم...» ثم التفتت إليّ،
وابتسامتك لا أعرف لماذا منحتها خطوةً للأمام. «يزن... شكرًا لك. أنت وأخي ساعدتماني على
مقاومة خوفي... لذا لن أدع الخوف يحتجزني بعد اليوم!»

قال زوراي مباشرةً: «إدًا اسمعي. عليك أن تتقني إدراك حركتك السحرية والتحكم فيها،
لتستطيعي إطلاق السحر بحرية»

سألته ميكا: «إدراك حركتي السحرية؟ التحكم فيها؟ ماذا تقصد؟»

قلتُ دون أن أشعر، لأن العبارة خرجت من ذاكرة أقدم من اللحظة: «أتقني قراءة منهجية نفسك... وأدركيها جيدًا»

التفت زوراي بدهشة: «يزن... هذه العبارة...»

تنبهت وتلعنمت: «عذرًا. هذا ما كانت تقوله لي سيدتي حين أتدرب على الفنون المنسية: "أتقن قراءة حركة منهجية جسدك وإدراكها جيدًا، فهي أساس فنون الملوك." لم أقصد المقاطعة»

قالت ميكا: «وهل يشمل ذلك السحر يا يزن؟»

وضعتُ يدي على فكي، وغصتُ في ما عرفته في الاختبار، وفي ما لم أجرؤ على تسميته آنذاك: «الحركة السحرية في أصلها أوامر من الحركة المنهجية داخل الإشارات العصبية، تحدد نوع تطرف السحر لكتابة الواقع. إن أدركت حجم وسرعة ونوعية حركتك السحرية وتحكمت بها... تستطيعين إطلاق سحرٍ متعدد التسارع والتطرفات والمستويات»

سكنت ميكا لحظة، ثم لمعت عيناها: «أظنني فهمت...»

ابتسم زوراي ابتساماً داكنة: «جيد. فكري في ذلك واعلمي به. والآن، حتى لا تتأخري: توجهي إلى القائد رومي في الغابة الجنوبية. ستباشر تدريبك شخصيًا»

قالت ميكا بحماس: «حسنًا. أبي... يزن... شكراً. عن إذنتكم»

وحلّقت خارج بوابة السرداب، سريعةً كعادتها، كأنها تهرب من خوفها إلى تدريبها.

مر بعض الوقت. جمعت الخاديات الأواني وخرجن، وبقيتُ وحدي في القاعة، والبياض حولي يفضح كل تعب. كان زوراي يرتّب ملابسه كأن شيئاً لم يحدث؛ كأن أجسادنا التي انكسرت قليلاً ليست جزءاً من حسابه.

قلْتُ بتردد، وأنا أزن الكلمات كمن يزن حبلاً قبل أن يعلّق نفسه: «سمو الملك... أليس عليّ أن أتدرب مع أحد، مثل ميكا وكلاود؟»

تحقق من حدائه، ثم رفع رأسه مبتسماً بوجهٍ مظلم: «عن ماذا تتحدث؟ بالطبع لديك»

برد الدم في عروقي: «هل... سموك؟»

(كرج) انغلقت بوابة السرداب خلفي.

تحول زوراي إلى نمط التاج، وابتسامته هذه المرة «طيبة» على نحوٍ مخيف: «أنت بارع في إثارة شغف الصبية في نفسي يا يزن. قررتُ أنا أيضًا أن أتقن صناعتك بالتدريب... كالعادة، عليك فقط تجنب الموت»

ابتسمتُ بيأسٍ خفيف، كأنني أساوم الرعب بابتسامة: «معلمي... لست واثقاً من رؤية الغد»

انقضّ.

قلتُ وأنا أتراجع: «لست مستعدًا!»

ومن خلف البوابة ارتفعت اهتزازات الصدمات وهجمات زوراي العنيفة من جديد، ووجوده المرعب يطوق المكان كحلقةٍ تضيق.

كانت سهي ونردين خارج الباب، ووجهاهما شاحبان كأوراقٍ نُزعت منها الحياة.

قالت نردين والدموع معلقة في جفونها: «لماذا علينا نحن أن نغلق البوابة على السيد الصغير؟»

ارتجفت سهي: «مدام ديميتا... لقد أوقعت بنا... سيدي الصغير، نحن آسفون...»



الفصل السادس عشر

التخاذل والاستسلام أم العزيمة والتقدّم

في أقصى الشمال، عند تخوم غابات مملكة اليكس، كانت الرياح الموسمية الجافة تمشط السهول المزروعة بالبراعم حتى آخر البصر، ثم تهدأ حين تنفذ بين البلوط والعرعر، محملة برائحة باردة تُصيب الصدر كدواءٍ صامت. ذلك الصباح كما رواه لي كلاود لاحقًا، وكما أثبتته في سجلاتي حمل نشازًا واحدًا في هذا الصفاء: وجهٌ يابس من اليأس، وخطى كأن الأرض تسحبها، وكلمات زوراي القاسية تقضم كبريائه لقمةً لقمة.

قادته قدماه إلى مركز البحوث والسجلات، المشيّد على برج الحماية السادس عند الحدّ الشمالي. عند البوابة كانت حارستان بدروع فضية، والرماح في قبضتيهما لامعة كحدّ بارد. اعترضتاه.

قال كلاود وهو يضبط صوته كي لا يفضحه: «أنا الأمير كلاود. جئت لمقابلة السيد آيار»

تبادلت الحارستان نظرةً سريعة، ثم قالت إحداهما بترددٍ رسمي: «عفوًا سمو الأمير... علينا أخذ موافقة السيد آيار قبل إدخال أي أحد»

وقف كما هو. صمّتٌ قصير، محرج، يفضح المسافة بين لقيٍّ كبيرٍ وقلبٍ مثقل. قال: «أوليس عليكم إبلاغه بقدمي؟»

أجابت الأولى بسرعةٍ وكأنها تلتقط نجاة: «بلى سموك... فوراً» وأشارت للأخرى.

قبل أن تتحركا، تلعثمت الحارسة لِمس، كأن الخوف شدّ لسانها من جذره. لمح كلاود ارتباكها هكذا قال لي فأمال رأسه قليلاً: «ماذا هناك؟ هل أنت بخير؟»

انحنى لِمس، وعيناها مثبتتان في الأرض: «أنا المقاتلة رقيب أول لِمس... أستأذن بحرية الكلام، سيدي»

«تفضّلي»

خرج اعترافها متكسراً، كأنها تمشي فوق زجاج: «أنا ورؤن... كنا نراك تتدرب وحدك في الغابة الجنوبية. سخرنا... لأنك لم تُفعل السحر، ولأنك...» ولم تُكمل، واكتفت بإيماءةٍ خاطفةٍ إلى كتفيه الخاليين من الأجنحة.

تقدّمت رُون بخجلٍ ظاهر، كما لو أن الدرع أثقلها فجأة: «سمو الأمير... نريد أن نعتذر. اليك. أرجوك أن تسامحنا»

ابتسم كلاود ابتسامةً باهتة، كأنها سقطت على وجهه لا خرجت منه: «لا عليكم... حتى أنا لم أوّمن أن جهدي سيغيّر شيئاً»

اشتعلت لِمس وغلبها الانفعال، فاندفعت الكلمات منها بلا زينة: «كيف تقول هذا؟ مواجعتك أنت والبشري يزن ضد سمو الملك كانت مدهشة. وإنقاذك سمو الأميرة ميكا من هجوم الملك زوراي... والفوز بلقب القائد وتحريم سمو الملكة... أليس هذا من اجتهادك؟»

هبط صوت كلاود كحجرٍ في بئر: «نعم... لكن الفضل الأكبر ليزن. لم يتغيّر شيء في»

قالت رُون بإصرارٍ أهدأ، كمن يضع يده على كتفٍ مرتجف: «هذا غير صحيح. نحن بل معشر
البيكس شهدنا نتيجتك أنت. لا أفهم لِمَ تضعف ثقتك بنفسك... لكنك تستحق لقبك. نحن
فخورون بك»

شدّ قبضته، كأنها تمنع شيئاً داخله من التفتّت. ومَرّت في عينيه جملة لم يقلها إلا لنفسه،
وقد عرفتها من طريقة سكوته أكثر مما عرفتها من لفظه: (أنا... لست أهلاً...)

فجأه استقامتاً ووقفهً عسكرية. ارتدّ الصوت عند البوابة كأنه وعدّ مكتوب على معدن: «أنا
رقيب أول لِمس» «أنا رقيب أول رُون» ثم قالتا معاً: «نعاهد سمو الأمير كلاود أن نتكفّل
بحمايتك بقبضتنا وبأرواحنا منذ اليوم. أرجوك اعتنِ بنا، سيدي»

ارتبك كلاود كما وصف لي كمن لم يتوقّع أن يُصدّقه أحدٌ إلى هذا الحد. رفع رأسه أخيراً، ووجد
للصوت طريقاً: «لست أهلاً لهذه الثقة... لكنني سأفعل ما بوسعي لأكون جديراً بها، ولو كلفني
ذلك نفسي. شكراً لكما... اعتمد عليكما»

قفزتا فرحاً، ثم تداركت رُون نفسها، وتسلّل إلى نبرتها تردّد طفولي: «طلبٌ آخر، سمو الأمير...
هل يمكنني الحصول على توقيعك؟»

همست لِمس: «وأنا... أنا أيضاً، سموك»

«إن كان يرضيكما» ووقع على درعيهما.

ثم تذكّر سبب قدومه، وسأل: «هل سمح السيد آيار بدخولي؟»

أجابت رُون وقد احمرّ وجهها: «آه... نعم، سمو الأمير. تفضّل»

دخل كلاود. القاعة واحدة، لكنّها مقسّمة إلى أربعة أركان: معدات، أدوات، وسجلات تاريخية متراكمة كأنها ذاكرة صلبة لها رائحة الورق العتيق والحديد. في الوسط كان آيار ومساعدته سلوى يعملان على دمية معدنية بحجم البشر في منطقة الاختبار؛ معدن مصقول، مفاصله تئنّ حين تُحرّك، وصمت المكان يقطّعه احتكاك الأدوات وخربشة القلم.

لاحظت سلوى دخوله، فمسحت فوضى شعرها وثوبها المتسخ على عجل، وانحنت: «سمو الأمير كلاود، مرحبًا بك»

قال كلاود: «آنسة سلوى... سيد آيار، كيف حالكما؟ آسف على التأخير»

لم يرفع آيار رأسه إلا بعد لحظة، كأنه يُنهي فكرة قبل أن يستقبل وجهًا: «لا بأس. حضرت في الوقت المناسب» ثم ترك الدمية وقال مباشرةً: «لنبدأ بفحص كيانك العصبي. قف هنا»

وقف كلاود على منصة الفحص وفعل فتّهُ: «فنون اليكس... الكيان العصبي... تطرف الظلام»

في لمح البصر كما أكد آيار تكوّن كيانٌ عصبي بمستوى البشر: سوادٌ كثيف كدخانٍ بلا مصدر،
وعينان ذهبيتان متوهجتان كشريرٍ محبوبس. أضاءت المنصة بياضًا خافتًا، وسلوى تكتب
قراءات اللوحة بلا أن ترمش.

قالت مذهولة: «أستاذ آيار... لا توجد قراءة للحركة السحرية. فقط حركة منهجية... وموجات
أثير مماثلة للجوهرة»

دار آيار حول الكيان، يلمسه ويفحصه بعينٍ جائعة للبرهان: «تطرف الظلام... يتكوّن في لمح
البصر، بلا حركة سحرية... ومستقرٌّ كأنه جسد حي. مثير»

تردّد كلاود: «سيد آيار؟»

قال آيار بحدّة عملية لا تخلو من حرارة العالم: «سلوى، البيانات. والآن يا كلاود، أخبرني كيف
حدث هذا... كيف استخدمت تطرف الظلام فجأة؟»

وروى له ما بيني وبينه تلك الحافة التي دفعته إليها ثم التقطته قبل السقوط، لم أستطع أن
أعفي نفسي من ثقلها: بعض الإنقاذ يكون عنيفًا لأن الوقت لا يرحم.

ابتسم آيار، واشتعلت عيناه: «إن لم أراه أمامي لما صدّقت. أن تستخدم الحركة المنهجية على
أسس الحركة السحرية لتحريك تطرفك الممجي... هذه قمة الجنون»

لكن كلاود لم يبتسم. قال بمرارة جافة، كأنها تجرح لسانه: «دون سحر... ما فائدة كل هذا إن
لم أستطع تفعيل كنز مقاتل اليكس؟ جهدي مضيعة وقت»

سقط صمّتٌ قصير. سلوى تراقبه كما لو أنها تقيس انكساره، وآيار يفتّش عن كلمة لا تُسكته بل تُقيمه.

قال آيار بهدوءٍ حاسم: «الوقت والمؤهلات ليست المهمة. ما أنجزته بجهدك هو النتيجة»

قال كلاود وهو يقبض يده: «لكن... أنا ضعيف»

ارتسمت الجديدة على وجه آيار: «لديك عادة سيئة، تُغلق آفاقك قبل أن ترى. ذلك الفتى... يزن... فتح أمامك آفاقًا بلا حدود: هجين بين تطرف الظلام وفنون الملوك. يُقلّ آخر من أُنقال قوى العالم... صار بين يديك أنت»

سأل كلاود بدهشة صادقة: «أُنقال قوى العالم؟»

أغمض آيار عينيه: «ليس هذا ما يقلقك الآن. قد لا تتمكن من تفعيل كنز المقاتل... الأمر كله عائد إليك. التخاذل والاستسلام... أم العزيمة والتقدّم؟ خيارك»

هنا وهذا ما يسعدني ويؤلمني معًا تذكّر كلاود كلماتي كما قلتها، لا كواعظٍ من بعيد، بل كمن يضع يدًا على كتفٍ من الداخل: (تمسك بضعفك بإرادة وعزم... لا تُبعد نظرك عنه، تعلّم منه واجعله قوة). رفع عينيه وقال: «سيد آيار... ماذا عليّ أن أفعل؟»

ابتسم آيار ابتسامةً غريبة، فيها شيءٌ من السخرية وشيءٌ من الاعتراف: «مثل زوراي تمامًا... حقًا إنك ابنه»

«حقاً؟»

«ربما» ثم أشار إلى الدمية: «قبل كل شيء... حرّك هذه. صُممت على نظام دائرة الاندماج العصبي مع البشر؛ من الطبيعي أن تطيعك»

تبدّل وجه سلوى: دهشة صامتة كمن يرى نتيجة قبل التجربة.

صعد كلاود، وضع يده عند عنق الدمية: «حسناً... فنون اليكس، الاندماج العصبي»

لمع الذهب في عروقي ممتدة من يديه عبر جسد الدمية لثانيتين... ثم انقطع كل شيء، كأن التيار سُحب من تحت العالم.

قال كلاود وهو يلهث: «ثقيلة... لم أستطع تحريكها»

تمتمت سلوى: «مستحيل...»

رمقها آيار بنظرةٍ تأمر بالصمت، ثم قال لكلاود: «لا نستطيع متابعة التدريب ما لم تتحرك بحرية. ابذل جهداً أكبر»

ابتسم كلاود ابتسامة تحدّ مُرهق: «إذن هذه خطوتي الأولى... هاتها»

حاول مرارًا بلا توقف حتى حل المساء. وفي النهاية كان ممددًا على ظهر الدمية بلا قميص، عرقه يلمع على جلده كزيتٍ مالح، وأنفاسه تتكسّر: «ثلاث ثوانٍ فقط... مثير للشفقة»

بينما انشغل آيار وسلوى بقلب السجلات القديمة، قالت سلوى وهي تتبع صفحات فائمنند: «في موضوع كنز حكيم قتال اليكس... المشكلة ليست اختيار سمو الأمير حاملًا له، بل الحركة السحرية كأساس. لكن أتباع فائمنند يستخدمون تطرف الظلام من قوى تاج فائمنند الأسود ويُفعلون الكنوز... هل لديهم تطرفات سحرية مصاحبة؟ ما الذي يفوتنا؟»

قال آيار وهو يفكّر، والورق يهمس تحت أصابعه: «ربما الحركة المنهجية للسحر... أو أن وجود تطرف الظلام الفيزيائي ليس كوجود التطرفات الأخرى، فلا يوقظ الكنز بالطريقة نفسها»

هنا تذكّر كلاود شيئًا، وقال بصوتٍ شبه منقطع، كأنه يخرج من قاع التعب: «لحظة... يزن قال إنني أستطيع التحكم في مرونة الوجود الفيزيائي لتطرف الظلام إن تحكمت في الحركة المنهجية له»

استدار آيار فجأة: «قال هذا حقًا؟»

«نعم»

أضاءت الفكرة وجه سلوى: «إذن كما استنتجت... حركة سمو الأمير المنهجية ضعيفة. إن قوّاها، تحكّم بمرونة تطرف الظلام، وربما أمكن تفعيل سوار حكيم قتال اليكس»

هزّ آيار رأسه ببطء: «ربما. لكن زيادة زمن استخدام الحركة المطلوبة... ثانية واحدة فقط، والوقت ضيق. لن نصل لهدفنا في الموعد»

كان ذلك كافيًا ليكسر كلاود. نهض كأن الألم يرفعه لا يقيمه، ثم ضرب الدمية بقبضته حتى دوى الصوت في القاعة المعدنية: «تَبًّا... طريق مسدود آخر! أنا ضعيف... لا أستطيع تحريك دمية؟ جيش قائم على بعد ثلاثة أيام... ولا أقدر أن أحميهم حتى من ضربة واحدة من أبي! حتى لو صرت قويًا... لا وقت. أنا فاشل... لست أهلاً لأقف معهما... ميكا ويزن»

قال آيار دون أن يرفع صوته، كمن يضع الحقيقة على الطاولة: «بدل التخبط في اليأس... نحتاج طريقة لاستمرار الحركة المنهجية لتحريك الدمية ساعة على الأقل. تكوين كيائك العصبي أسرع من أي حركة سحرية شهدتها في حياتي هذه فضيلة لديك لكن ثلاث ثوانٍ لا تقربنا»

عصّ كلاود على أسنانه: «ثلاث ثوانٍ... كيف أجعلها ساعة؟» ثم عاد صوتي في ذاكرته، بإصراره القديم (تمسك بضعفك بإرادة وعزم... لا تُبعد نظرك عنه، تعلّم منه واجعله قوة). سكت لحظة، واتسعت عيناه كأن باباً فُتح: «... ربما. استمرارية الثلاث ثوانٍ... لساعة»

رفعت سلوى رأسها: «سمو الأمير؟»

نهض كلاود ببطء. وقف عند عنق الدمية، وضع يديه عليها. قال وكان صوته هذه المرة أصلب مما تحيلت أنه يملك يومًا: «إن كان ضعفي ثلاث ثوانٍ... سأجعل هذه الثواني كافية. فنون اليكس... الاندماج العصبي»

توهجت الدمية ثلاث ثوانٍ... ثم أعاد: «الاندماج العصبي» ثم الثالثة ورابعة، بإيقاع ثابت، كأنه يطرز الاستمرار من ثقب الانقطاع. بدأت النبضات المنهجية تنتشر على جسد الدمية كإشاراتٍ تتعاقب، وتتراكم، وتستقيم. شيئاً فشيئاً، نهضت الدمية حتى وقفت.

فتحت سلوى فمها: «مستحيل...»

صرخ آيار، وفي صرخته فرح عالم رأى قانوناً يولد أمامه: «كيف فعلتها؟ لقد تجاوزت الستّ ثوانٍ!»

قال كلاود وهو يمسك السيطرة من خلف العنق، وابتسامه صغيرة تلمع وسط التعب: «ببساطة... أكرّر إشارات الاندماج كل ثلاث ثوانٍ، وأجعلها تتناغم لاستمرارية الحركة المنهجية»

قال آيار بسرعة وهو يستوعب: «إذن سددت عجز الاستمرار بتكرار التفعيل... سرعة اندماجك الساحقة صنعت لك فرصة بقاء الاندماج... مدهش»

بدأ كلاود يمشي بالدمية داخل منطقة الاختبار، بحرية تتسع خطوةً بعد خطوة. وحين سرد عليّ ذلك، قال إن قلبه كان يقرع مع كل نبضة، وإنه سمع عبارتي كأنها تُقال الآن: (كالعادة... أول الخطوات).

هتفت سلوى وهي تحسب: «خمس وخمسون ثانية... ستون ثانية! سيدي آيار!»

تكوّن كيان آيار العصبي القرمزي بمستوى البشر، واستعد للقتال: «كلاود... لا تفقد تركيزك. لتواجه. استعد وتفاذ هجماتي»

ابتسم كلاود: «لك ذلك، سيد آيار»

انقض آيار بقبضاتٍ وركلاتٍ خاطفة. تفادى كلاود بعضها، وتلقّى بعضها الآخر. كان يسقط داخل الدمية ولا يسقط معها؛ يتعلّم جسده الإيقاع الجديد، ويشدّ الإشارات كل ثلاث ثوانٍ كمن يشدّ النفس كي لا ينقطع.

بعد وقتٍ طويل، قال كلاود وأنفاسه تعلو: «أشعر أنني لا أستوعب نفسي»

قال آيار، وفي ابتسامته نبرةً ضغيطٍ أكبر: «سلوى... كم مرّ؟»

صاحت سلوى بفرحٍ يكاد يبكي: «ثمانٍ وأربعون دقيقة، سيدي! ولا يزال يتحرك بحرية!»

قبض كلاود يده: «... نعم. نجحت!»

قال آيار بوجهٍ جاد، ثم ابتسم كمن يسكب تحديًا جديدًا: «لم تكمل الساعة بعد. أم تفضّل أن تهزم أمام عجزٍ هرم؟»

رد كلاود بحماسةٍ صادق: «لا أرى هذا مواجهةً مقارنةً بهجمات أبي القاتلة. ثم... هل تراني ملقى على الأرض؟ هيا»

وظل كلاود وآيار يتواجهان حتى حل منتصف الليل.

وفوق مملكة اليكس، كان بدرٌ كامل يرسل خيوطًا بيضاء دقيقة تغلف الشجرة الأم التوأم
وسقوف الشمال الهادئة. النجوم مزدانة كأنها لا تعلم شيئًا عمّا كان يحدث في سرداب
الشجرة، حيث كان يأنس قديم يتحوّل بالعرق والنبض والتكرار إلى خطوة لا تتراجع.



الفصل السابع عشر

مستويات السحر وفنون إطلاقه

شمس الظهيرة كانت تتسرّب بين أوراق غابة البُكس الغربية كخيوطٍ حادّة، يلمع ثم ينطفئ مع اهتزاز الأعصان. وميكا كانت ترفرف فوق الظلال المتداخلة، تتبع رائحة الملح حتى بلغت حافة الأشجار؛ حيث ينفث الأفق دفعة واحدة على ماءٍ زمرديّ عريض، يلمس الشاطئ ثم يرتدّ عنه كأنّه يتنفس.

راحت تنادي وهي تدور قرب الضفاف: «أين ذهبتي يا رومي؟»

وبين الأشجار لمحت أوتادًا خشبية سميكة، مغروسة في الأرض كأطرافٍ مبتورة. في وسط كل وتد شقٌّ يجعل نصفه العلوي يتدلّى مع أيّ رجّة. كانت مبعثرة بلا نظام، نصفها معلّم بالأحمر ونصفها بالأزرق أهداف تدريب، لا أكثر.

التفتت ميكا يمينًا ويسارًا، ثم صاحت: «رومي؟»

جاءها صوت رومي من فوق الشاطئ، ثم هبطت قبالتها بخفةٍ محسوبة: «ميكا، أنا هنا. تبدين مفعمة بالحياة... هل أتممت تدريبك مع سموّ الملك؟»

تركت ميكا ذراعيها تتدليان كمن نجا لتوّه من ممرٍّ ضيقٍ: «كانت... تجربة رعب حقيقية»

رمقتها رومي بنصف ابتسامة: «فرصة لسموّ الملك ليصبح مسعورًا»

اندفعت ميكا، الكلمات تسبق أنفاسها: «هذا ما قلته لهم! كان يستمتع وهو يتصيّدنا في زنزانة مغلقة. لولا يزن وكلاود لانتهى أمري من البداية... لكننا بخير، شكرًا لديميتا»

ضحكت رومي ضحكة قصيرة، كأنها تقطع بها توترًا قديمًا: «كنتُ موقنة أنني لن أراك اليوم. هيا... تدريب السحر. الوقت يداهمننا»

أشارت ميكا إلى الأوتاد: «أصيب هذه الأهداف؟»

قالت رومي: «نعم، لكن أولًا أريد رؤية إمكانات نمط الحكيمة في إطلاق السحر... خصوصًا النمط الذي فعّلته في الاختبار. ما فعلته لم يكن مجرد "حدث"، بل بدا لي "قتالًا"، ودمجت بين إطلاق الانتشار والإصابة معًا»

حدّقت ميكا ببراءة فارغة: «رومي... عمّ تتحدثين؟»

وضعت رومي كفّها على ناصيتها، وابتسمت ابتسامة قصيرة قبل أن تتجهم: «كما توقعت... أنتِ حمقاء!»

شهقت ميكا: «لم تقولي لي حمقاء من قبل! رومي أنتِ الحمقاء!»

قالت رومي بحدّة تكاد تُسمَع فيها خشونة التدريب: «كيف لحكيمة سحر اليكس ألا تعرف أساسيات مستويات السحر؟ ألم تدرسي؟ ديميتا ستغضب إن علمت»

نفتخ ميكا خديها: «أعلم أنها تعبر عن حجم الهدف... أو شيء كذلك»

حدّقت رومي فيها ببرودٍ خاطف، ثم قالت كمن يقطع الطريق على أي عبث: «شرح سريع.

هذا مهم في الحرب. هناك ثمانية مستويات لتنشيط السحر:

مستوى حدث استهداف فرد واحد.

مستوى قتال استهداف مجموعة.

مستوى عملية استهداف مجموعات مختلفة في وقت واحد.

ثم مستوى تكتيكي استهداف منشأة، كقلعة.

ثم استراتيجي استهداف منشآت تؤثر في نتيجة حرب... والباقي...»

تمتت ميكا وهي تستوعب، كأنها ترتّب العالم في رأسها من جديد: «إذًا هي تصنيفات

للأهداف بحسب أثر السحر ومداه»

«صحيح. وفي اختبار القادة استخدمت مستوى قتال، قبل أن تتعلمي السيطرة عليه. لذلك

أريد التأكد من نمطك الجديد»

رفعت ميكا إصبعًا بحذر: «لكّنتك ذكرت خمسة مستويات فقط»

انخفض صوت رومي: «أنا شهدتُ حتى الرابع التكتيكي ولا أحب الحديث عما بعده. أعدّ

الثلاثة الأخيرة خرافة... حتى بين حملة تيجان العرش» ثم رفعت عينيها إلى ميكا وأضافت:

«والمذهل أن سموّ الملكة كونزيت تستطيع تنشيط سحر تكتيكي وحدها»

تشنّجت ميكا بفرحٍ مصدوم: «أمي... تهدم قلعة وحدها؟»

ابتسمت رومي بفخر: «نعم. لذلك تخشى أمم كثيرة مملكة اليكس»

قبضت ميكا يدها حتى لمع البريق في عينيها، وضربت سوار الحكيمة على معصمها: «حان وقت العمل أيها السوار! سنطلق الكثير من السحر اليوم»

جاءها صوت السوار في تخاطرٍ غاضب: «توقفي عن ضربي، أشعر بالإهانة... حكيمة الذعر ميكا أقصد سيديتي»

ابتسمت ميكا ابتسامة باردة: «ربما أزيّن بك أحد رفوف غرفتي»

«مرعب...» تمتم السوار.

همست رومي كأنها لا تريد لميكا أن تسمع: «هل فقدت عقلها؟» ثم قالت بصوتٍ مسموع: «ميكا، كوني نمط الحكيمة الذي ظهر لحظة قتالك مع كياني زوراي في الاختبار»

هزّت ميكا رأسها: «الذي يطلق السحر بسرعة؟ حاضر. فنون اليكس... الكيان العصبي... نمط الحكيمة المستوى الثاني»

ومن جسدها الصغير تشكّل كيانٌ أبيض بمستوى بشر؛ عباءة من طاقةٍ تشبه الريش حين يلمعه الضوء، وعلى معصمه الأيمن سلاحٌ سحري يلمع كحدّ سريع.

قالت رومي: «جيد... عن قرب يبدو أسطوريًا» ثم أشارت إلى الأوتاد: «التدريب كالاتي: خمسون وتدًا أحمر لي، وخمسون أزرق لك. تدافعين عن نفسك وعن أوتادك الزرقاء، وتهاجميني وتهاجمين الأوتاد الحمراء. وأنا أفعل الشيء نفسه. الفائز من يُسقط أكثر»

تمت ميكا في نمطها الثاني: «أيّ عليّ صدّ هجماتك، وحماية الزرق، وضربك وضرب الأحمر... في آنٍ واحد؟»

وتكوّن لرومي كيان عصبي أزرق بمستوى بشر، وقالت: «تمامًا. لكن مهم نستخدم سحر مستوى حدث فقط. لك حرية الحركة بين الغابة والشاطئ. هذه القوانين... استعدّي»

شدّت ميكا وقففتها: «مستوى حدث... إصابات فردية. فهمت. أنا مستعدة»

قالت رومي: «انطلاق»

ثم بدأت المطاردة تحت شمسٍ مفتوحة. ظلّ الأشجار يقطع الضوء إلى ومضات، والهواء يصفرّ بين الأعصان مع كل قفزة. عدوّ سريع بين جذوعٍ عالية، كيان رومي الأزرق يسبق بخطوة، وكيان ميكا الأبيض يوازيه كنبضٍ مضاد.

قالت رومي وهي تهاجم: «تجاريني في العدو...» ثم رفعت يدها: «سيف الهواء!» واستهدفت ميكا.

دارت ميكا لتنفادي، وردّت من معصمها: «أنا مرهقة حقًا، ولم تستطعي لمسي بعد! لقد ارتقيت يا رومي» ثم أطلقت: «قذيفة الجليد!»

انزلقت رومي على العشب مبتسمة، وشقّت الهواء بكفّها: «سيف الرياح» فتكسّرت القذيفة في مهبّ حاد، كزجاجٍ انطحن قبل أن يلامس الأرض. وأضافت بلا رحمة: «لم لا تسألين... من خلفك؟»

التفتت ميكا، لتجد وتدًا قد انشطر وسقط نصفه العلوي: «خلفي؟ رومي أيتها الماكرة! هذا هدف واحد فقط!»

هدأت ملامح رومي فجأة، كأنها أطفأت المزاح بقرار: «هدف واحد؟ ألا تدركين أن هذه الأوتاد هم حلفاؤك؟»

قالت ميكا بارتباكٍ صريح: «رومي... هذا مجرد هدف. لا بأس إن سقط واحد»

اقتربت رومي خطوة، وصارت الكلمات أثقل من وقع القدم على الرمل: «وماذا لو كان هذا "الهدف" أحد جنودنا... معارفنا... أصدقاءنا... أنا... كلاود... أو حتى سموّ الملكة؟ إن أصيب أحدهم بسبب عدم اكتراثك... هل يرضيك ذلك؟»

تجمّدت ميكا: «لم أقصد...»

«أعلم» قالتها رومي بصرامةٍ أصفى من الريح. «لكن احفريها في ذهنك. الحرب فظيعة، وكل شيء يحدث بسرعة. تحت الهجمات المتتالية خصوصًا في اندفاع الجيش وتراجعته تقع معظم الخسائر. هنا يأتي دور سحر مستوى حدث: خط الدفاع الأول للهجوم المضاد، قبل الدفاع السحري الذي يأخذ وقتًا»

ابتلعت ميكا الدرس، كمن يتلعق ماءً باردًا وهو يلهث: «إدًا... عليّ أن أمنع الهجمات قبل حدوثها»

ابتسمت رومي أخيرًا: «بالضبط. وأنت تمتلكين دقة عالية حتى على مستوى المملكة، والآن أصبحت الأسرع في إطلاق السحر. إن تدريب بجد... ستفوقين على الجميع»

شدت ميكا نفسها: «شكرًا رومي. سأبذل جهدي. لنستمر»

وعاد الرنين: رياحٌ وجليد، صدٌّ وهجوم، وشظايا تتطاير بين الأشجار كأن الغابة نفسها تتعلم الصمود.

وفي الوقت الذي كانت ميكا تتعلم معنى «هدف واحد»، كانت الملكة كونزيت كما روت ديميتا تستعيد وعيها في الغرفة الملكية قرب الشجرة الأم. ثلاث خادمت يحيطن بها، وديميتا تفحص إشارات العصبية وحركتها السحرية، كمن يعدّ نبض العالم لا نبض امرأة.

قالت ديميتا، وقد انفرج وجهها أخيرًا: «سموّ الملكة، الإشارات العصبية جيدة، والحركة السحرية أيضًا. تعود حيويتك بسرعة»

فتحت كونزيت عينيها كمن خرج من حجرٍ بارد: «قلت لك إنني بخير. ميكا وكلاود ويزن... أحسنوا صنعًا بإنقاذي»

اضطرب صوت ديميتا لحظة ثم تماكنت نفسها: «نعم... كل الفضل لهم. ميكا وكلاود... والسيد الصغير»

استقامت كونزيت على الفراش، وابتسمت ابتسامة يغلفها حزنٌ قديم: «مدهشون... أليس كذلك؟ كنتُ قد فقدت بصيص الأمل... داخل ذلك الحجر»

ضمّتها ديميتا إلى صدرها، كأنها تحمل عنها ثقل الرعب والنجاة معًا. هدأت كونزيت، وبلّلت دموعَ معصميتها. حتى الخادمت لم يملكن إلا أن يمسحن أعينهن في صمت، خائفات من أن يسمع الجدار دموعهن.

قالت كونزيت وهي تمسك يد ديميتا: «أنا شاكرة لك... شكرًا لكنّ جميعًا»

ثم أضافت، وقد عاد العمل إلى نبرتها: «أحضري ملابسك يا ديميتا. سأذهب لأرى كيف يبلي زوراي ويزن في تدريباتهما. حان وقت العمل»

«كما تأمرين سيدتي»

حلّ المساء على مملكة البكس. وكنّت في السرداب تحت الشجرة الأم، حيث الهواء نفسه يتكسّر من فرط الصدمات؛ كأن الجدران تتلقى ضرباتٍ غير مرئية وتردّها على صدري. خارج البوابة كانت سهى ونردين تحرسان كما علمت لاحقًا وقد أنهكهما ضغط وجود زوراي في نمط التاج؛ ضغطٌ يُثقل الرأس ويجعل القلب يخطئ الإيقاع.

سمعتُ سهى تضحك ضحكةً مرتجفة: «ههه... نردين، دواخلي تهتز. لا أستطيع التحمل أكثر»

لم تجب نردين؛ كانت تستند إلى الجدار كمن يحتمي به من ارتدادٍ يوشك أن يكسر عظامه.

ثم جاء صوت خطوات، وسكتت الصدمات لحظة، كأن المكان ابتلع أنفاسه احترامًا. عبرت كونزيت ومعها ديميتا. قالت ديميتا بصرامةٍ واحدة: «أحم»

انتفضت الخادمتان وانحنيتا: «سموّ الملكة!»

سألت كونزيت بنبرة أمّ لا تخلو من قيادة: «سهى، نردين... هل كُلفتما مراقبة السرداب؟ تبدوان شاحبتين. هل أنتما بخير؟»

«نعم سموّ الملكة... بأفضل حال»

قالت ديميتا: «أنا من كُلفتهما. فهما الأكثر اهتمامًا بالسيد الصغير» ثم ضيّقت نظراتها: «ونحن مدينون له. احرصا على حسن معاملته، لا التريص به. مفهوم؟»

انحنتا بسرعة: «نعم سيدتي!»

ابتسمت كونزيت وهي تغطي فمها: «ديميتا... حان وقت راحتهم»

أومأت ديميتا: «سهى، نردين... افتحا البوابة»

انفتح الباب، ودخل الهواء البارد كأنه يفضح ما جرى داخله. كان زوراي يطفو في وسط القاعة بنمط التاج، وأما أنا فكنت ملقى على الأرض، أتنفس كمن يبتلع سكاكين؛ كل شهيق يجرح، وكل زفير يترك في صدري طعم معدن.

رأيت كونزيت تعبر، فالتفت زوراي فوراً، وتلاشى نمط التاج عنه تدريجيًا وهو يقترب منها: «كونزيت! هل أنتِ بخير الآن؟»

قالت بهدوء: «بأفضل حال. كيف تجري تدريبات يزن؟»

دفعْتُ جسدي عن الأرض، واستندت إلى ركبتي، وانحنيت: «سموّ الملكة»

قالت بسرعة تمنعني من الاستعراض الفارغ: «يزن، استرح. لا تتحفظ على أدبك معي. يبدو أن زوراي كان قاسيًا... وأنا مندهشة أنك تحملت قسوة تدريباته»

قدّمت سهي ونردين ماءً ومنشفةً لي ولزوراي. شكرتُهما بصوتٍ مبحوح، ثم تركتُ الماء يبرد على لساني كأنه يُطفئ شررًا.

قلت للملكة، وأنا أحاول أن أجعل الألم جملة مفهومة: «سموّ الملكة، أشكرك على حسن استضافتك. بفضل تدريبات سموّ الملك على هجمات تواتر سريعة... بدأت أتأقلم مع قراءات الوقت والفضاء، وسلاسة تفعيل فنون الملوك. كنت أفقد نفسي مع الوقت أحيانًا»

ضحكت كونزيت بخفة: «كلماتك دقيقة لدرجة تُربك الجميع. أفهمك لأنني أعرف حركة المناهج... وأعرف ما يشعر به مستخدم فنون الملوك» ثم أضافت كمن يفتح باب ذاكرة لا يراه سواها: «رافقتُ جوهرة اليكس طويلًا»

قال زوراي، وفي صوته شيء من اعترافٍ متأخر: «لقد فهمت ما يقول بعد أن حاول شرحه لي عدة مرات. أشعر بالعار كحامل تاج حين أستمع إلى شرحه لفنون الملوك»

تمتمتُ: «عفواً سمو الملك»

قهقه زوراي، وضحكت كونزيت بهدوء. وشعرتُ بالخجل يطفو فوق إرهاقي مثل طبقة رقيقة لا تنفعني ولا أقدر على نزعها.

اقتربت كونزيت مني، وعيناها تلمعان بفضولٍ طفولي وخبرة ملكية معًا: «حتى وإن كنت مستخدم فنون ملوك... اتصالك بالجواهر وتجاوبها معك والتحكم فيها... كيف تفعل ذلك؟»

لم أجد جوابًا سريعًا. الكلمات كانت تتأخر عن عضلاتي دائمًا، كأن جسدي يسبق لغتي بخطوة.

قاطع زوراي بصرامة: «كونزيت، أعلم أنك متحمسة، لكن لا وقت لذلك»

رفعت كونزيت يدها كمن يضع قرارًا على الطاولة: «ولهذا قررت الانضمام إليكم. سأساعد في تدريب ميكا ويزن. لدي فكرة لتدريبهما على إطلاق السحر بطريقتي الخاصة... ولا نقاش»

تنهّد زوراي: «حسنًا. سأترك لك تدريبات إطلاق السحر. لكن كيف؟»

قالت كونزيت: «أنت تدرب يزن على قتالات تواتر سريع، صحيح؟»

«صحيح. قدرة تحمّله وقوته وسرعته تنمو بسرعة ملحوظة... لكن تنقصه البراعة في التلاعب بقدراته لقلّة خبرته في القتال»

هزّت كونزيت رأسها: «إدّا لم تُسرّع كل شيء عليه؟ لن يتعلم إن صار كل شيء أسرع من فهمه»

قال زوراي، كأنه يبهر قسوته بحقيقة لا مفر منها: «ليزن قدرة عجيبة... يقرأ لغة الجسد ويكسبها خبرة من أول لمحة»

رمقته كونزيت: «ماذا تعني؟»

قلتُ، وأنا أستعيد كيف كانت الضربة تأتي قبل أن يكتمل وعيي بها: «باستخدام قراءات الوقت والفضاء... أدرك منهجية الحركة العضلية ولغة جسد الملك زوراي تحت قتال تواتر سريع» وارتعش بدني رغم سكوني. «كان مستحيلًا في البداية... كانت مسألة حياة أو موت»

قالت كونزيت بإعجابٍ صريح: «تكسب خبرة من لغة جسد خصمك... مدهش. حتى من جسدك الصغير يا زوراي؟»

رد زوراي بنظرة نصفية: «ليس شيئًا يُذكر مقارنة بقراءته مناهج جوهرة اليكس والتعديل فيها»

ازددتُ حرجًا، كأن اسمي صار أثقل مما أحتمل.

سكتت كونزيت لحظة تفكر، ثم قالت: «صحيح... وهو يتقن الاندماج العصبي. ماذا لو اندمج معي عصبيًا؟ ألن يتعلم إطلاق السحر بفكرٍ أدق وأسرع؟»

تبدلت نظرة زوراي إلى اهتمامٍ حاد: «مثير. سيكسب خبرة في السحر في لا وقت إن نجح»

قلتُ بصدقٍ لا يجمل: «يمكنني... لكن سيكون صعبًا تحت وطأة قتال تواتر سريع»

رفعت كونزيت حاجبًا، ثم ألفت نظرةً جانبيةً إلى زوراي: «كنت أعني في أوقات تدريب السحر... لكن فات الأوان على قول ذلك»

رأيت وجه زوراي يظلم بابتسامةٍ تعرف طريقها إلى الكارثة. وتكوّن التاج فوق رأسه من جديد: «لم تقل مستحيلًا، أليس كذلك؟ فلنباشر. ديميتا... أغلقي البوابة»

شهقتُ: «آه... لحظة»

انحنت ديميتا خلف الباب احترامًا، وأغلقتة بهدوءٍ يناقض ما سيأتي.

قلتُ، والهلع يحاول أن يصير منطقتي: «لحظة سموك... جسدي في حدود تحمّله...»

طفا زوراي في مستوى نظري، وصوته لا يعرف الشفقة حين يظنها ترفاً: «يزن، علينا تحطيم... أعني تجاوز حدودك. التدريب الاعتيادي لم يعد مفيداً لك»

ومن خلف عنقي جاء صوت كونزيت، دافئاً وحماسياً كالسيف: «لا تقلق يا يزن... أنا معك» ثم ضحكت: «لنُطلق عليك الكثير من السحر»

وجدتُ نفسي أبتسم ابتسامةً مثيرة للشفقة، لا لأنني شجاع، بل لأنني محاصر: «تحطيم... حدودي...» ثم ابتلعتُ باقي الضحكة وقلت في داخلي ما لم أجروُ على قوله بصوتٍ عالٍ: (معلمتي غفلن... أظنني لن أعيش طويلاً. وقعتُ فريسة بين المطرقة والسندان).

وعندما أُحکم إغلاق بوابة السرداب، عادت الصدمات أعنف، تعزف على أوتار الخوف من جديد، واهتزَّ الهواء حولنا كأن الليل نفسه يتراجع خطوة.



الفصل الثامن عشر

بحر الأثير والسحر الخارق

كان النهار خريفياً مثقلاً بالغيوم. نسيماً رطب ينسلّ بين أشجار غابة اليكس الشرقية، يحمل رائحة وردٍ بعيد، ويجرّ أوراقاً مصفرةً تتساقط عند بوابة الشجرة الأمّ التوأم الحديدية، الضخمة كصدر حصن.

خرجتُ من السرداب بعد تدريب الملك زوراي كمن ينجو من اشتباكٍ طويل. ثيابي ممزقة، والغبار عالق بوجهي وراحتي. توقّف الصغار والكبار من كان يطير ومَن يمشي في دهشةٍ واحدة؛ ليس لهيئتي وحدها، بل لأن الملكة كونزيت كانت جالسة فوق رأسي، تلوّح لهم كأننا في موكب.

مشيتُ ببطءٍ متعمّد عبر ممرّات باحة الشجرة الأمّ، وهي تبتسم وتوزّع التحايا. حين ابتلعنا ظلّ الغابة، برد الهواء قليلاً، وصار الطريق إلى الضفة الجنوبية أكثر همساً.

قالت وهي تتفحّص المكان من عليّ: «البيئة تحسّنت كثيراً. ديميتا أخبرتني أن نظام الدفاع السحري للأبراج انتعش خلال يومين... الجوهرة لم تمنح هذا القدر من الدعم من قبل.»

أزحمتُ غصناً عن وجهي وقلت: «دُهلتُ أيضاً. لم أتخيّل أن يبلغ أثرها هذا الحد.»

رَبّتت على رأسي. كان امتنانها أدفاً من النسيم: «كلّه بفضلك. شكراً لك، يزن.»

قلتُ: «يسعدني أنني استطعتُ المساعدة».

ترددت لحظة، ثم خفّضت صوتها: «يزن... هل لي بمعروف؟ مرّ وقت طويل منذ خرجتُ. أريد أن أشعر بنسيم الغابة كما كان. إن لم تمانع... اعدّ بي».

ضحكتُ: «بكل سرور، سموّ الملكة. تمسّكي جيّدًا».

قهقهت كطفلة أفلتت من قفص: «هيا، انطلق!»

عدوتُ. تكسّرت خطواتي بين الظلال، والهواء يشقّ صدري ويفتح لي ممرًا. قبضت كونزيت على خصلات شعري وأغمضت عينيها، لم تقل شيئًا، لكن ارتجاف أصابعها اعترف بانتظارٍ طويل.

قرب الشاطئ، التقط بصري ومضتين تتقاطعان بين أشجار الضفة: أبيض وأزرق سماوي، كشررٍ حيّ يتناوش.

تمتمتُ: «ميكا ورومي... مندمجتان في التدريب».

ضحكت كونزيت: «الحماس يعميهما. لم تلاحظا وجودنا».

كانت ميكا في كيانها العصبي نمط الحكمة الثاني تنزلق ثم تقفز بحدة، بينما رومي تراوغ ببرودة، تقيس المسافات بأعصابها. صاحت ميكا وهي ترسل قذيفة جليد: «لن توقعي بي بعد الآن، رومي!»

ردّت رومي وهي تُبطلها بقذيفتين: «لنرّ إن كان بوسعك ردّها!»

تفتّت البرد في الهواء، لمع ثم ذاب. تقدّمتُ نحوهما. حلّقت كونزيت ووقفت بينهما: «أحسنتما. ميكا، صدّ ممتاز».

تلاشى كيان ميكا، واقتربت بعينين لامعتين: «أمي! ويزن؟ ما الذي أتى بكما؟»

هبطت رومي وانحنت: «سموك، سعدتُ برؤيتك بخير».

قالت كونزيت: «شكرًا يا رومي. لا رسمية هنا. سأفرغ لتدريب ميكا ويزن على إطلاق السحر. مسؤوليات السيد أدهم تتفاقم».

أجابت رومي بانحناء أعمق: «سأتولى مساعدته بنفسه. عن إذنكم».

حلّقت مبتعدة. بقينا بين الأشجار، وحولنا دمي مورّعة على مسافات، واقفة في صمتٍ يشبه صمت الجنود قبل الانقضاء.

سألت كونزيت: «تتدرّبان على سحر الإصابة؟»

قالت ميكا: «نعم. رماية ومناورات هجومية».

أشرتُ إلى الدمى: «تميز الحلفاء من الأعداء وسط الفوضى؟»

جلست ميكا على إحداها: «السرعة تقتل الخطأ».

اقتربت كونزيت: «إذا لم تتدربي على السحر الخارق بعد».

تنهدت ميكا: «أجيد سحر الانتشار. لكن رومي شددت على الإصابة مع اندفاع الجيش».

عادت كونزيت وجلست فوق رأسي: «إلى الشاطئ. اليوم نبدأ مبادئ السحر الخارق».

قادتنا ميكا إلى جرفٍ صخري يطلّ على البحر. هبطتُ إلى الرمل. السماء غائمة تحجب قرص الشمس، فتسقط ظلالٌ باردة على موجٍ هادئ يتنفس ببطء. رائحة ملح، وصوت خفيف لاحتكاك الماء بالحجارة.

قالت كونزيت قرب الماء: «أحب البحر. يهدئ رأسي».

دارت ميكا حولها: «بذكري بطفولتنا هنا مع ديميتا وكلاود».

ابتسمتُ: «لا أستطيع تخيلك أصغر مما أنت عليه».

غطت كونزيت ابتسامتها: «تقصد أنها ما تزال طفلة؟»

ارتفعت ميكا بغیظٍ مرح: «لستُ أنا من يُنادونه "السيد الصغير"!»

ضحكنا. ثم قالت كونزيت بحزم لطيف: «حان وقت التدريب».

نظرت إليّ نظرة تعرف ما تحت الجلد: «أعلم حدودكما. تزامنتُ معك أمس، يا يزن. موهبتك في نسخ الحركة السحرية واضحة... لكنك لا تستطيع جمع فنون الملوك والحركة السحرية في آن».

قلتُ: «كلُّ منهما يلغي الآخر. زوراي لم ينتبه... وكدتُ أدفع الثمن».

قالت ميكا بنبرة جانبية: «أبي يتحمس وينسى الحساب».

رفعت كونزيت إبهامها: «فكرة. ميكا تقدّمت في كنز الحكيمة، وأنت ارتقيت في قتال التواتر السريع. بتزامنكما العصبي يمكن سدّ الثغرات. هدفنا أن تبلغ ميكا المستوى الثالث هجمات السحر الخارق».

حدّقت ميكا: «ثالث؟ ظننتها مستويين».

قالت كونزيت بهدوءٍ أعمق: «الثالث يحتاج إدراك بحر الأثير... أن تشعري بموجاته وتتحكّمي بها. سنوات من التدريب».

شهقت ميكا: «الاعتماد على الأثير بدل حركتي؟ مستحيل!»

ابتسمت كونزيت: «اليوم. دون المستوى الثالث لن تبلغا الحرية في المستويات العليا».

اشتعل وجه ميكا: «هذا سحر خارق... ليس لعبة».

قالت كونزيت بنبرة تعرف موضع الجرح: «أدرك ذلك، يا ابنتي».

ظلّ الاسم يرنّ في داخلي: بحر الأثير. بابّ قديم أمرّ بجانبه ولا أدخله.

قالت كونزيت: «خطة بسيطة. يزن يساعدك على إدراك الأثير عبر التزامن. عانيتُ طويلًا لأشعر به، ومع ذلك كنتُ الأقرب إليه بفضل الجوهرة... لكن ترابط يزن بالأثير فاجأني».

قلتُ: «فنون الملوك قراءة الوقت والفضاء تتبع أثر المناهج عبر الأثير كوسط».

حدّقت: «لم أدرك أن القراءة تمرّ عبر الأثير...».

تمتمت ميكا: «يزن يتكلم وكأنه كتاب».

قلتُ: «أنا أستعين بالأثير دائمًا. لذلك ترابطي به أساسي».

سألت كونزيت: «هل ترسل أوامر عبره؟»

قلتُ: «قليلاً. تخاطر وبعض الفنون».

قالت: «إدًا تزامنا أولًا. شاركها قراءتك».

أغمضتُ عينيّ. صعدت حواسي كمن يصعد درجًا طويلًا. انقلب العالم إلى خيوط ذهبية متعددة الأبعاد: جذور، أغصان، تماسك الرمل، مدّ الموج، الريح وهي تلامس جلدي ثم تنفلت. لكل شيء منهجٌ وحركة.

سمعتُ أنفاس ميكا تتسارع: «يا إلهي... أرى نفسي على خريطة!»

قالت كونزيت: «يستحيل أن تُرى المناهج»

ثم دخلت الرؤية معنا، وشهقت: «ما هذا!»

قلتُ: «هذا ما أقرأه».

قالت وهي تحدّق: «تناغم... دقة... كل شيء يسير بقانونه».

قاطعتها ميكا: «أمي، دعينا نكمل».

تنحنت كونزيت وجلست على كتفي: «أين بحر الأثير؟»

قلتُ: «ليس بعد. الأثير يعتمد تسارعًا عصبيًا أعلى. سأزيده. مستعدة؟»

قالت ميكا: «نعم. وأمي، كفاك فضولاً».

ابتسمت كونزيت: «أريد رؤيته أيضاً».

غيّرتُ نبضي. انطفأت الخيوط. دخلنا فراغاً داكناً، ثم ظهرت نقوش فضية متذبذبة، وفقاعات نور باهت تمتدّ بعيداً، تتداخل بتردداتٍ مختلفة. كأن السماء تُصفرّ من الداخل.

همست ميكا: «جميل... يدغدغ جلدي».

سكنت كونزيت: «لم أتخيل أن أراه».

تخاطرتُ لها: «شكراً».

سألت: «ما مصدر حركة الفقاعات؟»

نظرتُ نحو الجبال الغربية: «الجبال تشحن الأثير عبر الزمن. لذلك الفقاعات العملاقة. كنوز العرش وحجارة الحقيقة تستمدّ منه».

اتسعت الرؤية. رأينا الأثير يتدفّق نحو الشجرة الأم كجداولٍ تنصبّ في مجرى واحد.

قالت ميكا: «يتجمع هناك!»

قالت كونزيت: «مصدر طاقة الجواهر...».

شدّت ميكا نفسها: «ماذا أفعل الآن؟»

قالت كونزيت، وقد استعادت تركيزها: «احفظي الشعور. الآن اربطي وعيك ببحر الأثير. يزن، توقّف عن القراءة».

قلتُ، والإرهاق يثقل جفوني: «حسنًا. نمط الحكمة أعانني».

ضحكت ميكا: «لا شكر».

قالت كونزيت: «ميكا، اتبعي تعليماتي».

توهّج سوارها. تشكّلت عصيّ الحكمة. أمسكناها وغرستُها في الرمل؛ اندفعت موجة رملٍ حولي.

قالت كونزيت: «الأول للدعم، الثاني للرماية. الآن الثالث».

قالت ميكا: «كيف؟»

قالت: «يا يزن، ناسق إشارتها مع إشارتك».

ضبطتُ تسارعي حتى شعرتُ بها في داخلي نبض واحد.

ضحكت بارتباك: «كأن جسدي صار أوسع».

قالت كونزيت: «عاملي جسد يزن كجسدك. اجمعي الأثير حوله كما تجمعين الحركة السحرية».

قالت ميكا: «أحوّله إلى حركة سحرية؟»

قالت: «أحسنّت».

تكاثف الأثير حولي، انضغط داخل العباءة البيضاء، وتحول إلى حركة سحرية متوهجة تتصاعد طبقةً بعد طبقة. صار الهواء معدناً يُطرق.

قلتُ: «هذا كمّ هائل!»

تنهّدت ميكا: «هل نجحت؟»

قالت كونزيت، وفي صوتها فخر: «نجحت. هذا المستوى الثالث».

قالت ميكا: «والآن؟»

قالت كونزيت: «يزن، أصب تلك الصخرة».

رفعتُ يدي نحو صخرةٍ وسط الماء: «تطرّف الجليد».

تكوّنت كتلة جليد بحجم بوصتين، ثم انطلقت. دوّت الرمال خلفي، شقّت الهواء، وثقبت الصخرة. فهمتُ: الأثير هو الدافع الخفي.

قالت ميكا: «قذيفة صغيرة... بهذه القوة؟»

قالت كونزيت: «الآن السحر الخارق. هدف أبعد.»

اندمجت معنا، وأرشدتني إلى صخرةٍ على مسافة بعيدة في عرض البحر.

قالت: «لا تُنشئ السحر حولك. أرسله عبر الأثير إلى الهدف.»

مددتُ يدي. أطلقتُ الحركة السحرية. اشتعل خط ضوء في الأثير، أصاب الصخرة بانفجارٍ واسع. تجمّد الماء حولها، وتكشّرت الأصوات كزجاج، وامتدّ الجليد دائرةً هائلة.

قالت كونزيت: «هكذا يكون الهجوم التكتيكي. وهذه نسخة مصغرة.»

تلاشى نمط الحكيمة. سقطتُ على الرمل. صدري يصعد ويهبط، وطعم الملح في فمي.

قلتُ: «استنزفتُ كل شيء... ميكا؟»

جاءني صوتها متعبًا: «نسخة مصغرة؟ لا أستطيع تحريك جسدي.»

حلّقت كونزيت فوقنا، والبريق في عينيها: «قريبًا ستفجّران القلاع معًا».

تمدّدتُ، والعالم بيتعدّ كمدّ ينحسر. تمتمّتُ: «آمل ألا نحتاج لذلك».

انطفأ بصري ببطء. لم أرَ السحب وهي تساق شمالاً فوق الغابة نحو «هضاب بلاترا». لكنني أعلم الآن كان جيش دائرة الملوك يتقدّم.



الفصل التاسع عشر

سيف وعهد

علمتُ لاحقاً أنّ جيش «دائرة الملوك» كان قد زحف نصف يوم من «مدينة عقبي» إلى «هضاب بلاترا» الرملية: ألفان وثلاثمائة جندي من البشر، يتقدّمهم على ظهر الفرس نارد دومنيك، حكيم القتال وحامل كنز الرمح، وإلى جواره هيلدا أركاديوس حكيمة سحر البشر، وعلى كتفه الأيمن من اليكس القائد بريل لورميان، يجرّهم بثباتٍ نحو الحدود الشرقية لمملكة اليكس.

قال نارد: «قائد بريل... لا بدّ أنّ الملك زوراي مصيب بشأن قدوم فانمند»

أجابه بريل: «سمو الملك واثق أنّ الملك فانمند سيأتي بنفسه. لذلك طلبكم من دائرة الملوك، وقدم طلب أيضاً ממملكة الإلف... قال إنها قد تكون فرصتنا الأخيرة»

قال نارد: «فعل ذلك؟ وهو يعلم أنّ ملكة الوهم لا تتحرّك عادة إلا لمصلحة مملكتها»

قالت هيلدا: «زوراي لا يعبث. وهو يعرف كم نتوقّع ثأرنا من فانمند»

وأضاف بريل: «سنبلغ الحدود اليوم ونستريح. مملكة اليكس تتكفّل بالمؤن والعلاج»

وقبض نارد على رمحه كأنه يخنق ناراً تتلوّى في كفه: «لم يبقَ إلا مهمّتنا... ثأرنا من فانمند»

حلّ المساء على مملكة اليكس. كانت النجوم تُحكّ أطرافها بقمة غابة اليكس الجنوبية حين خرجتُ أنا وميكا، وأمامنا الملكة كونزيت تحلّق بحقّة يفصحها التعب. مشينا في الفنونات بين بيوت اليكس الصغيرة؛ خشبٌ منخفض يتنفّس، ونوافذٌ دافئة كعيونٍ تراقب. حتى لاحت الشجرة الأمّ التوأم؛ قلب المملكة الذي لا ينام.

هناك كان الجنود في كياناتهم العصبية بمستوى البشر يكّدسون صناديق الطعام، وبراميل الماء، وجرعات العلاج على عرباتٍ خشبية تئنّ تحت الحمولة، تجرّها طيور فلاتس ضخمة. كان الهواء مشبعًا برائحة الخشب الرطب، وبشيءٍ حادّ من الأعشاب المُقطّرة. رأيتُ السيد كادي ومساعدته والقائدة سهى وسط ضجيجٍ منظم؛ أوامر قصيرة، وقع أقدام، واحتكاك حبال.

وما إن اقتربت الملكة حتى انحنى الجميع دفعةً واحدة، كأنّ المكان انطوى لها.

قال كادي: «سمو الملكة... أسعدتِ مساءنا بحضورك وبصحةٍ جيّدة»

قالت كونزيت، بلا التفاف: «شكرًا يا كادي. واصلوا»

انتظرتُ حتى هدأ الإيقاع قليلًا، ثم سألتُه: «كيف تسير الترتيبات؟»

قال: «بسلاسة، مولاتي. شارفنا على الانتهاء من مؤن جيش التحالف... والقائدة رومي أكّدت استعداد فيلق المشاة والرماة والإسعافات وعتادهم»

قالت كونزيت: «جيّد. أقم للجنود مأدبةً لائقة الليلة»

انحنى: «سمعًا وطاعة»

لم أطق الوقوف متفرّجًا. مددتُ يدي إلى الصناديق والبراميل أحملها مع الجنود، فالتفتوا إليّ بعيونٍ واسعة، كأنّي أربك ميزانًا قديمًا اعتادوه. سمعتُ ميكا تهمس وهي تحلّق قرب كونزيت: «كيف يحمل كل هذا بسهولة... بعد كل ذلك التدريب؟»

اقترب مني كادي وفي وجهه قلبي لا يريد له أن يظهر: «سيد يزن، أرجوك لا تشغل بالك بهذه الأعمال»

قلتُ وأنا أرفع برميلًا آخر، والمعدن يلسع كفي ببرودته: «ليس جهدًا كبيرًا. ولم يبقَ إلا القليل»

تردّد كادي، وارتدّ بنظره إلى الملكة، فضحكت كونزيت وهي تغطي فمها، ضحكةً قصيرة تُخفف ثقل الليل: «اتركه... هذه طريقته في مدّ اليد للجنود»

حلّقت ميكا إلى جانبي وقالت، متصنّعة الاستسلام: «هاه... لا تدع لي خيارًا»

تمتم كادي، كمن خسر معركةً صغيرة: «سمو الأميرة أيضًا؟»

وضعت ميكا كيانها العصبي (مستوى البشر) وساعدتني. وما إن فعلت حتى اشتعل حماس الجنود، وانقلبت النظرات إلى عمليّ أسرع، وانهينا سريعًا كأننا نلحق بوقتٍ يفترّ منا.

بعد ساعةٍ، وقفتُ عند آخر عربةٍ. كانت ميكا فوق رأسي، والقائدة سهى تمرّر يدها على سجلّ الحمولة وتراجع. قالت: «بهذا الكم ستتحرك طيور الفلاتس بحرية»

وقبل أن أردّ، تقدّم فلاتس ضخّم وحدّق فيّ بعينين دائريتين كالقمرين. اقترب، شمّني بنفيس ساخن، ثم نقر رأسي بمنقاره نقرًا أجوف... وبعدها كأنّه اتخذ قراره راح يلحق وجهي حتى غمرتني اللعاب.

قلتُ وأنا أمسح وجهي وعنقي، محاولاً أن أستعيد صوتي: «توقّف... قه... هلا توقفت عن لعقي!»

قهقهت ميكا: «تعلّق بك! هل ظنّك أحد فراخه؟»

ضحكت سهى: «نادراً ما يتعلقون بشخص... هذا لطيف»

سألته ميكا: «هل انتهت التجهيزات؟»

قالت سهى: «لم يبقَ إلا التقرير. شكراً لمساعدتكم... والآن إلى النوم. وأنت يا يزن... استحمّ أولاً»

قالت ميكا بضحكةٍ مشاكسة: «أو نمّ مع الفلاتس الليلة»

لم أقل شيئاً. كان الفلاتس يجيب عني بنقرةٍ أخرى، كأنه يوقّع رأيه.

عدتُ إلى القاعة الكبرى. استحمتُ، وما إن شرعتُ أرتدي ثيابي حتى استأذنت مدام ديميتا بالدخول، ومعها خادمتان تحملان طعامًا خفيًا. كان بخار الماء ما يزال عاليًا في جلدي، ورائحة الصابون تتداخل مع رائحة الخشب.

قالت ديميتا مبتسمة: «عن الإذن، سيدي الصغير»

قلتُ وأنا أشدُّ رباطي: «مدام ديميتا... عذرًا لأنني أثقل عليكم في هذه الظروف»

قالت: «لا تقلق. أخذت كل الاحتياطات لبعثة الجيش»

وضعت الخادمتان الأواني على فراشٍ قريبٍ من الأرض، وانحنيتا ثم تراجعتا في صمتٍ مدرب. سألتُ ديميتا وأنا أبدأ الأكل: «سينطلق الجيش غدًا، أليس كذلك؟»

قالت: «في فجر الغد. عبر الغابة الشرقية إلى حدودها مع وادي السديم. لينضم إلى جيش تحالف دائرة الملوك القادم من سناء»

قلتُ: «دائرة الملوك... جيش التحالف الذي كان تحت قيادة الملك ديفود ميراي؟»

قالت: «نعم. تحالف تحت دولة سناء المحايدة لحفظ النظام بين الدول، ومواجهة اعتداءات حملة كنوز العرش والوحوش النادرة، واستكشاف الحضارة القديمة... والآن يقوده نارد دومنيك وهلدا أركاديوس»

وقبل أن أُعلّق، دخل الملك زوراي محلّقًا. خلفه الأمير كلاود يمشي، وعلى جسده كدمات تدريبٍ طازجة، لونها بين أزرقٍ قاتمٍ وأحمرٍ يابس، كأن جسده يكتب يومه على جلده.

قال زوراي: «ليس تصنيف الاعتداءات وحده سبب تحرّك دائرة الملوك... نارد وهلدا يريدان إيقاف قائمنا لأسبابٍ شخصية»

نهضتُ وانحنيتُ، وانحنت ديميتا. قلتُ: «سمو الملك... الأمير كلاود... أسعدتم مساءً»

اقترب كلاود بخطوات ثابتة، لكن في عينيه تعبٌ لا يخطئه أحد: «يزن... مضى يوم، أليس كذلك؟»

قلتُ مبتسمًا: «ويبدو أن تدريباتك مع السيد آيار قاسية»

ابتسم ابتسامَةً قصيرة، ثم انطفأت عيناه للحظة كأنهما تعبتا من التظاهر: «يزن... أعتذر عن برودتي وقتها. أنا مدين لك بكل ما أنا عليه. أرجوك سامحني»

قلتُ: «لا اعتذار بيننا يا كلاود. كنتُ واثقًا أنك ستتجاوز محنتك... وأراك الآن أقوى»

ضحك بخجل: «هل هذا واضح؟ شكرًا»

جلس زوراي إلى المائدة، وبنبرةٍ يريد بها أن يختصر الطريق: «اجلسا. ديميتا... شرابٌ قليل»

حكيتُ أنا وكلاود شيئاً من تدريباتنا مع كونزيت وآبار. كان زوراي يضحك معنا، لكن قلقاً رقيقاً كان يمرّ تحت ابتسامته مثل ظلّ سحابةٍ لا تريد أن تُرى.

ثم قال فجأةً، بجِدّةٍ مهدّبةٍ: «يزن... قررتُ أن أوليكم أنت وميكا وكلاود الدفاع عن المملكة تحت قيادة كونزيت في غيابي. وقد أخبرتهما»

تجمّدتُ لحظة. «ماذا؟ ولكن...» ابتلعتُ اعتراضاً كان سيخرج ناراً، ثم أجبرتُ نفسي على الهدوء: «عدّراً يا سموالملك... لقد عزمْتُ القتال ضد قائمنا»

رفع زوراي يده كمن يوقف موجة: «أدرك مشاعرك لثأر معلمتك غفلن... لكن ذلك كان اختيارها»

هبطتُ على ركيّةٍ واحدة. قبضتُ اليسرى على الأرض كأنني أثبتتُ بها جسدي كي لا يهتزّ صوتي: «سموك... اسمح لي بمرافقتك. ليس الثأر ما أسعى إليه. أنا... أريد أن أحمي من أحسنوا إليّ: أنت وسمو الملكة، ميكا وكلاود، رومي ومدام ديميتا... ومملكة البكس التي احتضنتني. واجبي أن أكون أول الحاضرين وقت الشدائد. هذا أقلّ ما أقدمه»

رأيتُ الدمع يلمع في عيني ديميتا. خلفها تبدّل نفّس الخادمت، كأنهن تذكّرن فجأةً أن الحرب تُؤخذ من البيوت لا من الخرائط. كلاود ظلّ يحدّق بي كأنه يسمعي للمرة الأولى.

اقترب زوراي، وصوته صار أخفّ، أخطر: «لهذا بالذات أطلب منك البقاء. أثق بك وبقوتك... فأنتمك على كونزيت وميكا وكلاود. أعرف أنه طمعٌ مني، لكن هذا طلبتي»

ظللْتُ على ركبتي. تردَّدتُ، ثم خرجت الكلمة كعهدٍ لا رجعة فيه: «أقبل طلبك يا سموالملك، سأتولى حمايتهم... ولو كلفني ذلك حياتي»

همس كلاود، كأنه خاف أن يوقظ ما قيل: «يزن...»

أشار زوراي إلى ديميتا: «هذه الملابس نُسجت من بذور ثمار الشجرة الأم وصُنعت بأيدي أمهر حرفيينا. هدية متواضعة» ثم مدَّ يده بقلادة: «وهذه... أودّ تسليمها لك بنفسِي»

التقطتُ القلادة، وبمجرد أن لامست جلدي عادت وخزةً قديمة، كأن شيئًا في داخلي تذكّر قبل عقلي: «هذا... جزء من حجر الحقيقة!»

قال زوراي: «غفلن أردتني أن أفدّمه لك، لكن لم أجد وقتًا مناسبًا... اعذرنِي»

ضممتُها إلى صدري. لم أحتج خطبةً لأقول ما أعجز عنه: «شكرًا... هذا يعني لي الكثير»

وقف زوراي عند الباب، ورفع يده كمن يسلم الليل أمره: «إن حدث لي شيء، أخبرتُ كونزيت أن تتولى أمركم عني. يزن وكلاود... أنتما أخوة. تشاورا واحميا ظهر بعضكما. هذه وصيتي... إلى اللقاء»

خرج. انحنينا خلفه، وانحنت ديميتا والخادمت: «رافقتك السلامة، سمو الملك»

في تلك الليلة نفسها كما روت لي كونزيت لاحقًا دخل زوراي غرفتهما الملكية داخل الشجرة الأمّ التوأم. كان القمر بدرًا يسكب فضته على النوافذ، كأن الضوء نفسه يفتش عمّا سيُقال.

قالت كونزيت وهي تمسك كتابًا: «زوراي... ديميتا أبلغتني بإتمام الترتيبات. شكرًا على عملك
الدؤوب»

قال وهو يبذل ملابسه: «لولا عودة طاقة الجوهرة، لكان يومًا عسيرًا»

قالت مبتسمة: «إدارة كادي وتنسيق رومي كل شيء ممكن»

قال: «كافئهم بعد الحرب»

قطعت عليه بصرامة رقيقة: «تقصد... نكافئهم»

تهرّب من عينيها: «اعذريني... لا أتق أنّ لي وقتًا لأقولها»

ارتفع صوتها بالرجاء: «لا تقل ذلك! مع دائرة الملوك... مع هيلدا ونارد ستقمعون فأنمند. حتى
أنا أستطيع الانضمام إليك»

ابتسم زوراي: «لا يمكننا ترك المملكة سويًا... لقد جلب الحرب إلى أرضنا، وحن وقت أن
أضع حدًا له... مع صديقي، فأنمند»

مع الصباح خرج جيش اليكس عبر الغابة الشرقية المطلّة على وادي السديم. مشاةً في
كياناتهم العصبية، وآخرون يحلقون قرب طيور الفلاتس وهي تجرّ عربات المؤن. كان جناح
يخفق هنا، وصوت عجلةٍ يحتكّ بجذرٍ هناك، وزوراي في المقدّمة كحدّ سكين.

سأل زوراي: «قائد رومي... هل من أثر لدائرة الملوك؟»

قال رومي: «نعم سموك. رصدت فرقة الاستطلاع من الشمال أعلام دائرة الملوك تتجه إلينا»

قال زوراي: «كادي... دلنا على موضع نصب الخيام. علينا الإسراع»

قال كادي: «في الحال»

نُصبت الخيام عند الحدود الغربية من وادي السديم. ولم تمضِ ساعتان حتى أقبل جيش دائرة الملوك. رأيتُ المشهد بعيني لاحقًا في رواياتهم، لكنني أحفظ الحوار كما لو كنتُ هناك كأن الكلمات تركت أثرها في الهواء، ووصلتني.

حلّق زوراي لاستقبالهم: «مرحبًا بكما، نارد... وهلدا»

ترجّل نارد عن جواده: «سمو الملك زوراي... مضى وقت طويل»

قالت هيلدا: «كيف حالك سموك... وكيف هي سمو الملكة كونزيت؟»

قال زوراي: «بخير. المعسكر مهيباً، والجنود أمروا بالراحة، الطعام والشراب لكم... والآن إلى الاجتماع لتنسيق الفيالق»

قالا معًا: «نعم، سموك»

أما أنا، فكنْتُ في عمق الغابة الغربية أتدرّب مع ميكا والملكة كونزيت. كنا في «الاندماج العصبي»، وكونزيت في نمط حكيمة السحر. كانت الأشجار تراقب بصمتٍ كثيف، والندى يلمع على العشب كأنه شظايا زجاج.

قالت وهي تزن وقفتي بعينٍ لا ترحم: «لا أصدق أن زوراي لم يعلمك أسس فنون السيف واكتفى بفنون القتال»

قلتُ: «لضيق الوقت... ركّز على القتال لأنه أساس ما أملك»

قالت ميكا: «أبي قليل الاعتماد على السحر، خصوصًا فنون السيف»

تكوّن في يدي كونزيت سيفان من جليد، فسمعتُ صرير التجمّد كأن الهواء ينكسر، ثم رمت إليّ أحدهما: «على أي حال، لن يكون اكتساب فنون السيف معضلة لك باستخدام فنون الملوك»

قالت ميكا من خلف عنقي: «قراءة الوقت والفضاء... التي تسرّع كسب الخبرة. لنفعلها»

لوّحتُ بالسيف أختبر وزنه؛ برّد صريح يلسع الأصابع: «حسنًا... تمسكي جيدًا يا ميكا»

تبدّلت نظرة كونزيت: «لكن لن أتساهل. كما يقول زوراي: غريزة البقاء خير معلم»

لم تمهلني. اندفعت نحوِي بطعنة تستهدف صدري. اعترضتها في آخر شبر، ثم قفزت للخلف وأنا ما زلتُ في الهواء. لكنها دارت بانسيابٍ قاسٍ، وضربت ضربةً محيطيةً من اليسار إلى اليمين. اصطدم سيفي بسيفها، ومع ذلك رمتني بقوةً جانبيةً كأني وزنٌ بلا معنى. انزلقتُ على العشب، والتراب يتسلل إلى فمي، وميكا تتشبث بي كي لا أرتطم بجذعٍ قريب.

شهقت ميكا: «أمي... كم أنت سريعة! ترمينه كالورقة!»

لكن شيئاً آخر كان يعصّ عقلي. تحت تأثير فنون الملوك رأيتُ كثافة الحركة السحرية في كيان كونزيت... ليست طبيعية. قلتُ بحدّةٍ مكبوتة: «هناك خطب... كثافة الحركة السحرية لديك... خمس... لا، ستّ أضعاف كيان اليكس»

تساءلت ميكا: «كيف؟»

ابتسمت كونزيت: «كما توقعت منك، يزن. هذه قدرة كنز حكيمة سحر اليكس: مشاركة الحركة السحرية عبر بحر الأثير. أنا وميكا نستطيع إنشاء نمط حكيمة السحر في آنٍ واحد... لأنني ما زلت حكيمة سحر اليكس»

اعترضت ميكا: «هذا لا يشرح لماذا كيانك بهذه القوة»

قلتُ وأنا أفكّك ما أراه قطعةً قطعة: «النسخ والمضاعفة... ستّ أضعاف في كيان واحد. هذا يستهلك...»

أكملت كونزيت ببرودة: «...استهلاً هائلًا قد يسبب الإغماء بحالة الحدّ الذهني. قراءتك للحركة السحرية تهديدٌ حقيقي، يزن... تكشف ما أخفيه بنظرة واحدة. لذلك لن أتهاون»

ثم جعلتنا نقاتل حتى توارت الشمس. كانت الجمل تقصر في رأسي مع كل ضربة، والتفّس يصير أثقل من الحديد. وحين سقطنا أنا وميكا على الأرض نلهث، كانت كونزيت ما تزال واقفة، سيفها ثابت كأنها بدأت الآن.

قالت: «تعلم بسرعة. فنون الملوك مرعبة»

تأوّهت ميكا: «هل علينا أن نموت لتتعلم؟ أنتِ وأبي شيطانان في التدريب»

ابتسمت كونزيت ابتسامةً داكنة، ثم قالت وهي تحدّق بين الأشجار: «ألا توافقني الرأي... يا كلاود؟»

خرج كلاود من الظلال في كيان عصبي نمط الظلام، وضحك بتعبيّ يحاول إخفاءه: «لا أظنني قادرًا على الموافقة... طاب مساءكم. كان يجب أن أستدعي ديميتا، تبدو بحالة يرثى لها»

قلْتُ وأنا لا أكاد ألتقط هواءً كافيًا: «نصارع... كي لا نفقد أرواحنا»

نهضت ميكا بعصبية: «ومن أنت لتتكلم؟ انظر لنفسك... تبدو باليًّا»

تنهد كلاود: «تدريبات السيد آبار... يستمتع بإضافة صعوبات إلى دميته الحديدية، وأنا أحبطه بتحريكها كل مرة»

سألت كونزيت: «ما الذي أتى بك؟»

قال كلاود وهو يحك مؤخرة رأسه: «السيد آيار يطالب بمقابلة يزن بأي ثمن... وأرسلني لطلبه»

قلتُ: «أنا؟»

قالت ميكا: «ماذا يريد آيار من يزن؟»

قالت كونزيت: «أسئلة عن جوهرة اليكس، على الأغلب. انتهى التدريب... اذهبوا إليه»

نهضتُ، والألم يوقِّع على كل مفصل، ثم قلتُ: «لا مانع. هيا يا كلاود»

في أقصى الشمال، عند برج الحماية السادس حيث معمل السيد آيار، حيينا الحارستين لمس ورون، ثم دخلنا. كان آيار غارقاً بين كتبٍ ضخمة، كأنه يسكن بينها لا يجلس أمامها. الورق يملأ المكان برائحة جافة، والحبر يترك أثره في الهواء. التفتت إلينا مساعدته الأنسة سلوي، تحمل مخطوطاتٍ إلى صدرها كأنها تخاف عليها من السقوط.

انحنت بسرعة: «سمو الأمير كلاود، سمو الأميرة ميكا... مرحبًا. وبطل المملكة سيد يزن...»

شرفت مركز بحوث مملكة اليكس المتواضع»

قال كلاود: «سلوي... سيد آيار، طاب مساء»

حلّقت ميكا، وأمسكت يدي سلوي بحماس: «سلوي! مر وقت طويل»

همست سلوي بخجل: «سمو الأميرة... أنا بخير، شكرًا»

ابتسمت ميكا والتفتت إليّ: «يزن... هذه سلوي، أذكى من عرفت مملكة اليكس»

انحنيْتُ: «سعدتُ بمعرفتك، آنسة سلوي. أنا يزن»

احمرّ وجهها: «تشرفت... سيد يزن»

رفع كلاود صوته نحو آيار: «سيد آيار... يزن البشري هنا»

انتفض آيار كالمصروع: «ماذا! تلميذ ملكة الحقيقة هنا؟ أيها الغبي... لماذا لم تقل ذلك سلفًا!»

تمتم كلاود: «وكيف لك ألا تلاحظ دخول بشر إلى معملك... يا دودة الورق؟»

اعتدل آيار، وتنحنح كمن يحاول أن يستعيد وقاره: «أنا الباحث آيار، مسؤول مركز البحوث والسجلات. سيد يزن... شرف كبير»

قلتُ: «الشرف لي»

قال كلاود: «يزن وافق على الإجابة، بموافقة سمو الملكة»

تهلل آيار: «إدًا تفضل بالجلوس. سلوي... شاي للجميع» ثم مال نحوي بعينين تلتهمان التفاصيل: «أخبرني عن حادثة جوهرة اليكس... وكيف حررت جلالة الملكة»

جلسْتُ على الأرض، ورويْتُ ما جرى: تعقيد حركة الجوهرة، قراءتي لها بفنون الملوك، فصل الحركة السحرية عن المنهجية عبر الاندماج المزدوج، مخاطبة «منهجية تحكم الأداء» نظام ذكاء عالي السلطات ثم إعادة ضبطه. كنتُ أتكلم، وآيار يدوّن كأنه يخشى أن يضيع حرفٌ واحد في الهواء.

وحين انتهيتُ، بقي ينظر إلى الفراغ، ثم وضع يديه على رأسه يردد بذهولٍ مطبق: «يرصد منهجية الجواهر... يخترق مستوى الحماية... يفصل الحركة... يتواصل مع نظام ذكاء... ويعيد الضبط...» وتجمّد.

سألته بتردد: «سيد آيار... هل أنت بخير؟»

لم يجب.

قالت ميكا وهي تميل من فوق رأسي: «سلوي... ما به؟ هل تعطل شيء داخله؟»

ارتجفت سلوي، ثم قالت بعينين خاليتين: «ما قاله السيد يزن... متوافق مع أبحاثنا، لكنه منافي للعقل! حتى مستخدم فنون الملوك... يستحيل بعمرٍ عقلي لبشري أن يتواصل مع الجواهر. بحوثنا تقول إن التحكم يتطلب نصف قرن على الأقل... فهي تقنية حضارة عرش الملوك السحيقة»

ابتسمتُ ابتسامَةً باردة، لم أعرف إن كانت اعتذارًا للعالم أم لنفسِي.

لكن ميكا شدّت نبرتها: «منافيًا للعقل أو لا... نحن مدينون ليزن. وهو يبقى فقط يزن، بطل المملكة. لن أسمح بسوء معاملته»

انتبهت سلوي كمن أفاق من حلمٍ سيئ: «سيد يزن... أعذريني على فظاظتي»

قلتُ: «لم تسيئي. لا تقلقي»

أفاق آيار أخيرًا، وبدا كمن خرج من صاعقة: «أصابني الذهول... والرعب من قدراتك. أنت مختلف عن بقية البشر» ثم هدأ صوته وهو يرتّب نفسه بالكلمات: «أهداف مركز البحوث رصد حضارة الملوك القديمة وتقنياتها وسجلاتها، ومعرفة سبب تصنيع كنوز العرش وشروط استخدامها، وكيف تعمل حجارة الحقيقة... والأهم: الهدف الحقيقي لوجود تيجان العرش»

ثم انحنى قليلاً بعينين صادقيتين: «أنا مدين لك على ما قدمته. شكرًا، سيد يزن»

قلتُ: «يسرّني أن أكون عونًا»

قال آيار بعد ترددٍ مهذب: «إن أمكن... هل تسمح بفحص إشاراتك العصبية وبعض الفحوص الأخرى؟»

قلتُ: «لا مانع. لنبدأ»

استمر الفحص حتى اقترب منتصف الليل. ودَّعْتُ آيار وسلوي، وخرجتُ أنا وميكا. كان كلاود قد سبقنا وهو «على الدمية المعدنية» كما يقولون؛ نصفه سخرية، ونصفه انهيأً صامت.

عدتُ إلى القاعة الكبرى بخطواتٍ هادئة، كأن اليوم كلُّه حجرٌ على صدري. قلتُ أخيرًا: «لقد كان يومًا حافلًا... حقًا»

رَبَّتْ ميكا على شعري من فوق رأسي: «أريد أن أقول لك شيئًا: هذه القاعة بيتك، ومملكة اليكس مدينتك. نحن غريبو الأطوار... وأنت لست مختلفًا. مميز أم لا... أنت فقط السيد الصغير البشري يزن بيننا»

نظرتُ إلى الأرض، وأمسكتُ قلادة حجر الحقيقة وضممتُها: «شكرًا يا ميكا... كلماتك تعني لي الكثير»

دخلت مدام ديميتا من بوابة القاعة ومعها خادمتان. قالت بابتسامة تعرف أين تلمس بمزاحها: «ميكا محقّة تمامًا، سيدي الصغير» وضحكت الخادمتان خلفها.

احتجت ميكا فورًا: «أنا لست متعلقة بيزن على الإطلاق! ومنذ متى وأنتِ تتنصتين؟»

قالت ديميتا بهدوء المنتصر: «متى ما سنحت الفرصة تجلسين فوق رأسه»

نفخت ميكا: «لا أريد إرهابك اجنحتي في الطيران!»

رتبت الخادمت مائدة عشاء خفيف. جلستُ، ثم دعوتُ ديميتا: «يسعدني تناول الطعام معك... إن أحببتِ، انضمي إلينا»

جلست بأناقة: «لباقة جديرة بالاحترام، سيدي الصغير»

أكلنا وتحدثنا قليلاً. ثم بدأت ديميتا تحكي طفولة ميكا، فغطت ميكا وجهها من الاحراج وهي تتوعدها همساً. بعد الطعام استأذنت ميكا للنوم، وانصرفت الخادمت. وقفت ديميتا عند البوابة وانحنت: «ليلة سعيدة، سيدي الصغير»

قلتُ: «ليلة سعيدة، مدام ديميتا»

وبقيتُ وحدي لحظةً، والقلادة في قبضتي... ثقيلةً كعهدٍ جديد.



الفصل العشرون

أنياب وغضب

مع أول خيط نهارٍ على ضفاف بحر مكران، راحت غابة اليكس الجنوبية تُزيج عن كتفيها سواد الليل ببطء؛ كمن يستفيق من كابوسٍ ثقيل ولا يصدق أنه عاد يتنفس. لم أكن هناك حين انقدحت الشرارة، لكنني عرفتُ لاحقاً من شظايا رواياتٍ متقاطعة، ومن الدم اليابس على اللحاء، ومن أثر الأقدام الغائرة في الطين كيف تواری القائد رومي والقائد توباز دست مع مئةٍ وخمسين من حرس الحدود بين الأشجار، عند حافة «وادي السديم»، ينتظرون هجمةً تُشَمِّ قبل أن تُرى.

قال توباز لرومي وهو يدور قربها كذئبٍ ضاق قفصه: «لا أظن قادة مملكة دجنة يهاجمون خلصة. كان يجب أن نكون وسط ساحة القتال».

أجابته رومي بحدّةٍ خاطفة، كحدّ سكينٍ لا يرحم: «كفاك تدمراً. أمنّ الحدود أولوية، خصوصاً في حربٍ غير متكافئة، حتى لا تنقلب شاملة كما قال السيد أدهم. أمرُ الملك واضح».

لم يردّ توباز. شدّ سمعه على الغابة، وثبّت عينيه عند الحافة المطلة على الوادي، كأن الأشجار ستفصح ما تُخفيه. ثم قال بصوتٍ انكسر فيه شيء: «لحظة... هنالك خطب».

خرج بكسيٍّ من الاستطلاع من بين العتمة، مغمورًا بالدم، يترنح ويُسرع كمن أفلت لتوّه من فكي موتٍ لم يُحكما بعد. كانت دموعه تنزل بلا صوت، وشفته ترتجف بتمتمةٍ بالكاد تُلتقط: «العدو... العدو...».

لم يكد توباز يلح ظلاً خلفه حتى اندفع صارخًا: «تَبًّا! هذا من الاستطلاع... العدو هنا!».

صرخت رومي حتى ارتجّ الهواء: «جميعًا... تأهبوا!».

انقضّ توباز ليخطف المستطلع من حافة الهلاك، وفي اللحظة نفسها لمح خلف ظهره رجلًا شاهقًا كجذعٍ مسنون، يحمل بلطة إسقاطٍ بيدين لا تعرفان الارتجاف. أنزلها كأن الأرض خصمه. ضربةٌ واحدة؛ دويٌّ مكتوم، موجةٌ ريحٍ محمّلة بالتراب، وغبارٌ ابتلع الملامح... ثم انغرست البلطة في الطين حتى محّت أثر المستطلع، ومعها اختفى.

ومن قلب الدخان امتدت يدٌ من تحت درع فولاذي أسود، انتزعت البلطة ووضعتها على الكتف كأنها لعبة. قال صاحبها باستخفافٍ بارد: «يتجسسون علينا ثلاث ليالٍ... هؤلاء القمامة. قتلُ البكس غير ممتع. همم؟» ثم التفت مبتسمًا بعجرفةٍ فاضحة: «لكن بينكم مميّز... نجا من ضربة كنز فأس هيلينا. فلتفتخر بذلك».

كان توباز قد حمل المصاب وقد غاب عن الوعي، وصاح: «لا تغتر. أخفقت لأنك أخرق».

هبطت البلطة لتشطرهما معًا، وصاح الرجل: «لنرَ إن كنت تحرك فمك بعد هذه!».

تفادى توباز القَـطـع وقفز، ثم اندفع نحو رأس خصمه. كَوّن كيانه العصبي بمستوى البشر، وركله بقدمه اليسرى في الوجه... لكن الرجل لم يهتز. قبض على قدم توباز كأنها غصن رطب، رفعها وهو يبتسم بغضبٍ ثقيل: «أيها القذر... من تظن نفسك؟».

قال توباز والدم يلمع على شفته: «تَبّاً لك».

رماه الرجل أرضاً حتى تلاشى كيانه العصبي من الصدمة، وانزلق جسده مسافةً طويلةً فوق التراب الرطب. ومع ذلك ضمّ توباز المستطلع إلى صدره واندفع بين الأشجار، يجرّ قاتله بعيداً عن رومي؛ والخصم خلفه ظلّ لا يكلّ.

وقبل أن يلحق به، ظهر ذئبٌ أسود ضخم، نادر الفئة، يزفر بخاراً دافئاً في برد الفجر، وعلى ظهره امرأة رشيقة يتقطر هذوؤها سماً. قالت: «توقّف يا قائد كولورو. أنت على حدود هجماتهم السحرية».

ضحك المقاتل كولورو ساخراً: «وماذا إذًا يا قائد جوري؟ أتظنين سحرهم الضعيف يؤثر في؟».

رمقته جوري بنظرةٍ نصفية لم تُخف ضيقها: «واضح أنه فخ. لا أريد تعريض مهمتنا التي أوكلمها الملك فأنمند للخطر. انظر... وصلهم الدعم».

في تلك اللحظة دخل توباز صفوف الفيالقين منهكاً. استقبلته فرقة الإسعاف، وانتزعت المستطلع من ذراعيه كمن ينتزع فتيلاً مشتعلًا. قال لتوباز وهو يلهث: «أرجو المعذرة يا قائد رومي... لم أستطع التماسك».

أجابته رومي، والمسعفات منشغلات بالجرح والنبض: «بل أحسنت. لو مات هذا، لانهارت المعنويات. ولا تقلق... الدعم وصل أخيراً». ثم التفتت شمالاً وصاحت: «هنز أكريركس... لقد تأخرت!».

جاء هنز مع مئةٍ وأربعين مشاةً من البشر بملابس داكنة كملابس المرتزقة. كان شاباً من الالف رشيماً؛ شعره أبيض، وملامحه مسالمة على نحوٍ خادع، وسيفان عند خصره. قال وهو يقترب: «قائد رومي... مر وقت طويل. وتوباز، سريخ كعادتك. أبدأت المتعة قبل وصولنا؟».

ردّ توباز بنظرةٍ جانبية وهو يتلقى ما تبقى من علاج: «كل ما في الأمر أنك بطيء يا هنز. هيا... لنعلم ذلك الأخرق بعض الأخلاق».

ضحك هنز. قفز توباز خلف عنقه في اندماجٍ عصبي، وصاح هنز: «تأهبوا جميعاً... سيكون اليوم مهرجاناً. الإدماج العصبي!».

اندفع هنز وتوباز على عنقه مع ثلاثين من البشر وسبعين من اليكس، بكيناتٍ عصبية بمستوى البشر، في هجومٍ مباغت بين الأشجار على كولورو وجوري.

لم يتراجعا. ضرب كولورو الأرض بفأسه فارتجّت جذور المكان، ونزلت جوري عن ذئبها ووقفت بجواره. وبصوتٍ واحد خرج الأمر كتعويذةٍ تُقال بثقةٍ مريضة: «خدام الظلام... انهضوا بأمرٍ من سيدي فانمند».

تصاعد دخانٌ أسود من الفأس، كثيفٌ كأنه يلطّخ النهار، وتشكّلت منه أربعةٌ من نخبة خدام الظلام: ظلالٌ بشرية بلا آذان ولا أفواه، بعيونٍ حمراء فارغة؛ نظرةٌ واحدةٍ منها تكفي لتدفع

القلب خطوةً إلى الورا. انقضّ اثنان على قلب السبعين، واثنان سدّا طريق هنز المندمج مع توباز.

كانت قبضاتهم تصدّ السيوف، وتخرق الدروع، وتلقي الأجساد كالحصى. وكل دقيقة كانت الأرض تشرب دمًا جديدًا، وتبتلع صرخةً أخرى.

قال توباز من فوق عنق هنز: «اخترقوا الصفوف بسهولة... إن استمر هذا سيقضون علينا. سأدعم حركتك العصبية أكثر».

شدّ هنز قبضته على سيفيه، واندفع نحو كولورو صارخًا: «لنحسم الأمر... هلمّ إليّ أيها الوغد!».

لكن نخبة الظلام اعترضته. راوغ بينهما بسيفيه القصيرين كأنه يرقص على حدّ واحد، غير أن حدّ السيف ارتدّ عنهما كأنه يضرب صخرًا. تمت هنز: «تبتأ... صلبان كالمعدن».

ابتسم كولورو من بعيد: «أتود نزالي؟ لنرّ كم تحتمل قتالهم».

ردّ هنز وهو يلهث: «أطبق فمك... دورك لاحقًا».

قهقهت جوري في الخلف، ثم انفجر كولورو غضبًا: «أيها السافل!».

وفي مؤخرة الجيش كانت رومي داخل كيائها العصبي السماوي تمطر أحد خدام الظلام بسهام الجليد، وصوتها يشق الفوضى: «لا تدعوهم يخترقون صفوفكم... أطلقوا السهام! ركزوا على

الكيانين!». ثم خطر لها كما بلغني خلاصٌ وحيد: أن تسحب واحدًا من النخبة بعيدًا عن المنتصف.

بدّل خادم الظلام هدفه وانقَصَّ نحوها. ركضت رومي وهي تطلق هجمات الجليد المتتابعة؛ ومضاتٌ باردة على جذوعٍ مبتلّة، وصفيبرٌ شطايا يجرح الهواء. خرجت من الصفوف إلى شاطئ بحر مكران، تجذبه خلفها، والرمل يئنُّ تحت ثقل المعركة.

قالت وهي تلتفت إليه ومسافة الموت تذوب بينهما: «اتبعني يا كتلة الظلام... إن لم يؤثّر الجليد، فكيف مع القطع؟». وأطلقت قواطع الرياح... بلا أثر.

في لحظةٍ وحشية اخترقها خادم الظلام. مزق بطن كيانها العصبي من أسفل حتى الصدر، كأنما يشق ستارًا. قبضت عليه بكل ما بقي من قوة، حاولت أن تُدخل يدها اليسرى في رأسه لتسقطه... وكان جسدها يتفتت، قطعةً بعد قطعة، تحت قسوةٍ لا تعرف الشفقة.

لكنها شدّت تيارات الرياح الجليدية حوله، قيّدت حركته، وهمست كمن يقتصّ من العالم لا منه وحده: «حان دوري. لنرّ إن كنت أقوى من كيان الملك اليكس... أيها الخردة».

ثم أطلقت موجة الانتشار: انفجارٌ جليدي جمّد كل شيء في محيط خمسين قدمًا، حتى الرطوبة العالقة في الهواء. صار خادم الظلام تمثالاً بين الأشجار، وشاطئ البحر انكمش تحت صقيعٍ مفاجئ.

راقبت جوري ذلك بامتعاض، وقالت لذئبها: «زلّ منها يا أونكس». وانطلق الذئب نحو رومي.

كانت رومي تتنفس بصعوبة؛ عقلها يستنزف حدّه الذهني كما تستنزف النار خشبًا رطبًا. التفتت فجأةً، أحست بمن يتربص بها، فقفزت للخلف لتفلت من قفص أنيابٍ كاد يطبق على رأسها. لكن الذئب التقطها بمخالبه من الجو ومزّق ظهرها. ارتدت على الأرض، كوّنت كيانًا عصبيًا بمستوى البشر مشوه الأطراف وحاولت الإفلات... فغرس الذئب أنيابه وحطم معصمها الأيسر.

مدّت يدها اليمنى تصرخ: «ابتعد عني... سحر الجليد!». وأطلقت أربع قذائف متتالية قرب رأسه عبثًا. مزّق يدها اليسرى، وواصل تمزيقها كأن الألم طعامه.

تلاشى كيانها العصبي وهي تنزف وتقاوم. تمتمت بغضبٍ مكسور: «تبّاً لك... أيها الوحش...». ثم انطفأت كلماتها إلى سؤالٍ داخليّ خافت: هل أموت هنا؟ على هذه الأنياب؟ كم أود... معانقة كلاود...

نطحها الذئب بجسده العملاق فسقطت على الأعشاب كدميةٍ محطمة، والورود تشرب دمه الدافئ. اقترب ظلّه حتى حجب عنها السماء، وفتح على أنفاسه الحارقة فمه، وكادت تسمع صوت تهشيم جمجمتها... لولا أن كياناً أسود انقضّ بسرعةٍ خارقة وخطفها من بين أنيابه. كان كلاود.

كوّن كياناً عصبيًا معتمًا بمستوى البشر، ضمّها وهزّها صارخًا: «رومي... رومي! استيقظي!».

فتحت عينيها بضعف، ووجدته يحملها إلى صدره. همست: «ليس عدلاً... حلم كهذا الآن؟».

قال كلاود ووجهه يقطر ظلامًا وراحةً في آن: «أيتها الساذجة... هذا ليس حلمًا».

تشبثت بملابسه، ترتجف. ولم أعرف: أكان رجفها هلعًا أم نجاة.

عندها وصلتُ أنا.

كنتُ في نمط الحكيمَة السحر، مثلثًا، والملكة كوزنيت فوقِي، والأميرة ميكا على كتفي الأيمن. رأيتُ كلاود واقفًا في مواجهة الذئب، ورأيتُ رومي كجمرٍ خافتٍ بين ذراعيه. كان الهواء مشبعًا برائحة الحديد والطحالب والدم، وصوت البحر يجيء متقطعًا كتنفيس متعب.

سألت الملكة بقلبي محكوم: «كلاود... هل القائد رومي بخير؟».

ناولني جسد رومي، وعيناه تشعان غضبًا: «أمي... اعتني بها. يزن، ميكا... لا يتدخل أحد. هذا الكلب لي أنا».

حدقت فيه الملكة بنظرة حادة: «لك ذلك يا بني... لكن لا تتهور».

قلتُ وأنا أستلم رومي وأصمها بحذر، كأنني أحمل زجاجًا متشقًا: «حسنًا... كلاود».

قالت ميكا بصوتٍ منخفض: «أخي... اترك لنا رومي. اعتن بنفسك».

بعيدًا عن ضوضاء القتال، قرب ضفاف بحر مكران، وقف كلاود وسط كيان نمط الظلام مواجهًا أونيكس بعد أن سلّم رومي لنا.

زمرج الذئب، ثم وثب يحاول قضم رأس كيان كلاود العصبي.

قال كلاود بوجهٍ مظلم: «بطيء»

دار بيمينه ليتفادى الأنياب والمخالب، ثم ضرب بقبضته اليسرى صدر الذئب، فردّه متدحرجًا على العشب الرطب بعويلٍ مكتوم. تشبّث أونكس بالأرض على أطرافه الأربعة، وانتفش فروه الأسود كأشواك. اهتز الهواء بزئيره، وعلّق نظره على كلاود كأنه وجد نذًا أخيرًا.

قال كلاود ببرودٍ قاتل: «هل آلمك ذلك؟ تقدم أيها الكلب!»

انقض الذئب ثانيةً. ألقى كلاود كيانه العصبي للحظة، تفادى المخالب، تقلب في الجو، ثم كوّن من جديد في ثوانٍ، وأرسل قدمه اليمنى إلى جمجمة الذئب بصدمةٍ ردّته أربع أقدام. هبط كلاود واهتزازُ أطراف الذئب يفصح ارتجاج دماغه.

قال كلاود، وفي عينيه رغبةً صافيةً في العقاب: «سأجعلك تندم على يوم ولادتك أيها الكلب اللعين»

لكن أونكس أدرك، في لحظةٍ نادرة لدى الوحوش، أنه صار فريسة. جاء صفيّرٍ حاد من نحو ثلاثمئة قدم إشارة تراجع من جورى. فانسحب الذئب مدعورًا نحوها. تبادلت جورى وكلاود نظرةً غضبٍ وعداءٍ مكتومين، ثم ابتلعتها الأشجار.

في تلك الاثناء انطلقتُ بهم نحو مؤخرة الكتبتين حيث الإسعاف، ونزلت الملكة لتبدأ سحر الدعم على رومي. وقفت أمامنا فتاةً من كتيبة البشر، انحنت بانضباطٍ لا يهتز: «سمو الملكة كونزيت! أنا المقدم هيلي آرك، مسؤولة التنسيق».

لمحتُ في عينيها السؤال ذاته الذي اعتدته في عيونٍ كثيرة: طفلٌ بشري؟ هنا؟ الآن؟

قالت الملكة وهي تُفعلُ العلاج: «أتذكرك... مرافقة هنز. أحسنت. أعطينا تقرير المعركة».

أجابت هيلي بسرعةٍ تقطع التردد: «العدو ثلاثة: القائد المقاتل كولورو هوكز، والقائدة الفارسة جوري فريلي، ومعها الذئب الأسود الوحش السحري فئة نادر، أطلقوا نخبة خدام الظلام. القائد هنز أكزيركس مع القائد توباز دست يقاتلان اثنين في المقدمة ويحتاجان دعمًا. القائدة رومي قضت على واحد. الخسائر تقارب سبعين قتيلًا وأربعين جريحًا من الكتبتين».

تجمدت نظرة الملكة لحظة، كأن الأرقام صفعًا لا تُسمع. ثم قالت: «سيء... لا يزال أمامنا الباقون. بزن، ميكا».

أجبتُ أنا وميكا بصوتٍ واحد: «حالا يا سموك».

التفتت هيلي بقلقي لم تستطع ابتلاعه: «سمو الملكة... حتى مع سمو الأميرة، ترسلين طفلًا بشريًا واحدًا للدعم؟ سيموت هباءً».

ابتسمت الملكة ابتسامة فخرٍ بارد: «لا تقلقي... ذلك الطفل أكثر من كافٍ. ودليني على بقية الجرحى».

تركُّ خلفي همس الحيرة، واخترقْتُ الصفوف مع ميكا. كانت الجثث مبعثرة بين الأشجار: بشر وبكس، ودُمٌّ يلمح الأعشاب كأنه صبغة يوم مشؤوم. رأيتُ أحد نخبة الظلام يلهو بالدروع والعضام، يمزق كيانات البكس ويرسلهم طائرَيْن يمينًا ويسارًا، وصوت الاصطدام بالتراب يعلو ثم يخفت كنبضٍ مختنق.

قلتُ في سري، والغضب يشحذني: كفى.

رفعتُ قبضتي: «فنون الملوك... التسارع العصبي والتقوية الجسدية».

اندفعتُ بين المقاتلين كالسهم، ولكمْتُ وجه كيان النخبة. انمسح جسده على الأرض أمتارًا، وقبل أن يستعيد توازنه أتبعْتُها بصريةً في بطنه قذفته إلى جذع شجرةٍ فتهشم. تلاشى كيانه تحت الصدمة، وسقطت الشجرة بطيءٍ ثقيل، كأن الغابة نفسها تزفر.

حدَّق الجنود فيّ كأنهم يرون مستحيلًا: طفلًا بعباءة ريشٍ أبيض، ملثمًا، يدفن نخبة الظلام بضربتين.

لم أترك لهم رفاه الدهشة. رأيتُ هنز وتوباز مندمجًا معه على بُعدٍ أمامي، محاصرين بين اثنين من نخبة الظلام. كان هنز ينزف، أحد سيفيه مكسورًا، وابتسامته ليست إلا يأسًا معلقًا على شفة.

سمعته يقول لتوباز: «أن نخسر لكيانات ظلام... يا لسوء الحظ. لا نستطيع الهرب حتى. هذا ليس مضحكًا، أليس كذلك؟».

ردّ توباز وهو يلهث: «حتى بالاندماج قوتهم وسرعتهم هائلة... لن أقدر على دعمك طويلًا. نحتاج منفذًا وإلا هلكنا».

وكان كولورو غير بعيد، يراقب مبتسمًا: «ماذا؟ أهذا كل ما تستطيعونه؟ ضعفاء تحملون السلاح وتسمون انفسكم مقاتلين!». ثم التفت إلى جوري: «لا أصدق... من بين هؤلاء الحثالة من واجه ذئبك أونكس».

قالت جوري، وعلى وجهها قلقٌ سريع: «هناك ما يقلقني... من أربع نخبة كيانات الظلام، اثنان قد هُزما سلفًا. أن يكون في مملكة اليكس ودائرة الملوك من يستطيع هزيمة النخبة...»

قال كولورو بفضاضةٍ لا تعرف الحسابات: «لا يهم كم هم أقوياء... قديسًا أم ملكًا، سنسوي بالأرض جثث كل من يعترض طريقنا»

وحمل فأسه وتقدّم نحو هنز.

سمعتُ توباز يلعن تحت أنفاسه: «اللعنة... تحرك الأخرق»

وقال هنز، متعبًا، كأنه يجرّ كلمةً من الدم: «أخيرًا قررت الانضمام إلينا»

حين وصلتُ، كان كولورو يقترب بهيبته الجبارة، والفأس على كتفه الأيمن، وابتسامة تبخترٍ تشق وجهه. وكان كيانا النخبة يطوّقان هنز كما تطوّق الذئاب فريستها.

لم أتوقف.

جمعتُ قبضتي، وهاجمتُ كيان النخبة الأقرب. ضربتُ صدره، فطار وارتطم بالأرض ارتطامًا محطّمًا؛ تفادى كولورو جسده في آخر لحظة، لكن الأرض تحت قدميه تشققت. تلاشى الكيان بعد قليل.

استدرتُ فورًا نحو الثاني، ورفعتُ سلاح المستوى الثاني في نمط الحكيمة: «قذيفة سحر الجليد... الإصابة والانتشار»

انطلقت القذيفة بحجم ثلاث بوصات من مسافة تقارب مئتي قدم، اخترقت صدر كيان النخبة، حملته صدمتها سبعة أقدام بين الأشجار، ثم انفجرت بتجميد انتشاري جمد كل شيء في محيطه. تلاشى الكيان كالرماد في مهبّ الريح.

سقط الصمت على وجوه كثيرة. رأيتُ التحدي يشتعل في عيون كولورو، ورأيتُ جوري تشدّ لجام خوفٍ لم تُرد الاعتراف به.

قال كولورو، منبهراً رغم أنفه: «ما كل هذه القوة؟ كيانًا نخبة ظلام... تطيحهما هكذا؟»

قالت جوري وهي تمتطي ذئبها: «كولورو... يتابني شعور سيئ تجاه ذلك المثلث. تلك التحركات الدقيقة والقوة الغاشمة... لا يسعني إلا أن أتذكر آثار قتال المقاتل عريف في غابة الوحوش. علينا إبلاغ الملك فأنمند بأسرع وقت»

قال كولورو: «لا تكوني ساذجة. هدفنا انتقاء جوهرة اليكس، وهذا لن يتغير. علينا فقط دحر كل ما يقف في طريقنا»

قالت ميكا من على كتفي، كعادتها لا تتأق في الكلام: «أتينا للمساعدة... توباز وهنز، صح؟ تبدوان بحالةٍ يُرثى لها»

بدأ توباز: «سموّ الأميرة ميكا؟ إذا هذا...»

قاطعته ميكا فورًا: «أحم... ليس لدينا وقت لذلك. علينا أن ننهي المعركة هنا بسرعة»

قال هنز، وقد اتسعت ابتسامته رغم التعب: «سموّ الأميرة ميكا... الشكر لك ولهذا المثلثم. أن يقضي على نخبة كياني ظلام بهذه السهولة... لا ألومك إن كانت لديك ظروف لتبقى مجهولًا. في النهاية أنقذت أرواحنا، شكرًا لك»

أومأُ برأسي فقط. لم يكن في الحلق متسعٌ للكلام.

تقدّم كولورو، وخلفه جوري على ذئبها.

ضرب كولورو الأرض بفأسه حتى اهتزت التربة، وصاح: «خرجتَ سالمًا لا يعني أنك نُدُّ لنا أيها الحثالة! أنت أيها المثلثم... أنا القائد كولورو، وهذه القائدة جوري. لقد أسقطتَ اثنين من نخبة كيانات الظلام. من أنت؟ عرّف عن نفسك!»

قالت ميكا فوق رأسي، ببرودٍ مستفز: «وما شأنك أنت؟ تود القتال أم عقد الصداقات؟»

قطب كولورو: «لم أتحدث إليك أيتها الحشرة. شرف بين المحاربين أن يقول اسمه قبل القتال»

تقدّمتُ خطوة، وشعرتُ بأن القناع صار أثقل على وجهي لأن الدم حولي صار أكثر. قلتُ بهدوءٍ لا يساوم: «... شرف؟ لقد سلبتم أرواحًا كثيرة. فسدت أرواحكم باستخدام قوى الظلام والسير في طريقٍ خاطئ»

وكوّنتُ سيفًا من الجليد في يدي «يا من ضللت الطريق... أنصحكم بالخضوع والاستسلام»

اشتعلت نظرة جوري. صاحت، ولهبّ أسود يخرج من معصمها: «وما أدراك أنت هذا! تقف أمامنا وتهين... تهين سموّ الملك فأنمند؟! سأحرق كل شظية منك أيها الصعلوك!»

انفجرت نيرانها، التهمت الهواء وشقّت طريقًا إليّ. كوّنتُ عصا الحكيمة السحرية، وضربتُ بها الريح، فارتفع جدارٌ من الجليد بارتفاع اثني عشر قدمًا، كدرعٍ يصدّ اللهب.

لكن كولورو لم ينتظر. حطّم جدار الجليد بفأسه، وانقّص يلوّح بفأسه نحو صدري. اعترضتُ الضربة بسيف الجليد. التحمت الحافتان؛ صريرٌ يجرح الأذن، ورائحة احتراقٍ أسود تتصاعد من رأس الفأس.

ابتسم كولورو بشغفٍ مريض، والنار السوداء تشتعل تدريجيًا: «كم أنا سعيد بوجود خصم بقوتك... بعد أن مللت قتل اليكس هنا»

رأيتُ الغضبَ يمرّ في داخلي كتيارٍ حاد. اختفت عصا الحكمة من يدي اليسرى. رددتُ فأسه، ثم أتبعْتُ ذلك بقبضتي اليسرى. تحطّمت درعه، وتفتّت ما تبقى من جدار الجليد، وطار كولورو متقلّبًا في الهواء، أفلت فأسه، وتدحرج عشرين قدمًا على الأرض قبل أن يتشبّث بها. غرست بلطته قربه في التراب.

تلوّى وهو يقبض على معدته: «... سحقًا. من هذا الوحش؟ ما أثقل لكماته... لقد تهشم درعي»

وفي اللحظة التي تهَيّأتُ فيها للانقضاض، جاء الذئب أونكس من الخلف.

اعترضه هنز المندمج مع توباز بسيفه، وصاح وهو يبتسم رغم دمه: «لا أعلم اسمك، لذا سأدعوك المنقذ من الآن. أليس شاعرِيًّا؟ أميرة ميكا... سنتولى أمر الذئب. تولّوا أنتم أمر القائدين. لا تقلق... سنلعب معك أيها الذئب»

قالت ميكا بلهجةٍ جارحة على كتفي: «لا تُخرجوا قيادة الفيلق وتموتنا بسبب عضة كلب، مفهوم؟»

تمتم توباز بضيق: «كم أنت قاسية يا سمو الأميرة...»

ضحك هنز: «من هنا أيها الكلب...»

وانطلق. تبعه الذئب.

قالت ميكا، كأنها تستعيد ترتيب العالم: «يعتقد هنز أنه بطل رواية خيالية... على أي حال،
لننه هذا بسرعة يا يزن»

قلتُ وأنا أراقب الساحة بعينٍ تقرأ الأثر لا الكلام: «معك حق. يراودني شعور سيئ... بحكم
حجم الخسائر»

تحركتُ سريعًا، دُرْتُ حول محوري مستهدفًا كولورو الذي ما يزال متوعكًا. رفعتُ سلاح
المستوى الثاني... لكن لهبًا أسود قاطع طريقي من جهة جوري. تفاديتُه بشعرةٍ، ورددتُ
بقذيفةٍ جليد نحوها.

انفجرت القذيفة بدخان تجميدٍ كثيف، وفيه تجمد محيط. خرجت جوري من الدخان، يدها
اليسرى متجمدة جزئيًا، ومع ذلك كانت أسرع من الألم. اندفعت وسددت بلهيب أسود.
تفاديتُه.

قلتُ، وثباتي يقاوم رغبةً قديمةً في الرحمة: «قائد جوري فريلي... أناشدكم الاستسلام»

ابتسمت وهي تلهث، ابتسامة من لا يرى بابًا إلا القبر: «حقًا؟ يا لسذاجتك أيها القزم... لا
نحتاج لشفقتك. بعد سفك الدماء ليس هناك مخرج غير الموت. إما نحن أو أنتم!»

اقترب كلاود، عيونه حادة كأنها تُقطع المسافة: «... يزن. هؤلاء القتلة لا يستحقون الشفقة»

قالت ميكا، وقد التفتت نحوه: «أخي كلاود!»

تأهبتُ. لم أقل شيئاً.

حاصرنا جوري أنا وكلاود لكن الأرض انشقت بيننا بضريةٍ مدويةٍ من لهبٍ أسود. تراجعنا خطوة. كان كولورو قد التقط فأسه، والنار السوداء تآكل رأسه.

وقف كولورو أمام جوري، وصاح: «جوري! دعي هذا الوحش القزم لي. خذي أونكس وتراجعي الآن... لقد فشلت المهمة»

شهقت جوري: «ما الذي تتفوه به؟ معاً نستطيع قتلهم!»

قاطعها كولورو بزئير قرار: «تبتاً لك! هذا قراري. نفذي الآن!»

ساد صمتٌ أسود على وجهها، ثم أطلقت صفيراً يتردد في الفضاء. فرّ أونكس من مقاتلة هنز وتوباز وكانا على شفير الانهيار وانطلق نحوها. امتطته. توقفت لحظةً كأنها تريد أن تترك خنجراً في الهواء، ثم توارت بين الأشجار.

بقي كولورو كجدارٍ يمنعنا من اللحاق بها.

اشتعل جسده ورأس فأسه بلهب الظلام. قال بصوتٍ كأن النار تتكلم من حنجرته:

«أعتذر عن الانتظار أيها السادة... حان وقت تمزيقكم»

أحطناه أنا وكلاود فصرنا ثلاثةً على شكل مثلث.

اندفع كولورو. حاول شق صدري بفأسه. كوّنتُ سيفٍ جليدٍ سريعًا لأردّ الصدمة الثقيلة... فتحطم السيف كأنه زجاج. اندفعتُ مرتدًا على الأرض، انزلقت، تفاديتُ ضربةً رأسيةً تلتها. تحطمت الأرض تحتها، وتناثر حجرٌ كأنه شظايا غضب.

تراجعتُ محاولاً خلق مسافة، وقلتُ في نفسي وأنا أقرأ تغَيّر الإيقاع:
فجأة... تضاعفت قوته بشكلٍ هائل.

ابتسم كولورو بشغفٍ مجنون: «القوة... يا لها من قوة! تذوق اليأس... هذه قوة الظلام الحقيقية!»
اندفع نحوِي.

رمى كلاود نفسه كقذيفةٍ حيّة، مستعملاً كيانه العصبي بنمط الظلام: «لا تغتر يا كرة اللحم المهترئة!»

خلق كلاود نحو كولورو، كوّن كيانه العصبي في مستوى البشر بنمط الظلام، واستهدف عنقه بقدّم يسارية. لم يتحرك كولورو. أمسك عنق كيان كلاود بيده... ورفع الفأس ليشقه من بطنه نصفين.

تفادى كلاود الضربة داخل كيانه بأعجوبة، حاول لكمة مرتين بما تبقى من كيانه... بلا جدوى. أمسك كولورو ما تبقى من نصف كيان كلاود العصبي، وقذفه بعنفٍ إلى الأشجار. تلاشى الكيان، وسقط كلاود.

التقطتُهُ وأنا أعدو حول محيط كولورو.

قالت ميكا وهي تحمل كلاود بين يديها على كتفي: «أخي كلاود... هل أنت بخير؟»

قال كلاود وهو يلهث: «نعم... أنا بخير. كيف له فجأة أن يصبح بهذه القوة؟»

كنتُ أعدو، والعقل يعمل كما يعمل حدّ السكين على الجلد: «قوى الظلام تحرق منهجية جسده بسرعة كبيرة، وتعزز القوة بشكلٍ متراكم... لكن جسده لا يواكب هذا الاستهلاك»

تحول كلاود إلى كتفي الأيسر، وسأل: «وماذا يحدث لو استهلكت كل منهجيته؟ هل يموت؟»

قلتُ وأنا أراقب كولورو: خطواته، ثقل فأسه، فوضى النار في عينيه: «ذلك ليس كل شيء... نمطه غير مستقر. في أسوأ الحالات قد يتلع كل شيء لديه من حركةٍ منهجية... وينفجر، مدمراً المكان»

قالت ميكا، ووجهها يشتد: «تَبّاً... لا يمكننا السماح له بذلك. هناك كثير من الجرحى هنا. علينا التصرف قبل حدوثه»

قلتُ، وقد حسمتُ: «هذا ما أنوي فعله»

استدعيْتُ فنون الملوك حتى آخرها: «التقوية الجسدية القصوى»

ابتسم كولورو ورفع فأسه عاليًا: «تعال لملاقة حتفك أيها الشقي!»

أطلقت ثلاث قذائف جليد. حطّمتها بفأسه بثلاث حركاتٍ متتالية. حاول أن يشقني. تراجعْتُ، تفاديتُ. كان يحاول أن يستعيد وزن ضربته الأفقية؛ لحظة حملٍ ثقيل لا يراها إلا من يقرأ الزمن بين نبضتين.

ملأْتُ قبضتي اليسرى: «فنون الملوك... التسارع العصبي والتقوية الجسدية القصوى»

ضربتُ.

انفجرت الصدمة بصوت تحطّم درعٍ وعظام. تهشمت يد كولورو اليسرى، وطار جسده الضخم إلى جذع شجرةٍ فحطمها، واختلط صراخه بصوت خشبٍ يئن. ارتدّ وسقط يحطم الأرض، زحف عليها.

لم أترك له هواءً.

لحقته بتسارعٍ عصبي، قفزتُ، ثم ألقيتُ بوزن جسدي عليه، أسحقه بالأرض مرّةً بعد مرّة، حتى انطفأ نظره وغاب عن وعيه تحت قدمي.

قالت ميكا بتعالٍ وهي تربع يديها: «تعلمّ درسك أيها النذل. كم كان فظاً...»

وقال كلاود بنظرةٍ نصفية: «يزن... أصبحت تماثل أبي في طريقة قتاله»

تلاشى نمط الحكمة عني. أحسستُ بثقل جسدي الحقيقي يعود، وبرد العرق على ظهري:
«لا تذكرني... تدريبات سموّ الملك أفسى من هذا»

نظرت ميكا حولنا: «علينا إحكام الوثاق على هذا المقاتل حتى لا يهيج مجددًا. هل هناك طريقة
لنختم على قوته؟»

قلتُ وأنا أفكر بسرعة: «يمكن التلاعب بحركته العصبية... لمنعه من استخدام نمط الظلام
مجددًا»

قال كلاود: «آه... تقصد كما فعلتَ معي؟» أشرتُ بالموافقة. «نعم. سيكون ذلك منقذًا»

وختمتُ قوى كولورو. كان الختم عملاً صامتًا؛ لا يراه إلا من يعرف أين تسكن القوة في
العصب، أين يختبئ الطيش في المسارات.

بعد مرور ساعات ساعاتٍ مسحت فيها الكتبتان المنطقية، وعدت خسائرها، وجمعت
جرحاها انضمامنا إلى الجميع للقاء الملكة كونزيت.

جلسنا في حلقةٍ تُشبه هدنةً قصيرة داخل حربٍ طويلة: أنا ملثماً، ميكا، القائدان هنز وتوباز،
ورومي تقف قرب كلاود وقد عاد اللون إلى وجهها قليلاً.

حدّق هنز إليّ، وفي عينيه امتنانٌ صريح: «لولا مجيئك أيها المنقذ... لهلكنا هنا اليوم. أرجوك...
هلاً كشفت عن وجهك؟»

تدخلت الملكة كونزيت فوراً، وصوتها لا يقبل الجدل: «هنز، توقّف عن ذلك. شروط انضمام المنقذ يزن إلى الحرب: فقط في حالة الطوارئ القصوى، وبشرط عدم الكشف عن هويته تحت أي ظرف. هذا مرسومٌ ملكي من سموّ الملك زوراي شخصياً»

خفض هنز نظره، وقال بجذّ: «... سموّ الملكة، أتفهم ذلك. أعتذر عن فظاظتي»

أومأَتْ له.

تنهدت الملكة كونزيت، وخاطبتنا جميعاً: «ضعوا في الحسبان قوة العدو العسكرية. رومي... سترافقين المصابين إلى مملكة اليكس. هنز وتوباز... خذا كل من يمكنه القتال وأمنا المناطق المحيطة بحدود المملكة. سأتنقل مع المنقذ يزن، ومبكا، وكلاود قاصدةً قوات جيش التحالف الرئيسية... نفذوا الأمر على أكمل وجه»

قلنا بصوت واحد: «نعم سموك!»

حلّقت الملكة كونزيت فوقِي، وقالت: «هيا بنا»



الفصل الواحد والعشرون

برق ولهب

على حدود غابة اليكس الشرقية، بعد اجتماع الملك زوراي بالقائدة هيلدا أركاديوس والقائد نارد دومينيك، انفرط جيش التحالف كما اتفق، لا كفوضى بل كجسد يعرف أطرافه.

قاد نارد، ومعه اليكسي بريل لورمان، فيلق المشاة والفرسان: خمسمئة بشر ومئة من الإلف. وتسلّمت هيلدا فيلق سحر الدعم والقتال: خمسمئة بشر ومئة إلف. أمّا زوراي فترأس الطليعة مع قاداته، ومعهم أربعمئة وخمسون من اليكس، ليلبغ مجموعنا على الحدود ستمئة وأربعين، بين دعمٍ وعلاج. وكان العدد الكلي ألفين وثلاثمئة وأربعين.

كان الملك زوراي في كيانه العصبي مستوى البشر يحلّق قرب الطليعة، كأن الهواء لا يسعه. وإلى جواره السيد كادي يقلّب أوراقه بعين لا تهدأ؛ ورقّ أبيض في يدٍ ترتجف من ثقل ما يكتبه.

قال كادي: «سموّ الملك، وُرّع الجيش إلى ثلاث وحدات: جناحين وقلب في الطليعة، ووحدة دعم في المؤخرة. كما تقدّمت وحدة بقيادة الألف هنز أكزيركس لتعزيز حرس الحدود المئة والأربعين كما تقرّر»

هزّ زوراي رأسه، وعيناه معلّقتان على خطّ الأشجار الداكن، حيث يبتلع الظلّ ما وراءه: «أحسنّت يا كادي. سأحاول المفاوضة مع قائمندا... واجبنا أن نُقلّص الخسائر وألا نشعل حرباً

شاملة» ثم خفض نظره لحظة؛ لحظةً شعرتُ أنها تسحب من كتفيه عشرين عامًا دفعة واحدة.
«لكن ما بيني وبينه انتهى منذ عقدين. إن كان هدفه جوهرة مملكة الكس فلن يقبل. عندها...
لا يبقى إلا السيف»

لم يقل كادي شيئاً. ضمّ أوراقه إلى صدره كما يضمّ إنسانٌ خبراً حزيناً قبل أن يهبط على البيت.
حدّق زوراي في الغابة عند حدود سهول «وادي السديم» الشرقية، ثم بصق كلماته بمرارة
مكتومة: «تّبّاً... لقد أتى»

على الجناح الأيمن رفعت هيلدا عصاها، وجسدها مشدود كوترٍ يخترن الصرخة: «سموّ الملك
ديفوت... لقد حان وقت تأرك»

وعلى الجناح الأيسر أحكم نارد قبضته على رمحه الذي يشعّ بضوءٍ زيتيّ، كأن المعدن تذكّر
البرق: «... كم طال انتظاري لهذا اليوم»

ثم جاءت الأرض قبل أن يأتي العدو.

ضربات أقدام تقلع السكون من جذوره، وأبواق بعيدة تشقّ الهواء وتترك فيه طعم الحديد.
خرجت حشود أشباح الظلام من بين الأشجار، تدوس ما أمامها بلا تردّد؛ لا تلتفت، لا تتعثر،
كأنها سيلٌ يعرف مجراه منذ البدء. وفي قلب ذلك السواد، بدا ملك تاج البشرية فأنمذ شامحاً
فوق تينيه الفضيّ الضخم بيلاتوس، فئة فريد ينظر إليهم كما تنظر المقصلة إلى رقبة تعرف
موعداً.

كان جيش دجنة ثلاثة آلاف كيان ظلام، ومع قائمند ستة من نخبة الظلام. وإلى جانبه قائدان بدروع قمعاء السواد؛ سائد كوبات يحمل كنز الصولجان المدبب «بوليكس» ودرع «كيت»، وآرد مجبر يحمل كنز القوس السحري الطويل «نافال» تمركزوا على بعد ألفي قدم، لا يتقدمون ولا يتأخرون، كأنهم يقيسون طول صبرنا لا طول الأرض.

تقدّم قائمند على تينيه، يتبعه سيفان عملاقان يحلقان، وخلفه قائدهما. وتقدّم زوراي ونارد حتى التقوا في منتصف المسافة بين الجيشين، تحت ريح هادئة على نحو مهين؛ ريح لا تليق بمشهدٍ على حافته موت.

من فوق التنين أشهر قائمند سيفه الضخم اربعة أقدام ونصف نحو زوراي ونارد.



ابتسم زوراي، ورفع نظره إليه: «لطالما تلاعب بنا القدر يا ملك تاج البشرية فأنمند... وها هو اليوم الذي تشهر فيه سيفك عليّ»

جاء صوت فأنمند غليظًا، قريبًا من صرير معدن يُسحب من غمدٍ صديء: «ملك اليكس زوراي، والبطل نارد دومينيك... إمّا الخضوع وتسليم جوهرة مملكة اليكس، وإمّا محو المملكة كاملة. والموت لمن يعارضني»

اسودّت نظرة زوراي، كأن الليل سعد إلى عينيه: «تعلم أنني لا أغفر لمن يشهر سيفه نحوي. ولن أسلمك الجوهرة. إن بقي فيك ذرة عقل... اسحب قواتك وعُد من حيث أتيت»

قال فأنمند ببرودٍ يُطفئ الدم: «إذًا الموت»

فم نارد ينقبض قبل أن ينفجر صوته: «كنتُ رزينًا بما يكفي لأسمع ترّهاتك... يا من خنت أصدقاءك! لن أغفر لك أبدًا!»

وانطلق رمحه كبرقٍ محمومٍ إلى صدر فأنمند، لكن بيلاتوس التقطه بمخالبه. ارتجت السماء بصدمةٍ قصيرة، وتراجع التنين والرمح معًا، كأن الهواء تلقى صفة.

في اللحظة نفسها تكوّن تاج ملك اليكس على زوراي، وانفجر كيانه إلى مستوى العملاق. أرسل لكمةً يمنى إلى صدر التنين؛ قفز فأنمند متراجعا، وارتطم بيلاتوس بالأرض على بعد ثلاثين قدمًا، يحطم التراب ويقذف غبارًا خشنًا دخل الحلق وأحرقه.

انزلق قائمند على الأرض وهو يقبض على أحد السيفين: سيفٌ عظيم «سبادون» قال بفتورٍ قايين: «يكفي مهزلة»

لوح بالسبادون، فانشطر كيان زوراي العملاق كما تُشَقُّ الزبدة. ومع ذلك أفلت زوراي بأعجوبةٍ لا تسعها العين داخل جسده المقطوع، ثم انفجر خارجه مسرعًا في الهواء نحو قائمند.

صرخ زوراي: «دعني أمتعك قليلًا... نخب ما كان بيننا، قائمند!»

كوّن قبضةً عملاقةً أخرى؛ قطعها قائمند بالسيف. ومن وسط التمزّق اندفع جسد زوراي الأصغر ليصيب قلبه، لكن قائمند صدّ الضربة بالسبادون وألقى زوراي إلى الأرض. انزلق زوراي وهو يعيد كيانه إلى مستوى البشر.

صرخ: «نارد... الآن!»

رفع نارد يده وأشار بتقدّم الجيش. وفي المقابل أشار قائمند بسيفه فتقدّم جيش الظلام. هبط بيلاتوس بجثته المهيبه قريبًا من سيده، ودوّى وقعُه في الصدور قبل أن يبلغ الآذان.

أمر قائمند: «بيلاتوس، اذهب والعب على الجناح الأيمن» ثم التفت لقائديه: «سائد، مجبر... توليّا نارد دومينيك والجناح الأيسر. أمّا زوراي... فلي»

لم يطل نظر نارد إلى زوراي؛ كانت موافقةً صامتةً تكفي. اندفع مبتعدًا عن مركز المعركة، وتبعه سائد وآرد كذئبين يعرفان طريق الدم.

قال قائمندا، وهو يرفع سيفه كمن يفتح بابًا قديمًا يئنُّ على مفاصله: «هذا ما تريد؟ الآن قاتل دون عوائق... صديقي القديم»

ومن خلف زوراي تشكَّل كيانات بمستوى العملاق، كظليين يمدَّان ذراعين من غضب. صرخ زوراي: «لننهي ما بيننا نهائيًا... قائمندا!»

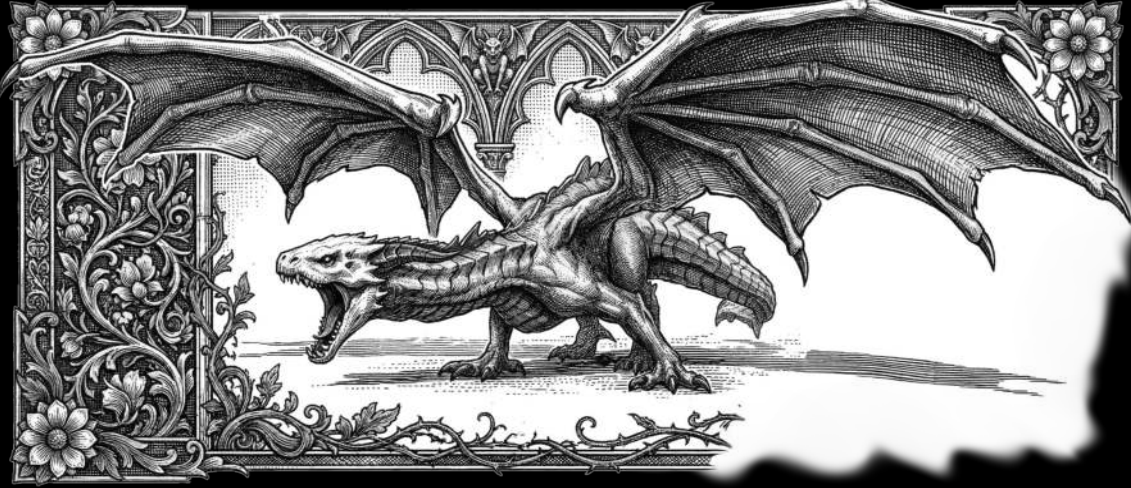
عندها امتزج الجيشان كالماء والخبث. سحرٌ ينهال، وسيوفٌ تقتطع، وصيحاتٌ تُدفن تحت صدمات الحديد. كان للصوت هنا جسد: طقطقة دروع، أئين خشب الرماح، صفير سهامٍ تقطع الهواء، ثم صمْتٌ خاطفٌ كلما سقط رجل ولم يجد وقتًا ليصرخ.

اخترقت نخبة الظلام الستة صفوف التحالف كرماحٍ حيَّة. تمزَّقت الأجساد، وتناثر الدم على ساحةٍ جرداء. لا سيوف البشر، ولا كيانات اليكس، ولا سهام الإلف وسحرهم كانت تُبطئهم؛ كانوا وحوشًا تعرف طريقها إلى القلب، ولا تبحث عن نصرٍ بل عن تمزيق.

على الجناح الشمالي صرخت هيلدا: «نظّموا صفوفكم! لا تخلعوا! أحاطوا بهم! وحدة السحر، أطلقوا وأصيبوا أكبر عدد...» ثم رفعت رأسها للسماء، وكأنها تلتقط ارتجاجًا لا يلتقطه غيرها. «تَبًّا... ليس الآن!»

كان بيلاتوس قد غطى سماء الجناح الشمالي. خفق بجناحيه فأرسل ريحًا تقصف العزائم؛ كأنها تضرب الوجوه كيدي باردة. ثم نفث لهبًا أسود يذيب المعادن قبل أن يلتهم الجلد. تري الرمل يتزجج تحت النار، ورائحة لحمٍ متفحّم تسبق الصراخ بخطوة.

هبط التنين بثقلٍ يحطم الأرض الملتهبة، يدوس حطام الجثث المتخشبة. زأراً؛ زلزلة ضربت القلوب قبل الآذان. وتراجعت الصفوف خلف هيلدا، عيونهم مسمرة على فكه الذي صار قفص سكاكين.



نفث لهباً أسود جديداً. ضربت هيلدا كنز عصا السحر «هدير السماء». فقامت قبة قطرها مئة قدم، تلتفت اللهب واحتملته؛ يسمعون احتكاك النار بالقبة كحكّ سكينٍ على زجاج. شدّت هيلدا على أسنانها: «تعبانٌ لعين... ميادة! سأشغله. تولّي القيادة وهاجموه من الخلف!» أجابت نائبها: «حالاً، سيدتي!»

ما إن توقّف التنين عن النفث حتى انفصلت هيلدا عن فيلقها، طافت حوله على مسافة مئة قدم، وعصاها تضيء بهدوء قاتل: «سحر خارق... أعمدة السماء!»

هوى على بيلاتوس سبعة أعمدة جليدٍ مسنن، طول الواحد عشرة أقدام. اثنان خدشا حراشف ظهره، وواحد غرس في قدمه الأمامية اليمنى، وثلاثة شقّت الأرض خلفه. فتح فكه ليلتهم هيلدا، فاستقر عمود جليدٍ مخترقاً جناحه الأيسر في الأرض تحته، وانتفض بزئير ألم.

صاحت ميادة: «سدّدوا إلى الصدر والرأس! لا تتركوا له مجالاً للهرب!»

وانهمرت ضربات الفيلق السحرية على التنين. هيلدا تلتقط أنفاسها، ثم تمسح بعينيها ساحة القتال كمن يعدّ الناجين واحداً واحداً، لا ليحصيهم بل ليعرف كم بقي لها من الوقت قبل أن يُبتلع كل شيء.

همست أقرب مما يليق بالأمان: «الخصائر كبيرة... ولم يتبع زوراي ولا نارد التنين. إذًا عليّ التعامل معه وحدي، ثم التوجه لدعم بقية الجيش ضد نخبة الظلام»

بعيداً عن ذلك الجحيم ومن آثار الدم على الأرض في أرضٍ جرداء عند «وادي السديم»، اندفع نارد دومينيك بخطى سريعة، يمينه تحمل كنز الرمح «بارديش» ويسراه السيف القصير «سينكيديا» وكان سائد وأرد يتعقّبانه من الخلف؛ ظلان يقتربان كلما اتّسعت المسافة.

نادى سائد وهو يعدو: «قائد أرد! تكفي هذه المسافة... أرده بقوسك الآن!»

انزلق أرد مثبتاً قدميه، وسحب «نافال»؛ تجمّعت قوى الظلام حتى تكوّنت ثلاثة سهام. قال: «ذلك ما أنوي فعله!» وأطلقها.

التفت نارد بلمحةٍ غاضبة، غيّر مساره وانقض نحوهما. صدّ سهمًا بسيفه، ثم اندفع ببارديش ضربةً قاطعة نحو سائد. احتفى سائد بدرع «كيت»، لكن الصدمة دفعته يتدحرج للخلف. لم يتركه آرد يلتقط الهواء؛ أمطره بسهام أخرى، فصار نارد بين سحقي وثقب، بين درعٍ يُغلق ومجرى سهمٍ يبحث عن لحم.

قال آرد وهو يعيد شدّ القوس: «سائد، توقّف عن العبث! كيف تسقط من هجوم كهذا؟»

زمجر سائد وهو ينهض ويلتقط درعه: «اصمت أيها الألف الجاهل. ألا تعلم من هذا؟ إنه أمير البرق، بطل الرمح دومينيك... تبًا، ما أثقل هجماته، كما توقّعت من اليد اليمنى لملك المناهج!» وانقض.

رفع نارد رأسه، وبرودة قاتلة في صوته: «هل كل من في «مملكة دجنتة» ثرثارون؟ لتعلموا أنني سأحصد أرواحكم أنتم وملككم فأنمند بهذا الرمح»

هاجم، والتقت حوله تيارات ربح: «اندفاع الإعصار!»

قُطعت الرياح أربعين قدمًا كحدّ مسنون، استهدفت آرد. أفلت بالكاد، لكن التيارات مرّقت درعه وشقّت جسده بجروحٍ قاطعة؛ سقط وهو يصرخ ودُفع على الأرض، ثم نهض وهو يشهر «نافال» من جديد ويده ترتعش لا من الخوف وحده بل من الألم.

ولم يتوقف نارد. دار ببارديش كمروحةٍ أفقية ينهش بها دفاع سائد. كان سائد يصدّ ضربةً بعد أخرى بدرعه، وكل صدمة تترك فيه ندبةً لا تُرى إلا في تراجع نصف خطوة. قنص سهمٌ عين

نارد؛ صدّه بسيفه، وفي الفُرجة لمع «بوليكس» أصابت ضربة الصولجان صدر نارد واخترقت درعه. ارتدّ بعنف، والدم يندفع وهو يحاول كتم النزيف بقبضةٍ ترتجف.

تمتم نارد، ووجهه يشحب: «سحقًا... استهنت بهما»

شهق سائد وهو يرفع صوته: «أحسنت يا آرد! ادعمني من الخلف. سأدخل نمط استيقاظ الظلام للقضاء عليه»

قال آرد، وهو يتألم خلفه ويثبت قوسه: «نمط استيقاظ الظلام؟ حسناً... أشعر أنه يماطل... تَبًّا، كم هذا مؤلم»

التفت نارد لحظة إلى ضجيج الساحة البعيدة كيان زوراي العملاق، وظلّ بيلاتوس في أقصى الشمال ثم عاد بعينين حاسمتين: «كنت أنوي أن أحتفظ بفنون الأثير لقتل فائمنند... لكن لا خيار»

توهّج «بوليكس» اشتعلت السنة لهبٍ أسود، وتضخمت عضلات سائد قليلاً. رفع صولجانه: «الانهمار الهائل!»

انقبض صدر نارد: «هناك شيء مريب»

هوت أمامه كتلة صولجانٍ عملاقة من قوى الظلام، ثم ثانية وثالثة... صخورٌ من السماء لا تعرف رحمة. ركض نارد حول سائد يبحث عن ثغرة، وفي الوقت نفسه يصدّ بسيفه سهام آرد. كان عليه أن يختار مع كل نفس: إمّا أن يُسحق، أو يُثقب.

قال وهو يلهث: «إنه لا يمزح... هذا انهماك هائل حقًا... عليّ التحرك أو... تَبًّا!»

اخترق سهم ظلام كتفه الأيسر. انحنى جسده، وتلطح التراب بدمه. ثم هوت ثلاثة صوالمج دفعةً واحدة، سحقت الأرض حيث سقط، وابتلع الغبار آخر ما تبقى من صوته.

زفر سائد، وعرقٌ مظلم على جبينه: «بلا شك... سُحق نارد دومينيك. هذا النمط يستهلك حدّي الذهني» ثم التفت إلى مكان السحق، وتجمّد صوته: «ما الذي...؟»

اندلع ضوء أبيض ساطع من بين الصوالمج، تبعه صوت متذبذب كوترٍ في عاصفة. اخترقت صدمة رعد الصولجان، وخرج نارد يمشي بهدوء، وشحنات البرق تتصادم على جسده حتى انتهت عند «بارديش» و«سينكيديا»

قال: «فنون الأثير... تنشيط بوابة البرق!»

دوى رعد على مدى ستين قدمًا، واختفى من نظر سائد: «أين اختفى؟!»

لم يمهله. في ثانية واحدة كان نارد خلف درع «كيت»؛ اخترق «بارديش» الدرع وغاص في كتف سائد الأيمن، ثم لمع «سينكيديا» فقطع يده اليمنى. وقبل أن يكتمل الصراخ، دار نارد برمحه ضربةً قاطعة مزّقت الصدر بانفجار صاعق. سقط سائد جاثيًا، ثم هوى على وجهه، جسده مشويًا على امتداد الألم.

ترجع آرد مجبر، وعينه جاحظتان، والقوس يرتجف بين يديه: «ما الذي... سائدا! سائدا! أفق... أرجوك!»

نفذ نارد دم سائد الأسود عن رمحه، وصوته يقطر رعدًا: «كفّ عواءك وتأهّب... أنت التالي»
رفع آرد «نافال»، يستعدّ لآخر ما يملك.

وفي تلك اللحظة انقضّت القائدة الفارسة جوري فريلي من حدود الغابة، ممتطية ذئبها أونيكس ملحمةً من أنيابٍ ومخالبٍ واتجهت مباشرةً إلى نارد.

اختفى نارد كصدمة برق، وأرسل رمحه نحو الذئب. قفزت جوري عن أونيكس بأعجوبة، وهبطت قرب آرد.

شهق آرد: «جوري!»

قالت جوري دون أن تزيح نظرها عن العدو: «آرد! لا تُنزل قوسك عنه. ما حال القائد سائد؟»

ابتلع آرد ريقه وهو يسدّد: «مات... مات برمح ذلك الرجل اللعين. يدعى نارد دومينيك... إنه خطير، يا قائد جوري»

اشتعلت قوى الظلام حول جوري، كأنها تستعيد اسمًا من حفرةٍ قديمة: «... نعم. أعرفه جيدًا. مرّ وقت طويل، أمير البرق... ألا تريد رفقةً بأصدقائك القدامى؟»

تلعثم آرد، مذهولاً: «بحق السماء... ما الذي تقولينه؟»

كان نارد على بعد سبعين قدمًا، رمحه منخفض كأنه يزن المسافة لا الحياة. قال بظلمة صافية:
«جوري... سأعص الطرف إن تراجع. لكن إن اعترضت طريقي بيني وبين فانمند، فسأمرك
بهذا الرمح»

وقفت جوري إلى جوار أونيكس، تتأهب: «للأسف لا أستطيع. آرد... مهما يحدث لنا ليس
مهمًا. هذا الرجل لن يقترب من سمو الملك فانمند ونحن أحياء»

شدّ آرد الوتر، وثبت «نافال» على نارد، كأن الهواء نفسه صار سهمًا ينتظر الإطلاق.



الفصل الثاني والعشرون

تاج البشرية وتاج البكس

لم أكن حاضرًا حين انصرف القائد نارد دومينيك عن قلب الساحة، يتبعه قائدا الظلام؛ سائد كوبات وآرد مجبر. غير أنّ الأرض هناك في خراب «وادي السديم» لم تكن صمّاء؛ كانت تحتفظ ببصمات الخطوات، وبقايا السحر، ورائحة الحديد الحار. ومن ذلك الأثر قرأتُ ما جرى بين «الملك فانمند دون وفان» و«الملك زوراي إكليروس»، حين تُركا وحدهما وجهًا لوجه.

كان فانمند في نمط تاج الظلام، وخلفه سيفان من كنوز العرش؛ سبادون ومملوك. رفع «مملوك» كمن يزيح قفلًا عن باب عتيق، وقال ببرودٍ يابس: «هذا ما تريد؟ الآن يمكنك القتال دون عوائق، صديقي القديم...»

وزوراي في نمط التاج كان داخل كيانه العصبي (مستوى البشر)، ومن خلفه يتشكّل كيانه بمستوى العملاق، ظلّان أزرقان يثقلان الهواء. صرخ، كأن الصرخة تُزاحم الرعد: «لننّه ما كان بيننا نهائيًا... فانمند!»

اندفع زوراي ثلاثين قدمًا. تلقّاه فانمند بعرض السيف؛ اصطدمت قبضة زوراي الثقيلة بالنصل، فارتجّ الحديد، وردّها فانمند بعنفٍ كسر الدفاع، ثم طعن بـ«مملوك» نحو صدر زوراي داخل كيانه. أفلت زوراي بميل جسده، وركل الشفرة بقدمه فارتفعت، وخرجت منه شتيمَةٌ كلسعة: «أبها الوعد!»

لم يتركه فأنمند يلتقط نَفْسًا. اشتعلت يده اليسرى بسوادٍ كثيف، وضرب الأرض: «انتشار فوضى الظلام!»

انبثقت كتلٌ مسنّنة من قوى الظلام، كشوكية عملاقة تشق التراب وتعلو ثماني أقدام. مرّقت كيان زوراي البشري، وابتلع الرمل الصدى، ثم هبط صمّت قاتل لا يقطعه إلا وقع خطواتٍ ضخمة تقترب.

فأنمند تتمم وسط الغبار، كمن يعصّ على ذكرى: «كم كرهتُ قدرتك هذه...»

انقصت عليه قبضة عملاقة من أحد كياني زوراي. صدّها فأنمند برقصة سيف، ثم أتبعها بضريةٍ قطعت رأس الكيان فتلاشى كالرماد. وجاء الكيان الآخر بركلةٍ أطاحت به عاليًا؛ وفي الجو حاول سحقه بقبضته، لكن فأنمند عدّل جسده، وشقّ الكيان بنصلٍ واحد.

وكان يهبط والرمال تثور تحته حين قال، والسخرية تقطر من فمه: «...لم أعهد منك هواية ركل أعدائك، زوراي...»

ردّ زوراي من قلب الغبار، وهو ينقض صاعدًا: «...أنت الوحيد الذي أوّد ركله بشدة، فأنمند!»

اصطدم به بجسده الصغير كقذيفة، وضرب معدته ضربةً تريد اختراقه، تقلبا في الهواء. تمسّك زوراي بدرع فأنمند، وحدّق في عينيه الباردتين. صاح، وغضب الأزرع يفور في عروقه: «بدرانس... هيليس... لجين... تبًا لك! لم قتلتهم؟ ولم قتلت ملك المناهج ديفود؟ ولم قتلت أصدقاءنا؟!»

لم تتبدّل ملامح فأنمند. خرج صوته معدنيًا، ثقيلًا، كأنه قادمٌ من جوف سلاح: «لن تفهم أبدًا. خائنًا كنتُ أو سقًا... كم من ملوك تيجان العرش، وكم من الممالك سأمحو... سأقضي على كل من لم يرتقٍ لما أهدف إليه، حتى يظهر ما يحقق مبتغاي... ولو عبرتُ جثتك وركام مملكتك»

تلك اللحظة، دمعاً لم يستطع زوراي حبسها قبل أن يُجمد وجهه. كوّن كيانًا عصبيًا بمستوى العملاق، وحاول أن يسحق فأنمند تحت قدمه. بتر فأنمند القدم بضربةٍ من سيفه «مملوك»، لكن قبضة الكيان العملاق المتبقي لحقت به كصاعقة، فأرسلته من السماء إلى الأرض بانفجارٍ هزّ متني قدم. انهذت الصخور، وتطاير الحصى، حتى بدأ أنّ المعارك حولهما انكلمشت إلى همسٍ بعيد.

حلّق زوراي فوق الخراب، وخلق في السماء مئة كتلةٍ مسنّنة عملاقة من السحر الأزرق، بطول عشر أقدام: «لتخلد للنوم الأبدي، صديقي فأنمند! سحر خارق مستوى تكتيكي شظايا الفضاء!»

انهالت الشظايا على موضع سقوط فأنمند، قطعت الصخر وخرّبت الأرض حتى غدت تضاربها كجرّحٍ مفتوح. ثم هبط زوراي هبوطًا هادئًا، وأعاد تكوين كيانه البشري.

وحين انكشف الغبار... وقف فأنمند مبتسمًا كأن شيئًا لم يحدث. مد يده نحو زوراي. حوله انتشرت ستمائة قطعةٍ مسنّنة من قوى الظلام، كأنها تنتظر إشارةً واحدةً لتغرس نفسها في العالم.

قال من خمسين قدمًا: «أهذه عزيمة؟ بمستواك هذا لن تستطيع مواجهتي أبدًا» ثم أشار بيده نحو صفوف جيش التحالف المنهمكة في قتال كيانات الظلام: «سحر خارق مستوى استراتيجي»

وانهمرت الشظايا السوداء على خطوط التحالف. اخترقت الدروع والدفاعات، بترت أطرافًا، ومزقت أجسادًا. امتد الموت حتى حدود غابة اليكس. وهناك كما شاهدتُ بنفسي بعد ساعات رأيتُ الرعب يرسم وجه زوراي، لا من الخوف، بل من قسوة قلب فأنمند.

حلّق فأنمند بهدوء، والسيقان خلفه كقمرين مظلمين: «في النهاية لم تستطع إنقاذهم... ولن تستطيع إنقاذي، زوراي. سأجبر كل ما في هذا العالم أرضه وسماؤه وجوفه وبحره تحت قبضتي لتحقيق مرادي، ولو حولتهم جميعًا إلى أنقاض»

انتفض زوراي، وعمّق الأزرق في جسده ظلّاه: «أتظن أن روح زوجتك... ملكة الظلام ليلى... أو ابنتك لمياء سترضى بأفعالك؟ أم دمار الممالك وسرقة أحجارها سينقذك أنت أو ابنتك من الهلاك؟ تَبًّا لك! انتزعت تلك المشاعر من صدري منذ زمن... لذا سأضع حدًّا لكل هذا بموتنا معًا»

حدّق فأنمند فيه، والحدّة تشق نظرتَه كحدّ السكين: «تعتقد أن رغبتهما تهمني؟ وتجعلني سبيل هروبك مما هو محتم لك؟ ستهلك وحدك... وسأحقق أنا ذلك»

قال زوراي وهو يتخذ وضعه داخل كيانه البشري: «تعال. لنر إن كنت تستطيع أم لا»

تراكبت السحب فوق أفق الجنوب، وخنقت ضوء النهار بناير وبرق. كانت الجثث في «وادي السديم» كأنها تُسقي أحلامًا مقطوعة. هناك التقيا بسيفٍ وقبضة.

اندفع قائمند بسيفين أحدهما يمتد كأن طوله ستين قدمًا وقابله زوراي. حاول قائمند شطر زوراي وكيانه معًا؛ أفلت زوراي إلى اليسار، فلاحقه النصل الآخر داخل الكيان. تفادى زوراي مرةً أخرى، ثم انقض بجسده الصغير متخليًا عن كيانه نحو رأس قائمند. اعترضه قائمند، وردّه إلى الأرض، فانزلق زوراي خمسة عشر قدمًا، وترك الرمل خطًا داكنًا تحت كفيه.

صرخ زوراي وهو ينهض: «كيان عصبي مستوى العملاق!»

ركل زوراي بقدم كيانه العملاق، فأرسل قائمند محلقةً. ومن فوره أطلق قائمند: «شظايا الظلام!»

أمطرت الشظايا زوراي وكيانه، وهاج الرمل كأنه يغلي. اندفع زوراي كالقذيفة وسط المطر الأسود: «تدرك أن هذا لن يسقطني!»

ردّ قائمند وهو يرمي أحد سيفيه كالرمح نحو صدره: «لكن سيقلل حركته...»

تفادى زوراي بأعجوبة ليصطدم به النصل الآخر. شقّ صدره ومزّق درعه. سقط زوراي على الرمل الممزوج بدمه، وصرخ: «ليس بعد!»

انفجر منه كيانٌ عملاقٌ جديد. شقه فأنمند ببراعة، لكن زوراي ركل النصل بقدمه فأخلّ توازن فأنمند لحظةً. اقتنص زوراي الفرصة وقفز إلى عنق فأنمند، تشبّث به، وتوهّج تاج اليكس بعنفٍ مفاجئ: «هنا والآن! سأنتهي كل شيء، فأنمند! فنون اليكس الاندماج العصبي!»

لمح فأنمند الفاجعة في اللحظة نفسها: «ما الذي...؟!»

انفجرت من تاج زوراي حركةٌ منهجيةٌ صاعقة، ترددت بين جسديهما، وضربت جهاز فأنمند العصبي بعنفٍ يريد إنهاء حياتهما معًا. تشنج فأنمند حتى بدا شبه مشلول، ثم ضحك ضحكةً خشنة، وصرخ: «أيها الوغد! تظن طموحي واهنًا حتى تقف في طريقي؟ لا تجعلني أضحك!»

انفجرت منه قوى ظلام عشوائية. قاومها زوراي وهو لا يزال متشبّثًا بعنقه، لكن قوته خارت. ارتد زوراي أخيرًا وارتطم بالرمال مشلولًا. تصاعد منه بخارٌ حار، ونزف صدره بغزارة من شق الدرع.

وقف فأنمند فوقه، وشهر «مملوك» نحو عنقه: «أتمازحني؟ كان عليك الخضوع فحسب... الآن أنت ومملكك لها الكون!»

كان زوراي يغيب. تاجه يتلاشى كما يتلاشى ضوءٌ في آخر النهار. همس والدم يملأ صدره ويقطع كلماته: «ضحك علينا القدر... وانغمست في الظلام بعيدًا... صديقي القديم... لم أستطع إنقاذك... سامحني... كونزيت... سامحيني...»

رفع فأنمند سيفه... وأنزله.

ارتدّ النصل عاليًا مع رنينٍ كالصاعقة. تحطم سيف الجليد إلى شظايا في الهواء. يدٌ خطفت زوراي من تحت الضربة، وثبتت الأقدام في الأرض كأنها وتد.

تلاقت دهشة فأنمند بإصرار فتى ملثم جنباً إلى جنب بين مختاري تاج البشر والبكس.

كنتُ أنا.

قبل ساعات قليلة...

كنتُ أركض بين أشجار غابات البكس الشرقية العملاقة، سهماً يشق الظلال نحو وادي السديم. كان كلاود متشبثاً بكتفي الأيسر، وميكا بكتفي الأيمن، وجلست الملكة كونزيت فوق رأسي كأنها تجمع الخوف كله في كفّها وتمنعه من الانسكاب.

قال كلاود وهو يلهث، وصوته يضيع بين اصطكاك الأعصان: «كانت معركةً من طرف واحد... ما يقلقني كيانات الظلام. وضعت القائدين توباز وهنزر في حالٍ يرثى لها»

قالت كونزيت، وقلقها يتخفى وراء انضباط ملكي: «نخبة كيانات الظلام خطرٌ حقيقي... عددهم كان فرقة، ومع ذلك دحروا حرس الحدود بقيادة رومي بسهولة. نقطة ضعفهم هي المضيف»

قلتُ وأنا أسرع، أزن المسافة بعيني والهواء برثتي: «تقصدين قادة الظلام. هم في مستوى آخر... وردعهم صعب، وهم قادرون على الدخول إلى نمط حرق المناهج. لكنني لا أراهم ندًا لمستوى قوة سمو الملك زوراي»

ابتسمت ميكا برأفةٍ تحاول ستر ارتجافها: «أترين يا أمي؟ حتى يزن يرى ذلك. لا تقلقي... أبي سيكون بخير»

أومات كونزيت، وابتسامتها قشرة رقيقة فوق قلبي لا يهدأ: «نعم... زوجي زوراي قوي. توخوا الحذر حتى نحتفل بنصرنا»

خرجنا من بين الأشجار... فدخلت رائحة الدم إلى فمي كالمعدن المحروق. كان «وادي السديم» جحيماً مفتوحاً: جثت في كل اتجاه، وغبارٌ يلتصق باللسان، وصراخٌ يتقطع ثم ينطفئ. غرباً كان جيش التحالف يتراجع تحت شراسة لا ترحم. كيانات الظلام تمزق المقاتلين كما تمزق الريح قماشاً مهترئاً. وفي الشمال الشرقي لمحتُ كيان زوراي بمستوى العملاق، ومعه تينٌ مقيد بأعمدة الجليد في أقصى الشمال.

قال كلاود بصوتٍ انكسر: «ما هذا الجحيم!»

حدقت ميكا نحو الشمال: «...أمي! تلك كيانات أبي... لا يزال يقاتل. لكن لا كتائب حوله... هذا قتال فردي؟»

قالت كونزيت سريعاً، كمن يبذل الخطة بحد السكين: «على الأرجح يقاتل فأنمند وحده. الوضع سيئ. يزن نحو مؤخرة الجيش، أريد فهم الصورة من هناك!»

لكن كلاود أشار: «سموك، هناك! القائد الأعلى نارد دومينيك يقاتل وحده تلك المرأة ذات الذئب... ومعها رجل آخر!»

بدلت كونزيت القرار في لحظة: «يزن، تعيّر الهدف. تأمين ودعم الرجل صاحب الرمح!»

قلتُ: «نعم، سموك»، ودخلت نمط حكيمة السحر مستعينًا بميكا.

كان نارد دومينيك في نمط بوابة البرق، يحمل كنز الرمح، ويواجه قائد الظلام الألف آرد مجبر بقوسه، وجوري فريلي في نمط لهب الظلام مع ذئبها أونكس. كان البرق حول نارد يصفّر، ويترك في الهواء رائحة أوزونٍ حادة.

قال نارد ببرودٍ قاتل: «تذكران... أنتما من اعترض طريقي»

انفجرت يد جوري بقوى الظلام: «لن أدعك تمس الملك فانمند أبدًا! سأحرق كل عظمة في جسدك، نارد!»

اندفعت النيران نحوه ثم اختفى كالرعد. ظهر طرف رمحه قرب عنقها؛ تراجعت مذعورة. وفي اللحظة نفسها جاءت سهام آرد تستهدف رأسه، وردّها نارد بسيفٍ قصير. قفز أونكس بأنيابه، فتراجع نارد بقدر شعرة، والهواء يئنّ تحت مخالفه.

لمحّت جوري تلتقطني بعينٍ مرتعبة: «ذلك القزم... كولورو خسر؟ لا يمكن!» ثم صرخت لآرد: «أردعه! إن ذلك القزم خطير! أنا وأونكس نتولى نارد!»

شدّ آرد قوسه، وتكوّنت سهامٌ تلتهب بالظلام: «لك ذلك... لكن توخي الحذر، جوري!»

انطلقتُ نحوه. وعلى مسافة سبعين قدمًا أطلقتُ ست قذائفٍ جليدٍ متتابعة. تفادها وعا شمالًا، وأنا أطارِد موازيًا له، أسمع اصطكاك قدميه بالرمل كطبولٍ صغيرة.

قال آرد وهو يلهث بسخريةٍ قاسية: «من بطل رمح إلى قاذف سحر؟ سئمت! ساريك!» وأطلق سبع سهامٍ ظلامٍ متتابعة.

تفاديت اثنتين، وانفجرتا لهبًا أسود حيث لامستا الأرض. أسقطتُ اثنتين بقذائفٍ جليدٍ، ورددت اثنتين بسيفٍ جليدٍ تشكّل في يدي، وكدتُ أصاب بالأخيرة؛ مرّت قرب وجهي وتركت على خدي وخزّةً باردة.

همست كونزيت فوق رأسي: «بزن، قرّب المسافة. القتال عن قرب أفضل!»

قلتُ: «نعم، سموك!»

دفعت جسدي للأمام، وضغطتُ عليه بقذائفٍ جليدٍ متلاحقة. عند ثلاثين قدمًا تزلق آرد وتبّت قدميه، واشتعل قوسه بلهبٍ مظلمٍ ابتلع ذراعيه: نمط حرق المناهج.

صرخ: «احترق أيها الصعلوك!» وأمطر المنطقة بسهامٍ كالْمَطْر الأسود. اشتعل محيط خمسة عشر قدمًا، وتحوّل الرمل إلى قشرةٍ تتفرقع.

ومن بين النار اندفعتُ قبل أن يعيد سحب القوس. قذيفة واحدة... جمّدت يديه قبل الإطلاق.

اتسعت عيناه: «... ما هذا الوحش! لا تقترب مني!»

قلتُ وأنا أقبض على غضبي كي لا يسبقني: «بعد قتل كل هذه الأرواح... توّسل إن أمكنك ذلك»

لكمته لكمةً حطمت معصمه. تدرج، وانفجرت سهامه المكدّسة بلهيب الظلام، والتهمته.

راح يتخبط والنار تأكله، يصرخ من أعماقه: «لا! لا! لا أريد الموت! أرجوكم... ساعدني!»

وقفتُ فوقه. وكنت أسمع كلاود على كتفي يقطر احتقارًا: «الآن تتوسل؟ ماذا عن الذين قتلتهم؟ أتم لا تستحقون الرحمة!»

خفضت ميكا نظرها، كأنها تحاول أن تحمي شيئًا هشًّا داخلها من هذا المشهد.

صار آرد يبكي ويصرخ بأسماءٍ تتكسر في فمه: «جوري! ساعديني... لمينا... أمي... أنقذيني!»

شعرت كونزيت بحركتي: «يزن؟»

جثوثُ قربه، وضعتُ يدي على صدره المحترق. كان الجلد يئن تحت كفي كخشبٍ يُلقى في فرن: «فنون الملوك التسارع العصبي الأقصى»

خدمت ألسنة لهب الظلام، وبدأ جسده يلتئم تدريجيًّا حتى غاب عن الوعي، منهكًا من الألم.

انفجر كلاود: «يزن! فعلتها؟ هؤلاء قتلوا إخواننا وأصدقاءنا!»

قلتُ بصوتٍ منخفضٍ، كأني أخاطب نفسي أيضًا: «اعذرنِي... لم أستطع الوقوف ساكنًا. إن أمكن... لا أريد إزهاق المزيد من الأرواح...»

قاطعني كلاود وهو يشير إلى الوادي: «انظر حولك! ماذا عن هؤلاء؟ ألا يستحقون فرصة؟ أم أنهم عندك جثث فحسب؟»

قطعت كونزيت غضبه بحدّة: «كلاود! توقّف. ألزم حدودك. ليس لك حقٌّ في أمر يزن. لا وقت لهذا الآن»

سكت كلاود أخيرًا، ومرّ في صوته شيء يشبه الندم: «...يزن، لم أستطع تمالك نفسي»

قلتُ: «لا بأس... أتفهم غضبك...»

عندها فقط التفتُّ إلى نارد. كان مغطى برداذ دماء سوداء، وقد خمد نمط بوابة البرق. كانت جوري ملقاة تتنفس بصعوبة، والدم يخرج من عينيها وفمها. وأونكس على بركةٍ من دمه بجرح عميق، يرفع رأسه بصعوبة ثم يتركه يسقط.

قالت كونزيت: «قائد نارد... مرّ وقت طويل. هذه المروّضة جوري فريلي»

تراجع نارد نصف خطوة، دهشةٌ صافية على وجهه: «كونزيت؟ متى تحررت من الجوهرة؟ والأميرين كلاود وميكا أيضًا...» ثم حدّق بي: «ومن هذا... القزم؟ شعورٌ مألوف...»

قالت كونزيت وهي تنظر إلى جوري: «حدث الكثير. أَلن تُنهي حياتها؟»

خفض نارد نظره، ووجهه يثقل كأنه يحمل قرارًا لا يشبهه: «...لا أعلم»

تنهدت كونزيت: «بزن، هلا أمكنك؟»

فعلت فنون الملوك بضوءٍ ذهبي خافت، وشفيتُ جوري وأونكس، بينما كان كلاود يكاد يخنق بالاعتراض.

شدّ نارد قبضته على رمحه، ونظرته تجرحني: «فنون الملوك المنسية؟ ملكة كونزيت... من هذا الملثم؟ لم يستخدم فنون الملوك؟»

أجابت كونزيت بثبات: «في الوقت الراهن يدعي المنقذ. هو جدير بالثقة، ولأسبابٍ عامة يفصل أن يبقى مجهولاً... هذا قرار الملك زوراي. والآن إلى مؤخرة الجيش المعركة لم تنته»

تمتم نارد كمن يبتلع سؤالاً حاداً: «زوراي قال ذلك؟ حسناً... للوقت الراهن»

أمرت كونزيت: «كلاود ونارد، احملا قائدي الظلام كرهائن. قد يكونان مفتاح تفاوض مع الملك فأنمند»

دخلنا خطوط التحالف الخلفية. كان الجنود يهتفون وهم يلمحون الأسرى. سلّم نارد جوري إلى نخبةٍ من الجنود، وبدأ يخلع درع صدره: «...كادي! أحذكم فليطلع السيد كادي!»

جاء السيد كادي محلّقاً بين المقاتلين: «القائد الأعلى نارد... اثنان من قادة فأنمند وحدك؟ كما هو متوقع من أمير البرق» ثم رأى كونزيت فوق رأسي: «سمو الملكة! لم أنت هنا؟»

قالت كونزيت: «تصدّينا لهجوم قائدین على حدود المملكة... وانتهى بنا الحال هنا. ما الوضع؟»

أجاب كادي وهو ينظر للساحة: «قوى العدو تقلصت من ألفي كيان ظلام إلى قرابة الألف. قادة اليكس الخمسة قضوا على اثنين من نخبة الظلام بجروح خطيرة. قوات القائد الأعلى نارد وسمو الملك زوراي معاً قرابة الألف يصدّون الجسم الرئيسي للعدو. وفي الشمال القائد الأعلى هيلدا أركاديوس بست مئة مقاتل وساحر يقاتل تنين فأنمند بيلاتوس فريداً من نوعه»

سألت كونزيت بعينٍ لا تطمئن، كأنها تتوقع الإجابة وتخشى سماعها: «وسمو الملك زوراي؟»

قال نارد وهو يضمّد كتفه المصاب: «كُلفتُ بفصل قادة الظلام عن فأنمند... أما زوراي فيقاتل فأنمند وحده شرق الوادي. يمكنك سماع دوي ملوك العرش من هنا. علينا الإسراع»

رفعتُ بصري نحو الشرق. كانت الرمال تهتاج كستارٍ من العنف، والرؤية تتكسر. قرأتُ الوقت والفضاء بفنون الملوك، وشعرتُ بالكوارث قبل أن تصل، كما يشعر الجسد بالبرد قبل المطر.

صرختُ: «هجومٌ سحري! جميعكم احتموا! ميكا!»

من على كتفي، دخلت ميكا نمط حكيمة السحر الثاني. ريشٌ ناصع البياض أضاء بهدوء، كعباءةٍ تغلق عليّ ضجيج العالم، وغطى جسدي كله. شددتُ قبضتي على عصا الحكيمّة التي فاضت بسحرٍ أزرق، يضرب كالنّفّس البارد.

لامست كونزيت مؤخرة عنقي: «يزن، انسخ إشاراتي العصبية» ثم أطلقت: «سحر الدعم هدير السماء مستوى تكتيكي!»

تكوّنت قبة بيضاء من العصا، غطت ثلاثمائة قدم حولنا. وانهمرت شظايا الظلام المسننة على الخطوط الأمامية، تمزقهم موتًا. صدّت القبة بعض الشظايا، واخترقتها أخرى... دماز لم يشهده من قبل. كنت أسمع الشظايا وهي ترتطم بالقبة كحبات بردٍ على زجاج، ثم أسمع بعدها الصرخة التي لا تجد لها وقتًا.

زمجر نارد: «ذلك الوغد قائمندا! جميعكم تأهبوا! كادي اهتموا بالمصابين واسحبوا المؤخرة إلى حدود الغابة! لن نحتمل إصابة أخرى كهذه...» ثم رفع رمحه: «سأقتل هذا الوغد بيدي!»

همست كونزيت لنفسها بخوفٍ لم تستطع دفنه: «هجومٌ مباشر من قائمندا... هل حدث شيء لزوراي؟»

قلتُ: «سمو الملكة... علينا إيقاف قائمندا»

قفز كلاود على كتفي: «لا يمكننا الوقوف هنا يا أمي. علينا الذهاب... أبي هناك»

حسمت كونزيت الأمر: «حسنًا. لنوقف هذه الحرب. نارد سننضم لك. هيا بنا، يزن!»

قلتُ: «حالا، سموك»

وانطلقنا أنا ونارد سهمين متوازيين وسط ساحةٍ مكتظةٍ بكيانات الظلام. كانت تتساقط تحت ضربات رمحه وقذائف جليدي. كنت أشم رائحة الغبار المحترق، وأرى الأجساد تترنح كدمى تُقطع خيوطها، حتى شققنا طريقاً بين الزحام.

قال نارد وهو يقاتل بلا توقف، ونَفَسه يخرج كشرر: «لا بأس بك أيها المنقذ... لكن لا نهاية لهم. سأُنشئ طريقاً. أمّن لي الحماية من الخلف. فنون الأثير بوابة البرق!»

غلقتي نمط الظلام الخاص بكلاود، وتكوّن سيف جليد في يدي اليمنى: «لك ذلك. فنون الملوك التسارع العصبي الأوسط!»

امتزج برق نارد بفصّتي، وصرّت أرى ساحة المعركة كخطوطٍ تتراجع. انطلقنا كبرقين، حتى لمحّته.

كان قائمنا في نمط تاج الظلام، واقفاً فوق جسد زوراي. رفع «مملوك» لينهيه.

توقف شيء في صدري، كأن قلباً قد نسي وظيفته لحظة. سمعت ميكا وكلاود ينهاران خلفي ورأيت كونزيت تتصلّب كمن تُكسر روحه ولا يُسمع له بالصراخ.

قلت وأنا أحرق ما تبقى في جسدي: «ليس بعد. فنون الملوك التسارع العصبي الأقصى!»

وصلت في اللحظة التي تدارك فيها النصل عنق زوراي. ضربته من أسفل إلى أعلى بسيف الجليد، كأنني انتقلت لا ركضت. اصطدم «مملوك» بنصلي، ورنّ المعدن. تناثرت شظايا الجليد في الهواء... وارتد سيف قائمنا عن عنق زوراي.

رفعتُ زوراي من تحت الموت المحتم ونظرتُ إلى فأنمند وجهًا لوجه.



الفصل الثالث والعشرون

شجاعة أم جنون

ارتدَّ سيفُ ملكِ تاجِ البشرية فأنمَد عن عنق زوراي في اللحظة التي خطفتُ فيها جسده من موتٍ مُحَقَّق. رأيتُ حدَّ النصل يلمع ثم ينزلق كأنه صدم هواءً صلبًا. تراجع فأنمَد خطوة بدهشة خاطفة، ثم ثبت قدميه على بُعد خمس أقدام مني، وأحكم قبضته على سيفيه العظيمين «سبادون» و«مملوك»

صرخ: «مُت أيها الوقح!»

اندفع نحوِي كعاصفةٍ تقطع النفس. لم أجد غير أن أستدعي سيفًا جليديًا على عجل؛ وما إن اكتمل حتى شطره «سبادون» بضربةٍ من يساره. دوَّى الانشقاق في الأرض نفسها، وارتجَّت الركبة تحت جسدي. صعدت الصدمة إلى صدري، أفلتتُ توازني، استدرّني الدوران، ثم تدرجت وسط غبارٍ حارقٍ في الحلق.

نهضتُ وأنا أرتجف، ممزق الاندماج، وحملتُ زوراي إلى كلاود وكونزيت على كتفي الأيمن. «كونزيت! بسرعة، باشري علاجه... ما زال واعيًا!»

انحنى الملكة وهي ترتعش، مزّقت قطعة من ثوبها، شدّت بها نزف صدره، ثم أشعلت سحر الدم. قالت بعينين زائغتين كمن يبحث عن مخرجٍ في جدار: «علينا الخروج من هنا يا يزن!»

كان كلاود يضغط على صوته كي لا ينكسر: «أبي! أسمعني؟» وكانت ميكا تحدّق في الدم كأنه شيء لا يصدق أن يكون حقيقيًا: «إصابته بليغة...»

راقبتُ الغبار المتصاعد. فأنمند لا يترك فريسة. قلتُ: «انسحاب... لكن ليس وهو يتصيدنا. ميكا! استعدي للهرب بنمط الحكيمة، تمسكي بزوراي وكونزيت...» ولم أكمل.

من خلفنا اندفع نارد دومينيك بنمط بوابة البرق، والهواء حوله يصفرّ كالسلك المشدود. رمى نحوي سيفه القصير «سينكيديا» وهو يصرخ: «يزن! احترس أمامك!»

شقّ فأنمند الغبار بعينه الخضراوين، و«مملوك» يقطع الهواء: «لن تهرب أبدًا!»

التقطتُ «سينكيديا» بيساري في لحظة لم تسمح بالتفكير، وضربتُ به «مملوك» مغيرًا اتجاهه. انزلقت الضربة على حافظه، ثم رميتني الصدمة ثانيةً إلى الأرض، كأن يدي اصطدمت بجدارٍ من معدنٍ حيّ.

لم أنتظر. خطفْتُ ميكا وكونزيت وزوراي دفعة واحدة، وقدفْتُهم أفقيًا نحو مخيم التحالف. تشبثت ميكا بهما وهي تتمايل في الهواء، بينما انقض فأنمند عليّ وهو يزمر: «أيها القزم اللعين! لن تخرج حيًّا!»

اعترضه نارد برمحه «بارديش» دفعه فأنمند بسيفه إلى الخلف حتى انزلق نارد قربيّ، وثبتنا معًا في مواجهته.

قال فأنمند بصوتٍ هادئٍ يقطر احتقارًا: «أمير البرق... القائد الأعلى نارد دومينيك»

ردّ نارد وهو يقف إلى جانبي: «أحسنت أيها المنقذ. حان وقت دفع الثمن يا فائمندا!»

في الخطوط الخلفية رأيتُ بعض ذلك من بعيد، حلّقت ميكا بنمط الحكيمة، ضوءها الأبيض يشق الفوضى وهي تضم كونزيت وزوراي. هبطت على أرض المعركة وفتحت طريقًا بقذائف جليد متتابعة؛ صوت الارتطام كان كتكسر الزجاج. وعلى كتف كيائها العصبي كانت كونزيت تحاول لملمة صدر زوراي بسحرٍ مرتجف، كأنها تخطط الحياة بخيط رفيع.

صرخت ميكا وهي تشتبك مع وفود كيانات الظلام: «لا نهاية لهم! لستُ بسرعة يزن... لا أستطيع ردهم أكثر!»

قالت كونزيت بيأس مبوح: «ميكا لا أستطيع ترك زوراي ومساعدتك!»

خرج اثنان من نخبة الظلام كالسكاكين نحوها. شحبت ميكا، ثم رفعت نمطها إلى الثالث، وصاحت: «تشبثي أُمي! سحر الانتشار... صدى الصقيع!»

انفجرت موجة صقيع حولها، فجمد كل شيء إلى حطامٍ أبيض؛ حتى نخبة الظلام تشققت كتماثيل. لكن الحدّ الذهني ابتلعها. تلاشى كيائها، وركعت تلهث، والظلام لا يتوقف عن التدافع كمدٍّ أسود.

كانت كونزيت تبكي وهي تعالج: «زوراي... أرجوك أفق!» جمع زوراي ما تبقى من قوة، ضمّ يدها، واستدعى كيأناً عصبيًا بمستوى العملاق حملهم ودهس العشرات حتى بلغوا الخلف. هناك استلمتهم فرق الدعم، وتقدم السيد كادي صارخًا: «سمو الملك! أخلوا المكان!»

نادت كونزيت بفزعٍ كمن يطلب ماءً لنارٍ تلتهمه: «بثينة! أحضروا لي الرئيسة بثينة!»

هبطت بثينة وسط طاقمها الأبيض، ووضعت كفها المضيء على جرح صدر زوراي ببرود مهني: «زوراي... إن كنت تسمعي حرك إصبعك» تحركت السبابة بصعوبة. قالت: «استجابة الأعصاب ضعيفة... شلل مؤقت. لا أجسام غريبة. شقوق بالقفص الصدري... تعقيم... ضماد... سمو الملكة، باشري بسحر علاجك»

سألتها كونزيت وهي تتداعى: «هل سيكون بخير؟»

وقالت ميكا، تشرب جرعاتها بيدٍ لا تثبت: «سيده بثينة... أبي سيكون بخير، أليس كذلك؟»

أجابت بثينة: «فقد دمًا كثيرًا، حالته غير مستقرة. نعتمد على سحر العلاج... والمكان هنا ما زال خطرًا، قد يكون مستهدفًا»

ومن الشمال، حيث قوات القائدة هيلدا اركاديوس، دوى زئير التنين الأبيض بيلاتوس كالرعد. رأيته يتحرر من أعمدة الجليد؛ لهب الظلام يشتعل فوق حراشفه، وهو يضرب بجناحيه فيقذف الجنود يمينًا ويسارًا كأوراقٍ مبللة تُصَفَع بالريح.

صرخت هيلدا: «تبا! لا تتركوه يفلت!»

حلّق بيلاتوس غربًا، ثم انحرف تدريجيًا نحو الخطوط الخلفية. بدأ الذعر هناك ينهش الصفوف: «إنه التنين بيلاتوس! سيقضي علينا! اهربوا!»

صرخ كادي بسحر الرياح: «يستهدف سمو الملك! الرماة والسحرة... تأهبوا!»

ميكا تلتفت إلى أمها المنحنية فوق زوراي، ثم إلى وجه أبيها الذي صار رمادًا حيًا. وتذكرتُ مثلها تمامًا كلماته القديمة: الشجاعة ليست كسبًا... بل مقاومة خوفك، لأجلك ولمن تحبين، ولمن يقفون خلفك.

كوّنت ميكا نمط الحكيمة الثالث حول جسدها، ولمست سوارها برفق: «سوار حكيمة السحر... أعني بكل ما لديك. قد يكون هذا فراقنا» وابتسمت ابتسامة صغيرة، كالمسمار في القلب.

ردّ السوار: «... لك ذلك سيدتي. ثبّتي تواصلك مع بحر الأثير لأجمع حركة سحرية كافية»

قالت ميكا: «لم أعهد منك كل هذا الأدب... ابدأ»

انتبهت كونزيت: «ميكا؟...»

انطلقت ميكا كالسهم إلى السماء. وعلى مستوى التنين كوّنت كيان نمط الحكيمة الثاني، وصاحت: «تعال ونل مني أيها الثعبان اللعين!»

قذائف الجليد شقت الهواء كخيوط سريع، حتى أصابت رأسه تواترًا بعد تواتر. انقض بيلاتوس بغضب، فقضم كيانها وهشّمه بأنيابه اللامعة. وسط الصبحج تهمس كونزيت كأنها تنطفئ: «ميكا... لا... ابنتي...»

لكن ميكا كانت قد تعلقت بجفن عينه. كوّنت كيائها ثانيةً وتمسكت بقرونه، ثم غرست سحر الجليد قرب عينه اليسرى: «اسقط أيها السحلية اللعينة!»

اخترق الجليد عينه أربع بوصات. صرخ بيلاتوس، وتلّوى في الجو، وميكا تتشبث بقذيفة الجليد المغروسة كمرساة. تمتت: «الآن تبدو مطيعًا... علي إبعاده. ذلك المكان... جيد»

قادت التنين فوق قوات كيانات الظلام، وضغطت على القذيفة في عينه حتى هوى بجنته الضخمة، فحطم صفوفهم. قاوم، فرد جناحيه، ثم نقض رأسه بعنف ودفعها بعيدًا. تلاشى كيائها، وسقطت تتلوى بين كيانات الظلام، وبيلاتوس خلفها حتى أحاطت أسنانه بها... وانغلق فكاه كقفص حديدي.

لكن الفك ارتدّ بصدمة مدوية، وانهارت جثة التنين للخلف.

كنتُ واقفًا بينهما.

حلّقت ميكا قرب كتفي الأيسر بعينين نصف مطفأتين: «يذن... دائمًا توقيتك غريب»

قلْتُ وأنا ألتقط أنفاسي، ورائحة الظلام المحترق تملأ فمي: «ولستُ بجنونك يا ميكا... كيف قاتلتِ تنينًا؟»

جلس كلاود على كتفي الأيمن يحدّق في بيلاتوس: «انك مجنونة... ليس الوقت مناسب للحديث! إن لم تتحرك الآن سنحترق بلهبه!»

عدتُ إلى نمط الاندماج المزدوج: «تمسكا جيداً»

اندفع بيلاتوس نحوي. أفلتُ بمحوره الأيسر، أشق الطريق بقذائف الجليد بين كيانات الظلام. نقت أنفاس الظلام الحارقة، فأحرق كتائب من كياناته نفسها إلى رماد وهو يتبعني، كأن غضبه لا يميّز بين عدوّ وخادم.

تكوّنت عصا الحكيمة في يمناي. صرخت: «سحر خارق... صقيع الأرض!»

اخترق عمودٌ مسنن من الجليد الأرض أسفل التنين، فخرق فكه وثبّت حركته، ولجم أنفاسه بعد إصابة الغدد. حطم الجليد بغضب واندفع بجثته بسحقني.

شدّدتُ جسدي: «فنون الملوك... التقوية العصبية القصوى!»

اصطدم رأسه بكفيّ. غرستُ أصابعي في حراشفه البيضاء حتى بلغت اللحم، وثبّتُ قدميّ، ثم أدرتُ عنقه بعنف حتى انزلقت فقراته وانقطع حبله الشوكي. سقط بيلاتوس ميتاً، وانهار ثقله فوقني قبل أن أزيحه، والوحد تحت جسدي يئنّ كخشبٍ مبتل.

تمتم كلاود: «تبا... يا قوتك يا بزن»

وقالت ميكا، وصوتها يخرج متقطعاً من التعب: «قوتك زادت كثيراً بعد تدريباتك مع أبي...»

مسحُتْ أنفاسي: «ومع ذلك لم أحصل حتى على فرصة ضد فأنمند. علينا إسعاف نارد... هو من منحنا فرصة التعامل مع بيلاتوس»

تعلق كلاود بثوبي: «لنقض على ذلك الوغد!»

اندفعتُ وسط الوادي. برق يضرب، وظلال تتموج، وصدّات الهواء تزداد مع كل خطوة. رأيتُ نارد على ركبتيه، دمه يرشح من فتحات درعه الممزق، وفأنمند واقف فوقه متعاليًا. كان «سبادون» يتدلى من يده، ولهب الظلام الأسود يشتعل فيه كجمرٍ مسعور.

رفعتُ كفيّ نحوه: «ميكا، كلاود... تطرف الجليد!»

انهالت قذائف الجليد. كان فأنمند يصد بعضها بسيفه ويتراجع نصف خطوة، كأن الأرض نفسها لا تمنحه أكثر من ذلك. تشبثت أصابع ميكا وكلاود بثوبي وأنا أقترّب، فاستعاد نارد قبضته على «بارديش»

قال فأنمند ببرود: «ها قد أتى القزم المزعج...»

قال نارد، وصوت الرعد يتكسر في فمه: «فنون بوابة البرق!» واختفى بوميض خلفه، ثم ظهر ليضرب. ردّ فأنمند الضربة بسلاسة. تابعنا هجومًا مزدوجًا: برق يطعن، وجليد يطارّد، والهواء بيننا يتشقق كقماشٍ قديم.

هتف نارد: «فأنمند! انقلبت الموازين، استسلم!» لكن فأنمند كان ينظر إلى الشمال؛ رأى هيلدا اركاديوس وخمسة من أتباعها تشق طريقها نحونا.

ابتسم. اشتعل «سبادون» أكثر، وقال: «يا للسذاجة... أظنوا أن زيادة العدد تمنحهم فرصة؟
توقعت أكثر من دائرة الملوك»

ارتعد نارد، وحدقت عيناه: «ماذا يفعل؟... سينفجر ذلك الكنز إن اشتعل أكثر... يزن! سيلقي
السيف نحوهم!»

لمحّت قوات هيلدا خلفي. انطلقتُ إلى قائمندا، أطلق الجليد من خصري، وسحبْتُ
«سينكيديا»: «إن لم نمنعه... لن نسلم جميعًا!»

لوّح قائمندا: «حيثما أريدك تمامًا!»

أرسل نصل «سبادون» المشحون بظلام مسعور نحوي. تصدّيتُ له بـ«سينكيديا»، لكن
اندفاعه طغى، وانحرف النصل متجهًا كما أراد نحو كتيبة هيلدا التي رفعت درعًا سحريًا حولها.

صرختُ وأنا أكابد الثقل: «ميكا! كلاود! ابتعدا عني... سينفجر السيف!»

زاد تشبثهما.

طرنا في الهواء على حافة الانفجار، وأنا أرد النصل عن صدري مرة بعد مرة. لم يبق إلا خيار
واحد. مددتُ يدي اليسرى نحو «سبادون» المتقلب، وقلت: «فنون الملوك... قراءة الوقت
والفضاء... كتابة المناهج!»

أضاءت رمال المناهج. دارت حول السيف كحلقةٍ من قانونٍ قايين، وبدأت يدي تحترق ببطءٍ لا يرحم؛ كأن نارًا صامتة تآكل العصب لا الجلد. انفجرت موجة صادمة من ظلامه، فدفعتنني مخترقًا درع السحر خلف قوات هيلدا، ثم انغرس «سبادون» في الأرض قريبًا وهو يتحول إلى شفافية زجاجية بلونٍ زيتي باهت.

صرخت ميكا: «يزن! أنت بخير؟»

وقال كلاود وهو يتحسس رأسي: «كان ذلك وشيئًا... يدك احترقت!»

كنتُ أتصعب عرقًا، وانكشف لثامي، ويدي ترتجف من الحرق. قلتُ: «لا تقلقا... ستمر»

نهضتُ والتقطتُ «سبادون» وفي اللحظة التالية كان نصل رمحٍ على صدري وصوت غليظ يهدر: «لا تتحرك! من أنت؟»

أحاطت بي كتيبة من ستة: ثلاثة رجال سيافان وحامل رمح وخلفهم ساحرتان وفتاة إلف تشد قوسها. شددتُ جسدي، وأبقيتُ أنفاسي قصيرة كي لا تُقرأ كضعف.

صرخت ميكا في وجوههم: «دائرة الملوك أيها الأغبياء! نحن من مملكة البكس... أنقذناكم للتوا!»

تقدمت هيلدا اركاديوس بإشارة توقف: «لا تتسرع، قائد ميادة» ثم نظرت إليّ بحيرة حادة. «فتى بشري هنا؟ من أنت؟... ميكا، وكلاود أيضًا... مر وقت طويل»

ابتسمت ميكا رغم الفوضى: «هيلدا! توليت الجناح الأيسر، أليس كذلك؟»

قالت هيلدا: «نعم. بعد أن أفلت التنين طاردها... وجدناه يقاتل كيانًا يكسيًا في الأجواء، ثم وجدنا جثته. ظننتُ أن زوراي فعلها... أين هو؟»

قال كلاود سريعًا: «أبي أصيب بجرح عميق في صدره ونقلناه إلى المؤخرة. نارد يقاتل الملك فأنمنا الآن... علينا الإسراع»

قلتُ وأنا أشق صفهم: «نعم. لا وقت»

أخرجت هيلدا ضمادًا من حقيبة جلد عند خصرها: «اسمح لي» وضمت يدي المحترقة بإحكام؛ شددت العقدة كأنها تريد تثبيت الألم داخل حدودٍ يمكن احتمالها. ثم رمقتني: «ظننتك قزمًا أو من الإلف... فإذا أنت فتى بشري. لا بد أنك أهل ثقة ليعطيك نارد «سينكيديا» كيف حررت انفجار ظلام من «سبادون»؟ وكيف تحمله بهذه السهولة؟»

ابتلعتُ الإجابة. كانت الكلمات أثقل من أن تُقال هنا، وأخطر من أن تُقال أصلًا.

تدخل كلاود بنظرة باردة: «عذرًا سموك، لا نستطيع الحديث... ذلك تحت مرسوم ملكي»

تصلبت نظرة هيلدا لحظة، ثم هدأت: «أتفهم. لن أعترض طريقكم... هيا بنا»



الفصل الرابع والعشرون

تاج المناهج

كان فأنمند، في نمط تاج الظلام، يلتفت إلى الشمال كمن يلتقط رائحة خبيرٍ على حافة الريح، وأصابعه مغروسة في عنق نارد دومينيك. تدلّى القائد الأعلى بين يديه جسداً منهكاً؛ تمرّقه ضرباتٌ ما زالت تفتح في جلده أفواهاً حارّة. فأنمند يهمس، والابتسامة المظلمة تشقّ وجهه: «هل أبطلوا انفجار السيف؟... لا يمكن. لا بدّ أن ذلك القزم يستخدم فنون الملوك» ثم شدّد عصره وقال: «ما رأيك أن تتكلم الآن يا نارد؟ من ذلك القزم؟»

ارتجف نارد، واحمرّ وجهه حتى بدا الدم كأنه يصعد لينقذه ثم يتراجع، وخرجت شتيمته مبحوحة: «تبّاً... لك!»

قال فأنمند ببرودٍ كحدّ معدن: «همم... بالطبع هذه إجابتك»

شقّ سهمٌ الهواء نحو رأسه؛ ردّه بضريةٍ من «مملوك»، ودار بعينه يبحث عن الرامي. في تلك اللحظة كنّا قد اقتربنا؛ كتيبة هيلدا أركاديوس تشقّ الرمال الهائجة سيافان مدرّعان، وكلارك حامل الرمح، ومن الخلف ساحرتان، وألف سالييس بقوسها.

تقدّمت هيلدا بخطى محسوبة، عصاها تشعّ ضوءاً هادئاً لا يرفع صوته، ثم أصدرت أمرها بنبرةٍ لا تترك للشك منفذاً: «بزن! سالييس! كلارك! داهموا فأنمند قدر المستطاع. هيام! ودولتس! أمانة للقائد نارد الحماية لحظة انشغال فأنمند. ميزا وكلينا: دعم ودفاع!»

أجابت الكتيبة بصوتٍ واحدٍ: «نعم، سموك!»

ابتسم قائمندا، وبدت في ابتسامته رغبةً قديمةً في كسر الأشياء الجميلة: «لنحطم هذه المعنويات!»

ضرب الأرض بقدمه. انخلعت الصخور من مواضعها كأصرايسٍ تُنتزع، واندفعت موجةً ضغطٍ صاعقة، حملت معها رجفةً تُصيب الأعصاب قبل العظام. رفعتُ قوتي ورددتُ مثلها؛ التقت الموجتان وتلاشى أثر الشلل كما حدث يوم اختبار القادة، كأن الهواء نفسه تذكّر الطريق.

رمى قائمندا نارد على الأرض وثبته بقدمه، ثم صرخ بي: «لا تزل حياً أيها القزم!... أنت! كيف ألغيت قوى الظلام في سيف سبادون؟»

طوّقته أنا وكلارك يميناً ويساراً بحذر، وساليس خلفنا تسحب الوتر حتى غنى الخيط. رفعتُ «سينكيديا» بيساري و«سبادون» بيمينني وقلت: «سأطلعك إن استسلمت»

ركل قائمندا جسد نارد فطار نحو كلارك ليصنع فراغاً، وانقَص عليّ. صرختُ في داخلي وأنا أرفع سيفي: هو لا يطلب نصراً... بل اعتراًفاً.

هجم بـ«مملوك» كأنه شقّ في الهواء؛ صدّتُ بسبادون فانزلقت قدماي على الرمال كأن الأرض تُبعديني عنه. وفي اللحظة نفسها تفادى كلارك جسد نارد واندفع برمحه ليطعن، لكن قائمندا شطر الرمح مع يد كلارك بحركةٍ واحدة قطع نظيف بلا تردّد ثم أتبعها بقبضةٍ يسارية

حطمت وجهه ومسحت جسده بالأرض حتى سكن. لم أسمع من كلارك إلا صوتًا قصيرًا انقطع، ثم صمًا أثقل من الحديد.

قذفتُ السيف سبادون إلى الأمام، والتحم مع «مملوك» صليلاً حادًا يقرع الأسنان. ثم أرسلتُ «سينكيدا» نحو عنقه؛ تفادها بلا عناء، وأطبق على معصمي وأرسل قبضته إلى بطني. انفجر الغبار تحتنا، ودخلت الرضة في صدري قبل أن يدخل الهواء.

حدّق في وجهي بعينين باردتين: «مدهش... فنون الملوك لديك مستقرة، تستخدم السحر، وتتحكم في قوى الظلام... أقرب لزوراي. من أنت؟»

ارتجفت مبكا على كتفي، ثم كوّنت قذيفة جليد وصاحت: «كما لو أنه سيخبرك، أيها الغبي!» وتهشّم الجليد على وجهه. لعنها وهو يمسح عينيه، فاغتنمت سالييس اللحظة؛ انطلقت سهامها.

احتمى قائمنا بجسدي. اخترق سهمٌ كتفي، وشعرت بالحديد يفتح طريقًا ساخنًا في اللحم. شدّني بعنف ورماني نحو سالييس، وفي ظلي انبثق «كلاود»، كيانٌ ظلامٍ أمسك بي وثبّنتني: «يذن، لا تتحرك بعد!»

قالت ميكا، وذعرها يسبق أنفاسها: «علينا إخراج السهم... هذا الوحش يتجاوز أبي في القوة. ماذا سنفعل؟»

ارتعدت سالييس: «آسفة! لم أقصد إصابتك!»

نزعْتُ السهم من كتفي. خرج ومعه خيْطُ ألمٍ كأنَّ أحدًا يسحب عصبًا. قلتُ وأنا أراقبُ فأنمند بعينٍ لا ترف: «بل... أشكرك. هناك ما يمنعه من استخدام هجمات سحرية بتطرف الظلام. قد تكون فرصتنا الوحيدة»

رفعتُ بصري إلى هيلدا من بعيد؛ أشارت بالموافقة. قلتُ لميكا: «صليني ببحر الأثير قدر المستطاع» ثم قلتُ لكلاود: «سأطلق كميةً من حركة المناهج غير المستقرة؛ وجَّهها في جسدي. ستكون معركة وقتٍ وقوة»

تصلَّبت نظرة كلاود عند جراحي: «لك ذلك... لكنك لا تقدم على ما يقتلك، أليس كذلك؟»

ابتسمتُ رغم طعم الدم: «آنسة ساليس، سنصنع لك فرصة. اعطني بسيد كلارك؛ حالته حرجة» هزَّت رأسها وابتعدت.

عندها قلتُ، وابتسامة فأنمند تقابلني كأنها تتحدَّى الهواء: «فنون الملوك... بوابة العرش!»

تفجَّرت المناهج من جسدي. هاجت الرمال حولي كوحشٍ أُطلق من قفصه. لم أعد أرى نفسي إلا ومضًا أبيض سرابًا حادًّا يشقُّ المسافة قبل أن تُفكَّر.

ظهرتُ أمامه كالموت وشطرته بسبادون؛ صدَّ بـ«مملوك» وتراجع مدهوشًا. اشتعل غضبه فقذف بسيفه نحوي كرمحٍ قاتل. حميتُ نفسي بسبادون حتى انخلع من يدي، وارتدَّت مع «مملوك» متقلِّبًا على الرمال. قبل أن أستعيد توازني قبض على وجهي وسحقني بالأرض ثم قذفني، وتبعها بلكمةٍ شقَّت خالصرتي وألصقتني بصخرة عملاقة اقتلعها من موضعها بوحشية قبضته.

ضحك، وكان في ضحكته صرير شهوة: «هاهاها... لا شيء يضاوي القتال بالأيدي! ألا توافقني؟»

صرخت ميكا: «اهرب يا يزن!»

وقال كلاود: «جسدك يتمزق... أرجوك توقف عن هذا النمط!»

نهضتُ ونفضتُ الغبار والحصى عن وجهي، كأنني أنفض عني فكرة الهزيمة: «هذا لا شيء... لا تقلقا» ثم اندفعتُ نحوه، واندفع هو إليّ.

أرسل قبضته إلى كتفي الأيسر: «لست أكثر من دمية تدريب!»

ثبّت قدمي، ورددتُ قبضته بقبضتي؛ اشتعلت الريح بيننا كأن الهواء يُطرق بمطرقة. أعادها بيسراه؛ رددتها بيساري، وأنا ألتقط من ضرباته درسًا قاسيًا في اللحظة نفسها. رأيتُ الدهشة تنكمش على وجهه، فقبضتُ يمناي وأرسلتها إلى بطنه: «أنا بشري، واسمي يزن! أيها الوقح!»

تدحرج متألّمًا، ثم وقف يلمس خاصرته وبيتنسم: «يزن... تشرفت. أقوى بشري واجهته. نظراتك تذكرني بخادم تاج المناهج ديفود لحظة موته... قريب مما أبحث عنه، لكنك لست متوجًا... أمل زائف» ثم اشتعل بلهب الظلام، وثقل صوته: «ابنتي لمياء تعاني وتقاوم تاج الظلام، وأنت تعترض طريقي...»

اختفى.

لم أسمع إلا رنينًا خاطفًا، ثم أحسستُ السيف يسحب على جسدي. انشققُ صدري من أسفل لأعلى، وتطاير الدم حتى ابتلَّ وجهي. غرس «مملوك» في صدري وثبتني بالأرض خلفي. سقطتُ فوق بركة دم، وسقطت ميكا وكلاود عني.

صرخت ميكا: «لا... يزن!»

رأيتُ كلاود يحدق بالسيف المستقر على صدري، والظلام يشتعل في قلبه قبل جسده. انفجر صارخًا: «فانمند!» وتكوّن كيانه العصبي (مستوى البشر)، وانقضَّ عليه بضربةٍ أزاخت فانمند خطوةً وترك السيف في صدري.

حدّق به فانمند، والدم ولهب الظلام على كتفيه: «بكسي دون أجنحة؟... لا بد أنك ابن زوراي، كلاود... هل كان يزن صديقك؟»

اتسعت عينا كلاود، وصار صوته كالسكاكين: «اخرس... سأمزقك!» واندفع بلكماتٍ تتبعها أطياف كيانه العصبي، تتوالى كسرابٍ متكرر. تراجع فانمند للحظة، ثم انقضَّ بقبضته ومزّق الكيان العصبي وردّ كلاود إلى الأرض.

تمتم في ذهول: «كيان عصبي بتطرف الظلام... مستحيل! كيف تحكمت بقوى الظلام؟»

نهض كلاود وركل نحو رأسه صارخًا: «مت!»

لكن فأنمند اخترق الكيان بيده اليسرى وأحكم قبضته: «لن تستطيع شيئاً... سأمحو مملكة
الـيـكس عن بكرة أبيها، يا ابن زوراي!» انطفأت مقاومة كلاود شيئاً فشيئاً، وخرجت منه همسة
مكسورة: «يزن... ميكا... أرجوك...»

اندفعت هيلدا من الشمال، ستُّ كرات بيضاء تدور حولها كأقمارٍ صغيرة، وصوتها يتقطع
بالغضب: «فنون الأثير، تطرف الضوء... بريق الفضاء!» انطلقت حزمٌ مضغوطة أصابت
فأنمند؛ صدَّ يميناه ودفعها للخلف، ثم رمى كلاود على الأرض كأنه لا يساوي شيئاً.

قال متبختراً: «القائد الأعلى هيلدا أركاديوس؟ أتظنين ألعاب الضوء نافعة ضدي؟»

اختفى من أمامها، وظهر خلفها بحضورٍ متعطشٍ للدم. قبض معصمها وهمس: «لنرّ مدى
تحملك...» ثم حطّ عظام معصمها الأيمن. سقطت كدميةٍ كسيرة، وانطفأ الضوء في طرف
أصابعها لحظةً قبل أن يبهت.

كنتُ على الأرض أبتلع الهواء كأنني أبتلع زجاجاً. سحبت ميكا السيف من صدري، وحاولت
تقليد سحر الشفاء وهي ترتجف: «تَبّاً... لو كنتُ أعلم سحر الدعم...»

مددتُ يدي إليها. خرج صوتي بصعوبةٍ كأنه يزحف من قاع صدري: «ميكا... أنقذي كلاود.
سيبتلعه الظلام...»

شهقت: «لن أتركك!»

مسحتُ دموعها بأطراف أصابعي المملخة، وشعرتُ أن دموعي أنا أعمق، لكنها بلا ماء: «لا يمكن... فعل شيء... حيال أنا... انقذي كلاود واهربي»

حلّقت، ووجهها مظلمٌ من العجز: «سأنقذه... وسأعود بالمساعدة. لا تيأس»

رأيتها تبتعد، ومع كل رفةٍ يثقل صدري أكثر. قلتُ في نفسي، والدم يملأ فمي بطعمٍ معدني: مجدّدًا... لم أستطع حماية من أحب. ثم خرجت الكلمات من قاعٍ أحرقه الندم: «لم أكن... قويًا... آسف يا معلمتي غفلن... لن أفي بوعدتي...»

عندها قررتُ أن أكسر حدودي بيدي.

سأتجاوز فنون الملوك... تفجّرت حركة المناهج في جسدي. وأتجاوز عمري العقلي... احترقت شراييني من الكثافة، كأن دمي صار أثقل من أن يجري. حتى لو حطمت فكري... ذاتي... روعي وجسدي.

سال الدم من أنفي. انطوت الأرض تحت هديرٍ ذهبي في ليلٍ دامس. وسط الرمال الهائجة، وبيطءٍ مهيب، تكوّن تاج المناهج واستقرّ فوق رأسي. لم يكن وزنًا على الجمجمة؛ كان حكمًا يُلقى على الروح.

رفع قائمنا قدمه عن رأس هيلدا، وحدّق نحو اهتزاز الأرض: «هذا الشعور... لا يمكن!» اندفع نحوي، لكن الأرض انهارت تحت قدميه عند حافة الغبار المتجمع، ورآني واقفًا بهدوء جرح صدري يلتئم تدريجيًا ونظرتي تصطاده كما تصطاد العيون حيوانًا جريًا.

هناك... عرف قائمند معنى الرعب.

تجمّد، ثم شهق: «تاج عرش المناهج... اختار
يزن؟!»

اختفيت من أمامه.

انقضضتُ عليه بجسدي، دحرجته على الصخور،
وسحبته فوق الأرض حتى تقشّرت الحجارة
وصرخت تحت اللحم. ضربني بقبضةٍ مشتعلة
بلهب الظلام: «أيها الوغد!»

لم يتغيّر وجهي. رأيتُ يأسه يرتفع وهو يرفع
معصمه ليصدّ قبضتي؛ حطّمتُ عظام يده، ثم
كسرتُ كتفه وقفصه الصدري بضربةٍ ثانية.
دفعني بقدميه مبتعدًا وهو يرتجف: «لا يمكن...
هذه قوة تاج المناهج؟! أين ذه»

سبقته قدمي. ركلتُ وجهه فتهشّم على الصخور،
وتدحرج كجثةٍ هامدة. سالت دماؤه سوداء، ولهب
الظلام يلتهمه كأنه يتلعب صاحبه.



وقفْتُ والتاج يدور فوقِي، ونظرتُ إلى الشمال: «كلاود في خطر...»

وعرفتُ من أثر الأثير الذي ظلَّ بيني وبينهم، ومن صوت ميكا الذي بلغني ممزَّجاً ما جرى قبل دقائق. كانت ميكا في كيانها العصبي تهزول؛ هيلدا على ظهرها بجسدٍ محطم، وكلاود في يدها اليسرى يحترق. كان يصرخ بألمٍ لا يُحتمل: «يزن... ميكا... لا... قانمااا!»

قالت ميكا وهي تتعثر، والرمل يلتصق بقدميها كأنه يريد إسقاطها: «لا تيأس يا كلاود... سنصل لفرقة الدعم... لن أَدع أحداً يموت بين يدي!» ثم انطفأ كيانها وسقطوا، وحدها الذهني ينكسر كزجاجٍ داخلي. بكت وهي تمد يدها: «كلاود... أرجوك...»

وصلتُ إليهم.

وضعتُ كفي على جسد كلاود وقلت: «فنون الملوك... التسارع العصبي الأقصى...» تدفَّق غبارٌ ذهبي من حولي إلى جسده حتى خمدت نيران الظلم، وتراجع السواد عن أطرافه كما يتراجع دخانٌ أمام ريحٍ نظيفة.

اتسعت عينا ميكا: «يزن... يملك تاجاً؟»

كررتُ الأمر مع هيلدا؛ التحمت عظامها والتأمت جراحها، وفتحت عينيها ببطءٍ تحدَّق بي كمن يعود من قاعٍ بعيد. ثم سحبتُ الهواء حول ميكا فدارت رمالٌ مضيئة حولها، وشعرت هي بالحركة السحرية تعود: «مدهش...»

لكن عبر بحر الأثير كانت قوى الظلام تشتعل من الغرب بضراوة، كأن الجهة كلها تتنفس سوادًا. خاطبُهم ذهنيًا: (ميكا، تراجع مع كلاود وهيلدا. تزداد قوة الملك فأنمذ كلما قاتلته... لا تزال المنطقة خطيرة.)

نهض كلاود مرتجفًا: «لن تذهب بدوني! خذني معك!»

أجبتُه ذهنيًا، وأنا أخفي ملامحي عنه كي لا يرى ما بدأتُ أدفع ثمنه: (لا... لستَ قويًا كفاية، كلاود. سأذهب وحدي.)

صرخ باسمي، لكنني اندفعتُ كالسهم عبر وادي السديم، أتفادى صخور الأرض الميتة، وأتبع أثر الانفجار المرعب حتى أقصى الجنوب عند بحر مكران.

وجدته هناك، يتكئ على صخرة قرب الجرف. نيران الظلام تشتعل فيه، والدم ينزّ من فجوات درعه، وكل نفيس يخرج يترك أثرًا أسود على الهواء. وقفتُ أمامه، والتاج فوق يلمع بثبات: «استسلم يا فأنمذ. انتهى كل شيء. أزهقتُ الأرواح وجلبت العار كخادم لتاج البشرية... حولتهم إلى رماٍ وذرتهم الريح. كيف تحتمل؟» وضربتُ الأرض فنهضت موجة صاعقة تحت قدمي، وارتجف سطح الرمل كجلدٍ حيّ.

رفع عينيه، وفي صوته شروخٌ لم يطفئها الجنون: «ابنتي لمياء أحبّت البحر... لا شك أنها تكرهني الآن. ومع ذلك... أنا سعيد بلقائك، يا يزن» ثم ضحك ضحكة قصيرة كأنها انكسار: «أندري مم تُصنع حجارة الحقيقة؟... أو ما يسمونها حجارة الدم؟»

قلتُ بحدّةٍ لم ينجح التاج في تبريدها: «عن ماذا تهذي؟»

ابتسم، كمن يفتح باب اعترافٍ متأخر: «لكل معشر تاجٍ يمثل نخبته، عدا تاجين: تاج الظلام وتاج المناهج. تاج المناهج يختار من كافة الأجناس، أما تاج الظلام فلا يختار إلا من سلالة الملك لاستدسك الأول... من مملكة الظلام، مملكة غدراء العائمة. حين وُلدت ابنتي اختارها تاج الظلام... لأن أمها، ليلى لاستدسك ملكة مملكة دجنة تنحدر من سلالة لاستدسك الأول»

تماسكْتُ. شعرتُ بأن البحر خلفه يراقبنا بصبرٍ قديم. قلت: «ابنة لاستدسك الأول؟ هذا مستحيل...»

قال: «هي السلالة التي حكمت العالم قبل قرن بتاج الظلام وحضارة الملوك القديمة. ولا سلطة فوق تاج الظلام إلا تاج مناهج العرش»

سألته ويدي تنقبض، كأنني أمسك بحبلٍ يمنعني من القفز عليه: «إن لم يكن هدفك سلب الأرواح وتدمير الممالك لسرقة حجارة الحقيقة... فما الذي ترجوه؟»

انخفض صوته حتى صار كاعترافٍ يابس: «تاج الظلام سلب مني زوجتي ليلي، والآن... يقتل ابنتي «لمياء» ببطء. حجارة الحقيقة لا تمنح إلا وقتًا. وعرفت أن الطريق الوحيد للحد من ذلك هو تاج عرش المناهج ليصح استقرار تاج الظلام. حين حاولت تصحيحه بنفسه فسد تاج البشرية بقوى تاج الظلام... ومصيري لا يختلف عن مصير ابنتي. لم يبق لي خيارٌ سوى دفع العالم إلى الحصاد... لأجبر تاج المناهج على الظهور، ليضع حدًا لأفعالي وينقذها»

احمّرت عيناى، لا من دم فقط، بل من نارٍ لا تجد منفذاً. البحر خلفه اتسع كقبرٍ مفتوح: «كل هذه الأرواح... ركام الممالك... أنت أناني، دهست الجميع لتستدعي تاج العرش؟ كان يمكن تفادي هذا!»

هزّ رأسه، كمن ودّع الندم منذ زمن ولم يعد يعرف طريقه: «ربما... لكن لا وقت لدي يا ملك المناهج. توقفتُ عن الترجي وبدأتُ آخذ عالمي بيدي. القوي وحده يحمي عالمه» حاول النهوض، وقوى الظلام تتشتت من جسده ثم تعود، ودار التاج في فوق رأسه كعاصفةٍ لا تجد سماءها: «وسأقتلع عالمي بهاتين اليدين... من الحياة أو من الموت. أقسم بنفسى وبتاج البشرية... سأنقذ ابنتى، يا بزن... وإن حوّلتُ العالم إلى ركام!»



الفصل الخامس والعشرون

خطوات الفراق

كانت شمس الظهيرة تميل إلى الأفول، تتسلل من ثقبٍ في سحب رمادية فوق بحر مكران، فتلّطّخ حافة «وادي السديم» بحمرة متعبة. على الجرف الصخري المطلّ على الماء وقف فأنمند كجمرة سوداء، يفيض منه الظلام لا كظلّ، بل كقوةٍ تتنفس. ووقفتُ أمامه في نمط التاج، والمناهج تدور حولي دوامةً بيضاء، تُصفرّ في الهواء كحدّ سكين.

قلتُ، وحجرتي مشدودة: «فأنمند، لا تُقاوم. انتهى القتال. جيش التحالف انتصر. استسلم»

تجمّد لحظةً كأن كلمة «استسلم» اصطدمت بعظمٍ في صدره، ثم انفجر ضاحكًا. كان ضحكه يجرح السمع. قال: «وكنْتُ أظنّك مثلهم تريد قتلي! يا لسذاجتك يا ملك المناهج... قوّتك لا تُرضيني. داخض بها حتى أتيقن أنك نذّ لها!»

اندفع. لم يكن يركض؛ كان يقتلع المسافة اقتلاعًا. قابلتُ قبضته بقبضتي. ارتدّ إلى الخلف خطوةً واحدة، ثم دار كإعصارٍ قصير وأرسل قدمه إلى رأسي؛ صدّتها بمعصمي، وأسكنتُ قبضتي في بطنه، ثم رفعته وأطبقته على الصخر. اهتزّ الجرف تحتنا، وسمعتُ الصخور تتننّ كأنها تتذكّر أنها كانت يومًا جبلًا.

تبيّته تحت كفيّ وقلتُ بين أسناني: «استسلم!»

وفجأةً التقط معصمي... ولم يكن ذلك قبضًا فقط. شعرتُ بالمناهج تُسحب من جسدي كما يُسحب عرقٌ حيٌّ من لحمٍ دافئ. خفت ضوء تاجي، وانكمش الهواء حول رأسي حتى صار النفس ثقيلًا كالمعدن.

همس وهو يشتعل أكثر: «قوي... لكن الفنون الاعتيادية لن تكفي بعد الآن»

تضاعف ظلامه، وتحول تاجه تاج البشرية، المستوى الثاني كأن السماء صبّت نارًا سوداء فوق هامته. اقترب حتى صرت أرى لمعان عينيه في العتمة، وضحك قرب وجهي: «مدهش... لم أشعر بهذا الكم من القوة من قبل!»

شدّني من معصمي حتى اختفى تاجي تمامًا. خانتني ركبتي. انقلبت الدنيا إلى بقعة سوداء تتسع، والبحر إلى هميس بعيد.

تمتمت قبل أن تغيب الكلمات: «تبا...»

لم يتركني الظلام طويلًا. برق صغير شقّ الهواء من جهة وادي السديم، وانغرس في رأس فأنمند كلسعة صافية. اختلّ توازنه، وارتدّ ذراعه عن معصمي. وعبر الصخب سمعت صوت كلاود، حادًا كطعنة في لحم: «ابعد يديك القذرتين عن يزن!»

رأيتُه أمامي في نمط إشعال الظلام؛ جسد صغير، لكن قلبه كان يسبق جسده دائمًا. لم يتردد فأنمند؛ مرّق ذراع كيانه كمن يمزق قماشًا رخيصًا، وصاح: «ما زلت حيًّا أيها اليكسي الوضيع!»

انزلق كلاود بيننا وقال بسرعةٍ لا تتيح للهواء أن يبرد: «فنون اليكس... كيان عصبي، مستوى العملاق!»

تشكّل كيانه العملاق في لحظة، وسمعتُ الجرف يتشقق تحتنا. انقطع العالم عن حافظته، وسقطنا نحو البحر. وفي لحظة السقوط حملني بيده اليمنى، وبيده اليسرى ردّ قائمنا بقبضةٍ واحدة، أرسلته يتدحرج على الموج حتى الشاطئ كجسم لا وزن له.

هزّني كلاود وهو يلهث، ولهائه يضرب أذني مثل طبلّةٍ قريبة: «يزن! أفق، أرجوك!»

فتحتُ عيني كمن يُتزعّج من قاعٍ بارد: «كلاود... شكراً. أخطأت. صار قائمنا أقوى»

لم يُمهلني. كان يراقبه وهو يخطو فوق الماء كأنه أرضٌ صلبة، والموج ينحني تحت قدميه. قال: «ليس الآن. لديّ رسالة: أُمي ستطلق سحرًا من مستوى تكتيكي على قائمنا بعد دقيقتين. علينا جذبُه إلى المكّدّس الأرضي في عرض البحر، قبالة غابة اليكس الجنوبية. والآن... سنندمج بكيان الظلام. لن أسمح له بسحب الحركة المنهجية منك مرة أخرى»

انفصل عن كيانه وصعد إلى كتفي. حملنا الكيان، وقذف بنا أفقيًا، فصرنا نعدو على أمواج البحر غربًا. كان الماء تحتنا يرتجف، يرمي رذاذًا مالحًا على وجهي، وخلفنا كان قائمنا يقترب، وضحه بسبق خطواته.

قلتُ وأنا أجاهد لأستعيد خيطًا من بحر الأثير: «سيلحق بنا قريبًا... أحتاج وقتًا لأدخل نمط التاج من جديد»

قال كلاود قرب أدني، وحرارة أنفاسه تختلط بملوحة البحر: «وقت؟ إذن اشتريه. اقتربنا من الهدف... كن مدرِّكًا لذلك، كنز حكيم القتال!»

قذف نحوه كياناتٍ من الظلام؛ مسحها فأنمذ بقبضته كأنها غبارٌ على كتفه، ثم اندفع حتى أدركنا: «لن تفلت مني أبدًا!»

صدمني بقبضته اليسرى. صدَّدْتُها بمعصمي، فهاج الماء تحتنا كأنه يغلي بلا نار. اندفعنا نحو المكَّدس الأرضي، وما إن تشبَّثْتُ بالصخر حتى عاد تاج المناهج فوق رأسي، كأن الضوء تدكَّر اسمي فجأة.

وقفْتُ أمامه على الصخر، وهو يقف قبالي بتاج البشرية الثاني. بيننا كان ظلامه يعصُّ بياض مناهجي، وفي عمق المشهد من جهة الغابة انبثق ضوءٌ أبيض، ساطعٌ كصرخةٍ بلا صوت.

بعدها بدقائق، عرفتُ ما كان يحدث هناك؛ كأن الأحداث تركت لي أثرها في الهواء.

كانت هيلدا أركاديوس تتقدَّم بين أشجار غابة اليكس الجنوبية، وعلى كتفها الملكة كونزيت، وعلى كتفها الآخر الأميرة ميكا. الأشجار كانت تهتزُّ من ثقل ما يستعدُّون له، وحتى الحشرات على اللحاء بدت كأنها تصمت.

قالت كونزيت: «هنا تمامًا. سنبدأ التزامن العصبي. ميكا، نمط الحكمة. نحتاج الحركة السحرية متصلة ببحر الأثير»

توهّجت هيلدا بنمط حكيمة السحر، وأضاءت عصاها «بلاجت»، وصار الضوء ينساب منها
كتيار: «أنا مستعدة، كونزيت»

اهتزّت ذبذبات ميكا وهي تُخاطر، وظهر في صوتها حدٌّ لم أعرفه فيها من قبل: «لنُرسل الوغد
قأنمند بعيداً»

لمحت كونزيتنا فوق البحر، قأنمند خلفنا. قالت بسرعةٍ تُخفي الارتجاف: «ها هم. سأُنشئ
عدة تطرفات الآن»

تضاعف وهج هيلدا حتى طغى على الأشجار، وأصاب أوراقها ببياضٍ كأنها احترقت بالنور. ثم
صاحت وهي تقبض على العصا كمن يمسك جمراً: «لا يحتمل جسدي هذا الضغط! يجب أن
يبتعدا عن الهدف!»

وفي تلك اللحظة وأنا واقفٌ على المكّدس الأرضي أواجه قأنمند مددتُ عقلي إليها بالتخاطر:
«كونزيت... سأحمي كلاود. أطلقني الآن»

جاءني ردّها كصوتٍ مبلّل بالذعر: «يزن! وماذا عنك؟ لا أستطيع المخاطرة بحياتك»

وتداخل صوت ميكا، سريعاً كاعتراضٍ مرتجف: «هذا جنون، يزن!»

لم أترجع. رفعتُ يدي واستعددتُ للانقضاض: «الآن، كونزيت!»

صرخت هيلدا: «لا أستطيع التحمل أكثر!»

بكت كونزيت لأن الرنين حينها حمل شيئاً من انكسارها ثم قالت كمن يقطع جزءاً من نفسه:
«... أطلقني، هيلدا»

انفجر الضوء من هيلدا: «فنون الأثير... دوي الحكماء! مستوى تكتيكي!»

وبلمحة بصر، انطلقت قذيفة من حزم بيضاء، شقّت المحيط نحو المكّدس الأرضي. شعرتُ
بها قبل أن أراها؛ الهواء نفسه صار أخفّ، كأن العالم يُفرغ صدره استعداداً للضربة.

كان فانمند يلکمني يميناً ويساراً وهو يحاول التملص. ضممتُ كلاودي إلى صدري، وأثرتُ
الغبار المنهجي حولي حتى صار ستاراً: «هذه هي النهاية يا فانمند»

زمجر وهو يدفعني: «تبا لك!»

اصطدمت القذيفة بظهره. امتزجت بشحنات ظلامه وغباري المنهجي، فانمخت الألوان
لحظةً واحدة: ماءً أبيض، سحبٌ بيضاء، وشاطئٌ يُغسل بالنور. ثم جاء الانفجار؛ موجةٌ صاعقة
رجّت الأرض، واهتزّت أشجار الغابة حتى الشجرة الأم، كأن جذورها تلقت الصفعة.

تطايرنا أنا وهو مع الصخور والشظايا إلى الغابة. سقطنا، وتحطمت الأرض تحتنا، وجرتنا قوة
الدفع كأنها يدٌ عملاقة تسحلنا عبر التراب.

عدتُ لطبيعتي وأنا محترق الملابس، ألهث، والدم ينزف من أذني كخيطٍ ساخن. صرختُ:
«... كلاود! أين أنت؟»

رأيتُ لهبًا أسود بين الأشجار. تقدّمتُ مترنخًا، أُنْعَثِرُ في جذورٍ مكشوفةٍ وحصيّ مَبْتَلٍّ، حتى وجدته فاقد الوعي، يشتعل بلهبٍ ظلامٍ يميل إلى الاحمرار. حملته وقلْتُ، وصوتي يخرج متكسّرًا: «تماسك... سأُنقذك»

حاولتُ إخماد اللهب فلم ينطفئ. لمسْتُ حرارته فوجدتها لا تشبه نارًا؛ كانت كأنها مرصٌ يلتهم الضوء. انقبض صدري: «ما الذي...؟»

ومن بين الأشجار تقدّم فأنمند. كان جسده ممزقًا، وبده اليسرى مبتورة، لكنه يمشي. يمشي وحسب، وكأن البتر مجرد تفصيل. ابتسم وقال: «لون اللهب هذا... كان يكسيًا عنيدًا. لن تستطيع إنقاذه الآن»

جمعتُ ما بقي من نفسي، واستدعت المناهج حولي ما استطاعت من انتظام: «أخرس. لن أستسلم»

انحنيتُ من الإعياء إلى شجرةٍ وأسندتُ ظهري إليها، وفي تلك اللحظة لمحتُ إلفيًا يشدّ قوسه علينا. كان وجهه ساكنًا، وعينه تقيساننا كما يقيس القنّاص مسافة موته.

قال بصوتٍ ثابت وهو يضعنا في مرمى سهمه: «أنا ساروس من جيش التحالف. لا تتحركا»

جلس فأنمند على صخرة كمن يستريح من العالم، ومدّ يده السليمة كأنه يلوّح لقدّر يعرفه: «ههه»

صرختُ: «نَبَّأ، احترس!»

أطلق قائمند شطية من ظلام. تفادهاها ساروس بخفةٍ سريعة، وردّ بقوسه: «فنون الأثير... سهم البرق!»

طار السهم كالومضة. ردّه قائمند بيده كأنه يصفع حشرة، وانطلق نحو ساروس. اعترضته، لكن قبضته رمتني محلّقًا، وحطّمت شجرة خلفي. سمعته يمسك ساروس، ثم سمعتُ الخشب يئنّ وهو يسحقه بجذع شجرةٍ أخرى. غاب الإلفي عن الوعي قبل أن يكتمل صوته.

نهضتُ من بين الحطام، وعيناوي تحترقان لا بالنار بل بالمعنى: «توقف يا قائمند... ألا تكتفي؟ كل هذه الأرواح... بلا سب؟»

عاد يجلس على الصخرة، يتنفس بصعوبة. كان صدره يعلو ويهبط كآلةٍ متعبة، ومع ذلك ظلّت سخرية خفيفة في نبرته: «قلتُ لك: سأقضي على كل من يعترض طريقي. ثم إن ابن زوراي لن يعيش طويلاً دون حجارة الحقيقة... أرني كيف ستنقذه، يا ملك المناهج»

رفعتُ كلاود بين ذراعي. كان وزنه أقلّ مما ينبغي، كأن اللهب يأكل منه شيئاً لا يُرى. نظرتُ إلى الشجرة العملاقة أمامي. لم يكن لي ترفُّ الاختيار: «إن كانت حجارة الحقيقة هي الحل الوحيد...»

همس قائمند، وكأنه يوافقني على ثمنٍ يعرفه منذ البداية: «نعم... ذلك صحيح»

اسودّت نظرتي لحظة. ثم هاجت المناهج بعنف، وضربتُ الهواء بيدي اليسرى كأنني أكتب
حكماً على صفحةٍ لا تنتهي: «فنون الملوك... كتابة المناهج... سلطة تكوين الجواهر!»

انجذبت الريح بين الأشجار، ولقّت الشجرة العملاقة حتى تشققت من الداخل. تهشّمت إلى
شطايا، ورنّ صوتٌ كالكريستال وهو يولد. أمامي تنسّجت «حجر حقيقة» شفاقة بطول
البوصة، تطفو فوق راحة يدي كقطرةٍ مجمّدة من ضوءٍ صادق.

عاد تاج المناهج فوقي. قلتُ وأنا أتُبتُّ كلاود إلى صدري: «سأنقذك... ولو كلف ذلك حياتي»

وخمد لهيب فأنمند فجأة، واختفى تاجه، وارتسمت على وجهه ابتسامةٌ غامضة؛ كمن وصل
إلى جواپٍ كان ينتظره لا إلى هزيمة.

ومن جوهرةٍ صفراء جاء صوتٌ نسائي عبر الرنين، واضحاً كأمرٍ مكتوب لا يقبل التأويل: «تم
إنشاء (منهجية الأداء). تم طلب إنشاء نقطة انتقال بين الجواهر... انتقال!»

هاجت الغابة بحركة المناهج. ارتفع تاجي إلى المستوى الثاني، وسحبني أنا وكلاود وجثة
فأنمند تحت رنينٍ حاد، ثم انطفأ المكان دفعةً واحدة، كأن أحدهم أطفأ مصباح العالم.

في ساحة الشجرة الأم بمملكة البكس، كانت ملكة الإلف سوفيادا تُسعف المصابين مع
مساعدتين، وبالقرب القائدة رومي ومدام ديميتا وخادمتها. هذا ما عرفته لاحقاً؛ لأن ما جرى
هناك استقرّ في نفسي كندبةٍ لا تخطئها الذاكرة.

قالت سوفيادا بتوتر: «هناك توتر عالي الكثافة على بحر الأثير»

رفعت رومي رأسها، وقد تَلَطَّخت يداها بالدم: «معك حق... هناك خطب في جوهرة اليكس»

قالت ديميتا وهي تحلّق قربهما: «غريب... لا ينبغي أن يكون أحدٌ بالداخل»

أجابت رومي: «لست مطمئنة، سأدخل وألقي نظرة»

قالت سوفياتا: «سأتي معك»

وأمرت ديميتا: «سهى، راقبي المصايين. نردين، تعالي معي»

ما إن دخلن قاعة الكنوز حتى أضاءت جوهرة اليكس برنينٍ خافت، ثم ظهرنا.

كنتُ مستلقياً على جدار القاعة البيضاء، والبرد يلتصق بجلدي كأنه يريد أن يوقف دمي. أنزف من كل موضع، وأُسند كلاود بيدي اليسرى على الأرض. كانت جوهرةً صغيرةً تدور فوقه، ومع دوراتها خمد لهب الظلام تدريجياً، كأن الجوهرة تُملئ على النار قانوناً جديداً.

ارتعبت رومي واندفعت نحوه: «يزن؟ كلاود!» ثم شهقت وبكت: «كلاود... كلاود! يزن، ماذا حدث له؟»



لم أملك صوتًا. حنجرتي كانت حجرًا. أرسلتُ تخاطري ببرودٍ متعب: «سيكون بخير... ديميتا،
اعتني به»

أفاقت ديميتا من صدمتها وركعت فورًا: «حاليّ، سيدي الصغير. نردين، استدعي الخادمت!»

دخلت سوفيدا، فرأت جثةً قانمند بجانبني. تشكّل تاج الإلف فوق رأسها، واستعدّت... ثم
انحنت تفحصه، وبدا على وجهها شيءٌ يشبه الاشمئزاز من عدالةٍ متأخرة: «قانمند... لقد فارق
الحياة»

التفتت إليّ. وفي اللحظة التي وقعت عيناى على ملامحها تجمّدتُ كمن صُفّع بذكرى. وجهٌ
يشبه معلمتي غفلن حدّ الوجع. همستُ: «... سيدتي غفلن»

جثت سوفيدا على أرض القاعة، وصوتها خرج ناعمًا، لكنه محمّل بحدادٍ قديم: «اعذرنى، سموّ
الملك... لست غفلن. أنا أختها التوأم، ملكة الإلف سوفيدا»

ابتسمتُ رغم الألم؛ ابتسامةٌ قصيرةٌ كوميضٍ يُطفئه الدم. اتكأتُ على الجدار البارد. بدأ تاج
المناهج يختفي ببطء، كأن الضوء يغادرني على مهلٍ احترامًا. قلتُ متقطع الأنفاس: «كم...
أتوق لرؤيتك... سيدتي... شكرًا لك، سوفيدا... لقد لبّيت لي أمّيتي...» ثم أظلمت رؤيتي.

بعد خمس ساعاتٍ من سقوطنا، كان الليل قد أحكم قبضته على مملكة اليكس. أفقتُ في الساحة أمام الشجرة الأم، والبرد يعصّ أطراف وعيي. كانت رومي قريبة، وضامدٌ جرحٍ على وجهها يلمع تحت وهج المشاعل كقطعة قماشٍ بُلّت بالزيت. بعضٌ ما جرى وصلني لاحقًا كلمةً كلمة؛ كأن الحزن نفسه كان حريصًا على أن لا يترك ثغرةً في نفسي.

انتفضتُ كمن يُسحب من قاعٍ مظلم، وصوتي يخرج مكسورًا: «يزن! رومي؟ مملكة اليكس؟ أين يزن؟ ماذا حدث لفانمند؟ هل فزنا؟»

غطت رومي فمها، وانفلت منها بكاءً مكتوم: «كلاود أرجوك اهدأ، أنقذك يزن و...»

شدتُ رأسي بيدي، كأنني أحاول تثبيت العالم في مكانه: «تكلّمي! أين هو؟»

لم تستطع النظر إليّ. انزلق بصرها إلى الأرض، وارتعشت رموشها. في تلك الثواني القليلة بدأ شيءٌ ثقيل يتكوّن في صدري، لا اسم له سوى الفقد.

عندها انفتح باب الشجرة الأم، خرج أبي زوراي وإلى جانبه امي كونزيت، وخلفهما الملكة سوفيادا بثيابٍ رسمية لا تخفي صلابه جسدها. وبين القادة، كان رجال اليكس يحملون تابوتًا زجاجيًا؛ الزجاج يلتقط الضوء ثم يرده كأنه لا يحتمل ما بداخله.

لم أستطع أن أرمش. قلتُ بصوتٍ لا أعرفه: «رومي... لمن هذا؟»

لم تجبني. رأيت دموعها تبتلّ على الضماد، ثم تهرب بوجهها عني، كأنها تخشى أن يسقط ما تحمله إن التقت عينانا.

دفعْتُ نفسي بين الحشود. كياني العصبي انبثق تحت جلدي مشوّهاً من ارتباكي، يتكوّن ويتلاشى وهو يشقّ لي الطريق. توقّفتُ أمام التابوت... وهناك كانت ميكا جالسةً بنظرة فارغة، تحدّق في وجهي كأنها تُحاول أن تتأكد أنني ما زلتُ هنا. وإلى جوارها، على زهورٍ بيضاء كأن أحدهم فرشها تبريراً متأخراً، كان جسد صديقي يزن مستلقياً بلا حركة؛ ساكناً كصفحةٍ طويت ولم تُفتح ثانية.

تجمّد وجهي. شعرتُ أن الهواء صار أثقل من أن يُستنشَق. همستُ ثم ارتفع الهمس إلى إنكارٍ مرتعش: «هذا... ليس واقعاً. لا... كيف يموت هكذا؟ لا... هذا ليس حقيقياً...»

اقترب زوراي، وكان صوته مكسوراً كخشبٍ رطبٍ طالته المياه: «لم يكن ليذن خيار. ضحى بنفسه لصنع حجر حقيقة كي يُنقذك. دافع عنا جميعاً... وأنقذ مملكة اليكس معك، يا بني»

لم أَر شيئاً بعدها كما ينبغي. اسودّ كل ما في عيني، وبدأ كياني العصبي ينسحب عني تدريجياً، كأنه يخجل من ضعفي. وقفتُ أمام التابوت، ولم يخرج مني سوى كلمةٍ واحدة، قصيرة كطعنة، كأنها نذرٌ يُكتب بالدم: «فانمندا!»

أمسك أبي كتفيّ ليمعني من السقوط: «لقد مات فانمند... وكذلك يزن، يا كلاود»

احتضني أبي، وضمّت كونزيت ميكا إلى صدرها. رأيتُ الدموع تسيل على وجوهٍ عرفت كيف تصمد أكثر مما عرفت كيف تبكي؛ دموعٌ ثقيلة، لا تُعطي إلا ما لا يمكن حمله وحده. ثم تقدّم القائد الأعلى نارد دومينيك. ألقى كلمة الوداع لموتى معركة السديم، وأعلن النصر... لكن

النصر جاء بطعم الهزيمة؛ طعمٌ يعلق في الحلق ولا ينزل، كأن الفرح يرفض أن يُصافح هذا الثمن.

ومضى الشتاء. على الشاطئ المطلّ على غابات اليكس الجنوبية، كانت نسّماته تحمل رطوبةً مالحة، وتترك على الجلد أثرًا باردًا كلمسة تذكير. أوراقٌ بنية فاتحة تساقطت ببطء، كرسائل متأخرة لا تجد عنوانًا. جلسْتُ فوق كياني العصبي وقد بلغ هيئة عملاق، أهدق في الصريح التذكاري الذي وُضع على أطلال الشاطئ باسم يزن. البحر أمامي كان هادئًا أكثر مما ينبغي؛ هدوءٌ فاضح، كأنه يخفي ما لا يقال.

جاء نارد دومينيك ومعه هيلدا أركاديوس، وكانت ميكا تحلّق أمامهما. خفق جناحيها يقطع الهواء بخفةٍ تؤلم؛ لأن كل صوتٍ صار يوقظ ما لا ينام.

قالت ميكا وهي تقترب: «كلود... أتى نارد وهيلدا ليلقيا عليك السلام»

قفزتُ من فوق الكيان واستقررتُ على كفه. حاولتُ أن أبدو ثابتًا، فخرجت نبرتي أهدأ مما أنا عليه: «أتعودان إلى مملكة سناء؟ لم لا تبقيان معنا قليلًا؟ أنا وميكا نحتاج لتعلّم المزيد من فنون الأثير»

نظر إليّ نارد بنظراتٍ جانبية، تقيس المسافة بين كلامي وما أخفيه: «أتريد أن تصبح أقوى مما أنت عليه؟ قد تتجاوز بعض من في دائرة الملوك»

وقالت هيلدا، وفي صوتها تعبٌ رقيق لا يخلو من حنان: «وميكا... صارت متعطشة للمعرفة مثل كونزيت. ما خطبكما؟»

لم ألتفت. ظللتُ أحدّق في اسم يزن المحفور، كأن الحجر وحده يستطيع أن يحمل النظر دون أن ينكسر. قلتُ ببطء، وكأنني أقتطع الحروف من جسدي: «كل هذا خطأ يزن... كم أودّ أن يتحمّل مسؤولية أفعاله...»

سقط الصمت لحظة. كان كثيفًا، ثقیلاً كثلجٍ على جفني لا يجرؤ أن يُغمض ولا يقدر أن يفتح.

قال نارد: «هيلدا، حان الوقت» ثم مضى، وأضاف وهو يبتعد: «أيها البطلان... إن زرتم مملكة سناء، لا تنسيا التحية. إلى اللقاء»

لوّحت هيلدا: «إلى اللقاء»

وعلى حدود جبال مملكة الإلف الشرقية، كما لو كان مكتوبًا على ظهر الريح كان الثلج ينهمر بغزارة بين ظلال أشجارٍ جرداء. البياض يلتهم الأشكال، والريح ترسم الطريق بصفيها لا بالمعالم. سارت «ملكة الإلف سوفيدا» وقادتها الأربعة، وخلفهم بخطواتٍ قليلة ملثمّ متأخر.

قالت سوفيدا: «اجتزنا نصف المسافة. هناك ينابيع على مسيرة يوم... نستريح عندها»

قال صوتٌ نسائيّ ملثمّ من داخل لفافة الصوف: «ينابيع ساخنة؟ سأكون أول الواصلين!»

ضحك صوتٌ رجولي محدّرًا: «لا تتعجّلي. هذا الثلج سيُبطئك» ثم التفت إلى الخلف، وصوته يشتدّ: «وأنت... تحرك بسرعة، ولا تبتعد»

قالت الملكة سوفيادا بثقةٍ لا تتكَلَّف: «لا تقلق بشأن هذا الفتى. هو قوي، وأنا أثق به. لذلك استأنمه مؤخرة المجموعة» ثم التفتت إلى المتأخر: «أعتمد عليك يا يزن»
لم يُجب. فقط... شعَّت عيناه من خلف القناع بذهبٍ صامت.

النهاية...



معلومات توضيحية

مستخدم فنون الملوك (الفنون المنسية)

هو من يملك قدرة نادرة على دفع العقل إلى ما وراء عاداته، حتى يغدو الواقع قابلاً للقراءة والكتابة بمنهج لا يُرى، لكنه يُحسّ في أثره.

قراءة الوقت والفضاء

هي طريقة تُجبر العقل على قراءة الحركة الفيزيائية للواقع زمنياً ومكانياً بوصفها حركة نسبية. يرصد المستخدم «حركة المنهجية للحاضر» عبر الحواس: النظر والسمع والشم واللمس، ومعها حواس الإدراك العصبي الغيبية التي تلتقط ما لا تلتقطه الحواس وحدها.

التقوية الجسدية

هي رصد إشارات العقل العصبية التي تقود الحركة العضلية للجسم، ثم دفعها إلى كثافة أعلى: زيادة كمية الإشارات المنهجية، ورفع انتظام حركة العضلات، وتقوية «بنية الجسم» التي يرسلها العقل مادياً وتماسكاً حتى يصير الجسد أصلب استجابةً وأقل تردداً.

التسارع العصبي

هو استخدام الحركة المنهجية داخل الإشارات العصبية، وتسريع تدفق تلك الإشارات في العقل والجسد، بما يُحوّل المستخدم أن يرفع ذاته إلى مستوى زمني آخر. يُحسّن ذلك إدراك العقل لذاته الجسمية، ويُمكنه من رصد الإصابات كلها، وتسريع عملية الشفاء.

السحر

هو تطرفات العقل اللاوعي لكتابه الواقع: حين تُفَعَّل «سماحية العقل اللاوعي» لكتابه منهجًا يُوَدِّي إلى حدوث السحر. ينقسم السحر بصورة عامة إلى قسمين: سحر الدعم وسحر القتال.

يستهلك السحر عند التفعيل «الحد الذهني» للمستخدم لكتابة الواقع. ويتمثل في كتابه الحركة السحرية والعناصر الأساسية للمادة: التراب والماء والنار والهواء والضوء والظلام، أو دمجها. تتكوّن المادة أو الحركة السحرية بإرادة المستخدم الذي يمتلك «التطرف السحري» أو «صَلَاحِيَّة استخدام السحر»

يمكن تفعيل السحر إذا حصل المستخدم على عقد من مخلوق سحري (تصنيف أسطورة).

فنون إطلاق السحر:

إطلاق سحر الانتشار

باستخدام العناصر المختلفة للسحر، ينطلق السحر من المستخدم إلى الهدف مستعينًا بالأرض كنقطة وصول بينهما، على هيئة توسّع يطوّق محيط المستخدم. يعتمد ذلك على قدرة التحكم لدى المستخدم.

إطلاق سحر الإصابة

سحر بعيد المدى. باستخدام تطرف السحر، ينطلق السحر من المستخدم نحو الهدف كسهم أو قذيفة، قاطعًا مسافات مختلفة لإصابة الهدف. يستخدم الحركة السحرية قوة إطلاق أو دفع. يتطلب هذا قدرة تحكم سحر عالية، وهي عامل أساسي للتسديد الدقيق، ولسرعة إطلاق السحر، وتناوب تسارع إطلاق السحر.

السحر الخارق

سحر خارق بعيد المدى يعتمد أساسًا على بحر الأثير والتواصل معه. وباستخدام تطرفات مختلفة للسحر، ومع قدرة عالية في تحكم المعرفة الجغرافية للمنطقة، يطلق المستخدم سحر الانتشار في نطاق واسع بعيد المدى. يعتمد هذا النوع اعتمادًا كاملًا على مخزون الحد الذهني للمستخدم لتفعيل وإطلاق سحر من هذا المستوى.

ملاحظة: عندما تتوافر شروط معينة من دقة تحكم السحر، يمكن المزج بين فنون إطلاق السحر مثل: (الإصابة والانتشار) و(الإصابة والسحر خارق) و(الانتشار والسحر خارق).

مستويات تنشيط السحر (الدعم والقتالي)

يوجد ثماني مستويات لتنشيط السحر:

مستوى حدّث: استهداف فردي.

مستوى قتال: استهداف مجموعة.

مستوى عملية: استهداف مجموعات مختلفة.

مستوى تكتيكي: استهداف منشأة (مثل القلعة).

مستوى استراتيجي: استهداف مجموعة من المنشآت.

مستوى دفاع وطني: استهداف أمن وطن.

مستوى قارة: استهداف قارة.

مستوى عالمي: استهداف قوانين تحكم عالمية، المصير، أو الوجود.

الأثير

هو وَسْطُ افتراضي من الذبذبات ذات رنين متفاوت التردد، يعمّ الكون ويتخلل جميع أجزائه. يخدم كشبكة عالمية ذات إمكانات فيزيائية مثل: نقل الطاقة الكهربائية، والحركة السحرية، والحركة المنهجية، ونقل الترددات. وتقول الأساطير إن حضارة الملوك القديمة تتحكم في شبكة الأثير عبر «حجارة الحقيقة».

البكس

هي مخلوقات تشابه البشر في هيئتها، إلا أن أحجامها صغيرة جدًا مقارنةً بالبشر. لها أجنحة سحرية تمكّنها من الطيران بحرية ضمن مستويات جوية معينة. في طبيعتها مسالمة، وهي أقرب المخلوقات إلى الغابة.

كان البكس أول المرافقين للملك ديفود ميراي، وهم كذلك أقرب المخلوقات إلى «فنون الملوك» أو «الفنون المنسية» مثل: (التزامن العصبي، والتسارع العصبي). لهم تاريخ مجيد مع البشر، إلا أن البشر صنفوهم بالخيانة. لا يقلل ذلك من شأنهم في السحر أو في التسارع؛ فلهم فضاء زمني مستقل نسبةً إلى صغر حجمهم.

قدرات البكس:

الكيان العصبي

هي صناعة كيان عصبي من طاقة حركة السحر، مماثل لجسد المستخدم في الهيئة، عبر الحركة السحرية في الأثير حول المستخدم. يحمل الكيان العصبي الإشارات العصبية والحركية نفسها التي يحملها المستخدم.

يتحكم المستخدم في حجم الكيان عبر التحكم في زيادة الحركة السحرية وتحركها، ويكون المستخدم في وسط الكيان العصبي للتحكم به. وعند رفع المستوى السحر، يمكن التحكم بالكيان العصبي عن بعد، أو حتى إخضاعه لإرادة معينة تُنفَّذ من قبل الكيان العصبي دون تحكم مباشر.

تصنيف درجات ندرة الوحوش السحرية
مألوف ◀ نادر ◀ ملحمة ◀ فريد ◀ أسطورة



العنوان
تحدي العرش

تأليف
إيهاب الطيب مصطفى احمد لقب (أبوقناية)

الغلاف والرسومات التوضيحية
إيهاب الطيب مصطفى احمد

حقوق النشر © 2026 جميع الحقوق محفوظة.

لا يجوز نسخ أي جزء من هذا المنشور أو إعادة إنتاجه بأي صيغة كانت، وبأي وسيلة، إلكترونية أو غير ذلك، دون الحصول على موافقة مسبقة من مالك حقوق النشر وناشر هذا الكتاب.

فهرس المكتبة الوطنية أثناء النشر، السودان 813.962403
إيهاب الطيب مصطفى أحمد - 1991
تحدي العرش رواية، إيهاب الطيب مصطفى أحمد
الخرطوم. أ.ط مصطفى، 2022

رقم الإيداع القانوني 002490343/2022 : م

9781291759129:ISBN

تحدي العرش

نبذة عن الرواية

تجري مكائتي في عالم فانتازيا غلبا حديثة تُدار فيه الممالك بالظنّ والوشاية والدم، حيث تصبح الحقيقة غيبًا لا يُحتمل. وأنا بزن، فتني لم يطلب من القدر سوى النجاة، لكنني أحمل سرًا يدرك الممالك: حجارة الحقيقة، جواهر سدرية هي قلب كل مملكة ومفتاح بقائها، تُنير لمن يملكها... وتدرقه بالقدر نفسه.

منذ صرّح عارفاً أو صرّح معروفًا تحولت إلى الحلقة المفقودة التي إن استقرت هي مكانها الخلق الدائرة، وعادت حضارة الملوك القديمة من الأسطورة إلى الواقع لتستعاد وتُستخدم. والخطر ليس في السحر وحده، بل فيمن يعرفه كيفه بمسكه بلا ارتجاف؛ لذلك صرّح هدفًا لأطماع تتبدّل أفتعتهما ولا تتبدّل شميتها. وفي مقدمتها فانمذ. ملك مملكة حُجنة وخدم تاج البشرية، أحد أولئك الذين تمنعهم تيجان العرش قوي لا تُدفع مقابل ثمن يُدفع من العمر والروح والولاء.

ومع اتساع المطاردة تضيق الأسئلة: ما سرّ حجارة الحقيقة وحدود قوتها؟ ولماذا يختار العالم ملوكًا لتيجان العرش: أهى مكافأة أم فخ لصايا بلامع المنقذين؟ وأمام فانمذ وخياراته أفتع بين أن أسلم قدري، أو أشعل حربًا أعرفه بدايتها ولا أضمن نهايتها حربًا قد تربع العالم... وتخسرني أنا. وفي قلب كل ذلك يبقى السؤال الذي يفتق ببطء: ماذا يدرك حين تصبح الحقيقة نفسها... حذرًا تتقاتل عليه الممالك؟



نبذة عن الكاتب

إبراهيم الطيب مصطفى أحمد (أبو قناية) مهندسٌ معماريٌّ سودانيٌّ، وُلد عام 1991م بولاية الخرطوم. ينعكس تكوينه الهندسي على أسلوبه السردى عبر بناء محكم للعالم ودقّة هي التفاصيل، وإبناح يعتمد على منطق القوانين والنتائج. يكتبه الفانتازيا بروح تمزج الخيال بالدقّة، لتقديم عوالم لا تُدار بالمعجزات المجانية، بل بثمنٍ واضح للسلطة والسحر والاختيار.

